فيصل بن الحسين



تأليف : محمد عابدين حمادة و تيسير ظبيان

Hamādah, Muḥammad ʿĀbidīn.

فيصل بن الحسين

من المهد الى اللحد

سجل عام لتاريخ القضية العربية وتطوراتها

Faysal ibn al Husayn / v. 1

الجزء الاول

في حياة الفقيد الحافلة بجلائل الاعمال، وصدى الفاجعة الكبرى في جميع انحاء العالم
وآراء العظماء وكبار المفكرين في شخصية الفقيد

وضع وتأليف

محمد عابدين حماده
مجاز في الحقوق، والآداب من جامعة باريس

محمد تيسير ظبيان
منشىء جريدة الجزيرة

جمادى الآخرة عام ١٣٥٢ — وتشرين الاول عام ١٩٣٣

طبع في المطبعة العصرية : دمشق بحصه

اهداء الكتاب

الى

الشبل الناشيء في عرين الليوث ، المترعرع في احضان البطولة والاباء ، الراتع في ميادين المجد والشرف ، المتقلب في اعطاف العظمة والسؤدد سليل بيت النبوة ، وعضد الاسرة الهاشمية ، وعماد النهضة العربية الوارث لعرش فيصل ، والحامل لامانة فيصل ، والحارس على تعاليم فيصل

صاحب الجلالة الملك غازى بن فيصل بن الحسين

قبلة انظار العرب ومناط آمالهم ومهوى افئدتهم

أيد الله ملكه ووطد عرشه ، وجعل النصر حليفه والتوفيق اليفه ، في جميع اعماله وحركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

ان الجراحات التي اصابت الامة العربية بفقد سيد زعمائها ومؤسس نهضتها ورمز امانيها ، ما كان الجنان الملك فيصل لا تندمل ، ولكن يجب على الشعوب المتحفزه الى تشييد كيانها واقامة صرح عظمتها ان لا تستسلم للاحزان فتنسى الواجب الذي يهيب بها الى النظر في حاضرها ومستقبلها والسعي لمؤاساة كلامها وتلطيف آلامها والاعتبار بما نزل في ساحتها والاستعداد لمجابهة الطوارئ المقبلة

وقد رأينا ان خير ما نخفف به من لوعة هذه الامة المنكودة من جهة ونخلد به ذكرى الفقيد الغالي من جهة اخرى هو اصدار كتاب حافل بجلائل اعماله وجسيم تضحياته ونبيل مواقفه ، وما تاريخه في الواقع الا تاريخ القضية العربية منذ تألق فجرها وانبثاق نورها حتى ايامها الاخيرة فقد رافقها (رحمه الله) شابا وكهلا ، قائداً وزعيما ، اميراً وملكا ...

وها نحن نقدم لابناء امتنا الجزء الاول من هذا الكتاب وقد ضمناه خلاصة تاريخية وافية عن حياة الفقيد وما تخللها من مواقف البطولة الخالدة والحوادث الفريدة ؛ وما كان يتحلى به من المواهب الفذة والمزايا الممتازة والشمائل الطيبة ؛ واثر الفاجعه الكبرى في جميع انحاء العالم العربي والممالك الشرقية والاقطار الاوربية ، وآراء كبار العظماء في الفقيد الجليل

فعسى ان نكون بعملنا هذا قد ادينا بعض الواجب الذي يترتب علينا نحو فقيدنا الراحل ونحو امتنا العزيزة . آملين ان نوفق قريباً لاصدار الجزء الثاني ان شاء الله

محمد عابدين حماده   محمد تيسير ظبيان

فيصل والتاريخ

بقلم السيد عابدين حمادة احد واضعي هذا الكتاب

لو اراد المؤرخون ان يبحثوا عن ملك اهتزت لوفاته امة باسرها، عن ملك جمع بين التاج والزعامة، عن ملك كرس عبقريته ونفوذه وماله وحياته في سبيل خدمة امته واعلاء شأنها — نعم لو ارادوا ان يبحثوا عن هذا كله لقلنا لهم منذ الآن لا تحملوا انفسكم عناء الدرس فان تجدوا الا فيصلا ملك العراق وزعيم العرب على الاطلاق

لقد القى جلالة فقيدنا المعظم درساً على الملوك قاطبة وعلمهم ما كانوا يجهلونه وهو كيف يمكن الملك ان يكون زعيما وان يغرس حبه في نفوس جميع ابناء امته.

لقد اوجد الراحل العظيم في رؤوس الناس صورة جديدة عن الملكية لو اوجدها الملوك القدماء لما فكر المفكرون بالانظمة الجمهورية.

ليجبني المؤرخون اذا استطاعوا :

اي امة بكت مليكها كما بكى العرب فيصلا ؟

اي امة رأت في فقد مليكها خطراً على كيانها بل وحياتها ؟!

اي ملك استطاع التمرد على سيرة الملوك اذ حرم نفسه التمتع بهناء العيش وسعادة العرش مقتنعاً براحة ضميره و اخلاص امته اليه ؟!

ان العلماء والمفكرين والفلاسفة الذين انجبتهم الامة العربية قد انجبت مثلهم امم عديدة ولكن لم تنجب امة واحدة في العالم سوى الامة العربية ملكا كفيصل وهذا هو الفخر الحقيقي !

لقد اوجد خالق النهضة العربية صفحة جديدة لامعة في تاريخ الملوك وهذا هو سر خلود الرجل الكبير.

...

فيصل بن الحسين

امنية الامة العربية منذ عشرة قرون

بقلم السيد تيسير ظبيان احد واضعي هذا الكتاب

قبيل وفاة الملك فيصل بثلاثة ايام دعيت الى حفلة سياسية اقيمت لتكريم بعض الزعماء العراقيين الوافدين الى عاصمة الامويين وبعد ان تعاقب الخطباء واجادوا وافادوا طلب الي الشباب ان اتكلم فأبيت فألحوا فتماديت في الاباء والاعتذار واخيراً لم يسعني الا النزول عند الحاحهم المتواصل فالقيت كلمة تناسب المقام قلت فيها :

« وما الانتدابات التي قذفتنا بها عصبة (الامم !) وجاءنا بها المستعمرون الا اساليب سياسية مريعة ترمي الى تمزيق شمل العرب واقامة العقبات والحواجز دون اتحادهم وتعاونهم ، فليكن مثلنا الاعلى في حركتنا الوطنية السعي بجميع الوسائل للاتحاد مع العراق ، والاتجاه بكل قوانا الى ذلك القطر الشقيق حيث تنمو دوحة الامبراطورية العربية التي غرس جذورها فيصلنا المفدى ... »

ولا بد من القول بان السبب الذي حفزني الى الجهر بهذه الحقيقة هو نفس السبب الذي حداني الى اعتزال السياسة سابقاً والاعتذار عن الكلام في هذا الجمع وذلك لانني وجدت القوة والعزة والمنعة متوفرة في العراق بفضل جهود فيصل وتعاليمه ومباديه ...

وصلتي بالفقيد الغالي ليست حديثة العهد بل ترجع الى ايام الحكم الوطني اذ كنت تلميذاً ناشئاً في كنفه عام ١٩١٩ فضابطاً (صغيراً) تحت رايته عام ١٩٢٠

ولقد تشربت حينئذ تلك المبادىء والتعاليم وآمنت (من ذلك العهد) بانه رجل الساعة الذي تترمقه الامة العربية . ثم ازدادت هذه العقيدة رسوخاً في نفسي وانطباعاً بين جوانحي بعد ان بلغ العراق مرحلته الاخيرة ونفض عنه غبار الذل ووقف الى

جانب الامم ذات السيادة والسلطان ، وبعد ان تشرفت ايضاً بمقابلته في رحلته الاخيرة في عمان يوم الثلاثاء (الواقع في ٦ حزيران سنة ٩٣٣) اذ وقفت منه على امور خطيرة جعلتني اعتقد اعتقاداً جازماً لا يخامره ريب بان مستقبل البلاد العربية منوط بمساعي فيصل ، وان السياسة الرشيدة الوحيدة التي تفيد هذه البلاد وتنقذها من محنتها الشاملة هي سياسة فيصل ، وان الزعيم الفرد الذي يجب ان تهفو اليه القلوب وتتجه نحوه الآمال هو فيصل !!..

غير اني مع الاسف الفيت ان سياسة فيصل لا يعمل بها في هذه البلاد المنكودة بل يضرب بها عرض الحائط :

ففيصل يدعو الى التعاضد والتساند وتوحيد الكلمة وحسن التدبير ونحن نمعن في التناحر والتنابذ وتمزيق الصفوف . والاندفاع وراء الاهواء

..

ورب قائل يقول ما دامت عقيدتك بالملك الفقيد تلك التي اسلفت فهل قمت نحوه بواجب الوفاء واديت له مفترض الآلاء ؟ وهل اقبلت على التبشير بتلك السياسة الناجعة والدعوة اليها ؟؟

اقول : ارجو ان اكون قد فعلت ... فان مقالاتي الكثيرة التي نشرتها في : جريدة المقطم المصرية التي كنت اكتب فيها ، وفلسطين اليافية التي كنت اراسلها والجزيرة الدمشقية التي توليت اصدارها تنم عما كنت اشعر به من العواطف البريئة نحو الفقيد الراحل اذ فيها كنت ادعو الشباب الى الالتفاف حول الملك الزعيم واحثهم على تتبع خطواته واقتفاء آثاره والنسج على منواله

وفوق ذلك كله فقد دعوت في « الجزيرة » الى امور ثلاثة على جانب عظيم من الاهمية كنت ارمي من ورائها الى التقريب بين القطرين الشقيقين (سورية والعراق) وهي :

مضابط التوكيل

الأمر الاول : توكيل جلالة الملك الفقيد لحل القضية السورية فقد جاء في

العدد (٩٢) من جريدة الجزيرة الصادر بتاريخ ٧ محرم سنة ٣٥٢ ما يلي :

« ... وليس اجدر في نظرنا ، لترك مقاليد امورنا اليه ، من جلالة الملك فيصل محرر سورية ومنقذها وواضع الحجر الاول في اساس نهضتنا وكيانها ، وقد سبق له ان انال سوريا الاتفاقية المعروفة باسم اتفاقية فيصل — كليمانصو التي يعرفها كل سوري ولا يعارض في الحصول على اتفاق شبيه بها

وان لجلالة الملك فيصل من شخصيته المحترمة ومقامه الرفيع السامي وحبه واخلاصه لهذه البلاد ما يكفل حل القضية السورية على ما تشتهي الامة وما يحقق مبادئها القومية وينيلها حقوقها المشروعة

فماذا ترى الامة وقادة الرأي العام والمشتغلون في حقل القضية السورية في تنظيم مضبطة يوقعها جميع ابناء البلاد السورية من جميع المناطق يضمنونها مطالب الامة وامانيها ويلتمسون فيها من جلالة الملك فيصل — مفوضين جلالته تفويضا مطلقاً — محادثة حكومة باريس في الامر في اثناء زيارته المقبلة للقارة الاوربية... الخ »

سنلبس الفيصلية

الامر الثاني : لبس الفيصلية (السدارة) وهذا نص الدعوة الموجهة الى الشباب السوري بهذا الصدد كما جاء في العدد ٦٣ من جريدة الجزيرة الصادر في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٥١ :

كثير من الناس لا يحبون الطربوش لانه فرض علينا في زمن لم نملك فيه من امرنا شيئاً ، ولانه يصنع في الغرب ، ولانه قبيح المنظر ... ولألف سبب وسبب يعرفها خصوم الطربوش ... ولكني لا ارى استبداله بالقبعة بل ارجح صنع زي جديد يمثل شيئاً من مزايا الشرق وجماله ... وارجح ، حتى على الزي الجديد ان نلبس الفيصلية التي يلبسها اخواننا في العراق . فنكون ضربنا بذلك مثلا ملموساً على تعلقنا بالوحدة العربية ، واخذنا بنوع من الكساء يجمع الى جماله الرخص ويمكن

ان يصنع في البلاد .. ثم هناك فائدة رابعة هي ان الرجل يستطيع ان يلبس السدارة الفيصلية حتى في البلاد الاوربية دون ان يكون هدف الانظار !

فيا ايها الشباب ، لنلبس السدارة « الفيصلية » واذا كان احدكم يخشى ان يكون البادي، في لبسها فاننا سنعقد اجتماعاً كبيراً ونخرج منه جميعاً لابسي الفيصليات الخ..»

شارع فيصل الاول

الامر الثالث : — تسمية احد الشوارع الكبرى في دمشق باسم جلالته . وهذا نص الاقتراح المدرج في العدد ٦٠ من جريدة الجزيرة الصادرة في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٥١ :

« ... ان في نهاية ما يسمونه (شارع فؤاد الاول) طريقاً — طريق بغداد — يقودها بالفكر الى عاهل عربي مجيد تحفظ له البلاد في نفسها اجمل ذكرى ، والى شعب شقيق لم ينس ممثله في جمعية الامم ان يذكره في اول خطبة القاها ، فنم بذلك على عمق الحب وجمال العاطفة اللذين يحملهما العراق لسورية المجاهدة !

هذه هي الخاطرات التي تجول في فكر كل سوري صادق العروبة يوم تحتفل السلطة بتسمية شارع من شوارع دمشق باسم الملك فؤاد ، ولذلك اراد منشىء هذه الجريدة ان يذكر بان الشعب السوري يحرص على ان يسمي شارعاً من احسن شوارعه باسم الملك الذي نعم في ظلاله بالحرية والسعادة والذي لا يزال يعطف عليه هو وشعبه عطف الأخ على الاخ فقابل حضرة رئيس الوزراء ووزير الداخلية وحدثه في الامر طويلا واقترح ان يحمل شارع بغداد هذا الاسم ونعتقد ان الشعب كله يثني على اقتراح منشيء هذه الجريدة فهل للحكومة ان تسمع اقتراح الشعب وتحس الى تاريخنا الزاهر والى الصداقة الوثيقة التي تربطنا باهل العراق ومليكهم الكبير ؟؟ »

تحقيق هذه الاقتراحات

واني لاحمد الله ان الظروف شاءت ان تحقق هذه الاماني الثلاث ، فان البلاد

قامت على قدم وساق لتفويض الملك العظيم وبعثت اليه بمئات العرائض والرسائل والبرقيات وتألفت الوفود لمقابلته في عمان وعرض رغائب الامة السورية على اختلاف طبقاتها وعناصرها

ثم ان المجلس البلدي بدمشق اجتمع في ١٢ ايلول سنة ٩٢٣ وقرر باجماع الآراء اطلاق اسم الملك فيصل على شارع القصاع الكبير وبلغ طوله كيلو مترين ونصف بعرض ١٦ متراً

اما لبس السداره الفيصلية فقد تم اخيراً في اجتماع حاشد عقده فتيان الجزيرة بتاريخ ٢٤ ايلول سنة ٩٣٣ في دار الجزيرة وبادروا حالا الى خلع طرابيشهم والاستعاضة عنه بالسدارات الفيصلية

هذا ما قمت به نحو المليك الجليل (حيا ...)

والآن اتقدم بهذه الحلقات المتسلسلة بالاشتراك مع صديقي الاستاذ عابد بن حماده لتخليد ذكرى المليك الراحل (ميتا ...)

لماذا نبكي فيصلا؟..

اننا نبكي فيصلا ...

لاننا فقدنا به الامل المنشود الذي اعددناه لمستقبلنا الزاهر ....

اننا نتفجع لفيصل ..

لاننا اضعنا بوفاته ذلك الشعاع المنير الذي كان يهدينا سواء السبيل ويبدد عن طريقنا ظلمات الدجى

اننا نتحسر على فيصل ..

لاننا خسرنا بفقده ملكا شعبياً نابغاً ، وقائداً جريئاً بارعاً ، وزعيماً سياسياً فذاً ، وشخصية ممتازة منقطعة النظير !!

فيالفداحة الخطب الذي نزل في ساحتنا ونحن احوج مانكون الى تضميد الجراح ويالهول الفاجعة التي قصمت الظهور وأقضت المضاجع وقرحت القلوب والاكباد! ويا لطول حزن الامة العربية ولوعتها على مؤسس مجدها وحامل لواء نهضتها !!

فيصل القائد الشجاع

لعل أبرز سجية من السجايا التي يتحلى بها العرب ويمتازون بها على غيرهم من الاقوام اباؤهم وعزة انفسهم وعيوفهم عن احتمال الضيم وتجرع كؤوس الذل ، وقد كان فيصل قدس الله روحه مثالا حقيقياً للثائر العربي الذى يأبى الاستكانة ويفنى في سبيل الحرية والسيادة ، ولا غرو فان جلالته ارتضع ألبان الانفة والاباء في البوادي والقفار حيث تدرب على الفروسية وامتطاء الخيل واستعمال السلاح وحيث اشترك في كثير من الغزوات وقاد بعض الحملات لقمع الحوادث التي كانت تقع في أطراف مملكة ابيه . ولقد تجلت هذه الانفة بأجلي مظاهرها عندما كان عضواً في مجلس النواب (المبعوثان) في الاستانة اذ كان يرفع صوته في كل سانحة بالدفاع عن حقوق امته والدعوة الي انصافها ، وحسبنا ان نذكر بهذه المناسبة وقوفه في وجه الطاغية احمد جمال باشا بعد ان اخفقت مساعيه في الافراج عن اخوانه الاحرار الذين صلبوا على اعواد المشانق ظلماً وعدواناً ، ثم اضرامه نيران الثورة العربيـة وحمله القبائل على الاشتراك بها انتقاماً من الذين عبثوا بالكرامات ونكثوا العهود ، ثم لنذكر ايضاً نزوله عند رغبة السوريين بعد ان توج ملكا عليهم وبعد ان أرادوه على مقاتلة الفرنسويين الذين جهزوا حملاتهم ووجهوها الى احتلال دمشق فلم يتوان عن تلبية هذا النداء وذهب بنفسه الى مسجد امية حيث القى خطبته الاخيرة التي حض فيها الناس على الجهاد وامتشاق السلاح وبادر الى ارسال حرسه ورجاله الى ساحة القتال . ثم يجب ان لا ننسى موقفه الاخير حينما قام الشعب العراقي قومة الرجل الواحـد يريد الاقتصاص من القبائل الاشوريه التي شقت عصا الطاعـة واستنجدت بالمستعمرين ليوطدوا اقدامها في البلاد ويخلقوا في بطن الوطن العربي وطناً اجنبياً دخيلا . ان فيصلا لم يتقاعس عن تأييد سياسة نجله ولي العهد في تأديب اولئك القوم والضرب بالانذارات وتهديدات المستعمرين عرض الحائط . والراجح ان هذا الموقف النبيل الذي وقفه جلالة الفقيد الاعظم كان من اقوى الاسباب التي افضت الي انطفاء شعلة حياته لان وقوع الحوادث المذكورة بعد ان انتظم امر

العراق واستقرت أحواله اثر في نفسه تأثيراً بليغاً .

ويظهر ان للشعر العربي الحماسي الذي كان جلالته يعكف على تلاوته ويتغنى به ويتمثل به في مختلف المناسبات دخلا في تكوين هذه النفسية الحرة الثائرة .

ومما رواه المستر لويس توماس الكاتب الانكليزي الكبير ان فيصلا كان حينما يستريح من متاعب الحرب يمضي وقته في تلاوة اشعار قومه القدماء الاماجد وكان احب الشعراء اليه امرؤ القيس وهو اشهر شاعر تغنى في العصر الجاهلي بالجمال والنساء والصحراء والحب وكان يطرب جلالته ويسر نفسه ان يقرأ اشعار زهير وطرفة والاعشى والمتنبي وغيرهم ، وكثيراً ما كان يردد قول المتنبي شاعر الفخر والحكمة :

الخيـل والليل والبيداء تعرفـني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وكثيراً ما كنت أراه يقرأ باعجاب زائد اشعار عنترة المفعمة بأغاني الحرب والمعارك . والحرب هي التي توحي الى الشاعر اشعاره وكثيراً ما مات عربي متأثراً من شعر حماسي أثار اعجابه والهب احساسه وراح جرسه العذب يملأ اذنيه .

ومما كان يروى عن بصولة الفقيد وقوته وصلابة عوده انه كان يملك نمراً اسمه سهاد لا يتناول الطعام الا من يد سيده العظيم ويمشي ابداً في ركابه وكثيراً ما انقذ سيده من موت محقق دبره له الغادرون . ولكن هذا النمر جاع مرة وكان سيده غائباً عن المعسكر مدة يومين ولج به الجوع فغضب وثار وقطع حديده واختبأ منه الجنود ، وعلق النمر سهاد برسول كان قادماً بمهمة لفيصل فكاد يقضي عليه لو لم يأت فيصل ساعتئذ فجأة ويهاجم النمر الجائع ، ونشبت بين الطرفين « الفقيد والنمر » معركة دامية حتى اذا شعر الفقيد بشدة عزيمة النمر رفعه الى ما فوق رأسه وضرب به الارض فأغمي عليه ثم قيده وامر الطبيب بانعاشه وقدم له الطعام وعادت الصداقة بين « النمرين » واخذ سهاد يلحس رجلي سيده كأنه يريد ان يستغفره عما بدره منه ..

***

فيصل السياسي الحاذق

ومما لا ريبة فيه ان الفقيد كان يتمتع بقسط وافر من الالمعية والنباهة وسرعة الخاطر وطول الاناة ورحابة الصدر ، تلك المزايا التي خلقت منه زعيما سياسياً حكيما منقطع النظير ، وملكا عادلا رفع من شأن شعبه واستطاع ان يبلغ به اسمى المراتب.

ويظهر ان للظروف العديدة والحوادث المتنوعة التي مرت على الفقيد كان لها اثر نافذ في تكوين هذه الشخصية الممتازة ، فان جلوس الفقيد الى جانب اساطين السياسة التركية في مجلس النواب العثماني ، واتصاله بالهيئات السياسية العربية ، وتبوأه العرشين السوري والعراقي ، ورحلاته المتتابعة الى باريس ولندن وجنيف ، واتصاله بالمقامات العليا في اوروبا قد اكسبته تجارب عديدة واختبارات شتى حتى استطاع بدهائه وحنكته وثاقب فكره ان يتفق مع المسيو كليمانصو عام ۱۹۲۰ على شروط — لو قبل بها الزعماء — لكان للبلاد السورية وضع مستقر يختلف تماماً عن الوضع المتقلقل الذي انتهت اليه ، ولزالت من جوها هذه الغياهب القاتمة ، كما انه استطاع ان يسير بالعراق اشواطاً بعيدة في ميدان الحرية والاستقلال برغم الصعوبات التي اعترضت سبيله والظروف الحرجة التي تسنم فيها عرش الرافدين .

وهنالك قصص ونوادر كثيرة تروى عن الفقيد وتدل على رجاحة عقله وحسن تصريفه للامور وقدرته على استمالة عدوه واكتساب مودته .

ومما ذكره الاستاذ العقاد ان احد الادباء السوريين اخبره انه حين التقى الفقيد بالملك ابن سعود خطر ان يدخن لفيفة بيد انه ذكر ان التدخين حرام في مذهب الوهابيين فقال للملك الوهابي وهو يمزح : لقد بقيت مشكلة يا اخي نود ان نتكلم فيها الآن .. فهل تأذن بالكلام فيها ؟

وسبق الى ظن الملك ابن سعود ان فيصلا يريد التطرق الى احدى المعضلات السياسية التي لا يسهل التسامح فيها على ملك النجديين فقال ضاحكا : بل الافضل ان نرجئها الى وقت آخر . فلم يسع الملك فيصل الا ان يتمهل حتى سنحت له فرصة للاستئذان فخرج يدخن بعيداً عن الملك الوهابي ، ثم عاد الى لقائه بعد الفراغ من

التدخين ! فلما سمع ابن سعود بالخبر اكبره وكان له ابلغ الاثر في التقريب بين العدوين القديمين ..

واما تقديره لحرية الرأي واحترامه لعقيدة خصمه فالى القارئ الحادثة الاتية : قال الاستاذ فكري اباظه :

في فندق سميراميس في عام من الاعوام قيل لي ان « فيصلا » العظيم يود ان يراك ، فطرت الى الفندق وانا متهيب لقاء الجبار ؛ رجل الحرب ورجل السلم ورجل البناء والتشييد ...

وادخلوني الى غرفة الاستقبال فاذا بالعظيم يقبض على يدي بيديه بحنو غريب وعطف كله وجدان ... واذا بابتسامة وديعة قد ارتسمت على شفتيه ، واذا بي اشعر باني في حضرة صديق من زمن بعيد ...

قال الملك : انا سعيد بلقائك ، وأكون اسعد حالا لو اهديتني مجموعة مقالاتك التي لها مكانة عندنا في العراق ...

قلت : يا مولاي ان هذا لكثير ، انه لشرف عظيم ، وسأفعل بكل اجلال وامتنان ...

وكنت في الواقع كاذباً في وعدي ، وبدا علي الارتباك واضحاً فمجموعة المقالات كانت تتضمن في بعضها طعناً مراً على الملك حسين . فما لبث جلالته ان لمح ارتباكي فقال باسلوب الساسة الكبار :

ارسلها ولا تقطع من اوراقها شيئاً فسأتبع تسلسل نمر الصفحات ، ولا يضيرك ان تكون ذا رأي في الناس فأنت حر وانا اقدر حرية الرأي .. »

فيصل الراعي الصالح

وكان الفقيد على جانب عظيم من دماثة الاخلاق وحسن المعاملة لرعاياه ومرؤوسيه حتى غدا مضرب الامثال في التواضع والديموقراطية ورقة الحاشية .

وقد روى احد الصحفيين انه سافر مع جلالته في باخرة واحدة وكان جالساً (الصحفي) على ظهر الباخرة مع بعض المسافرين على الكراسي الطويلة (الشيز لونج) التي يجلس عليها المرء متمدداً فلمح جلالته يتنزه بالسير مع احد وزرائه ولما رآه يدنو انزل الصحفي رجله عن الكرسي استعداداً للوقوف اجلالا واحتراماً ، فلم تفت جلالته هذه الحركة فسار نحوه وقال حرفياً : « لماذا هذه الحركة .. خليك على راحتك وخليني على راحتي ... ارجوك اجلس » واستأنف السير بعد ذلك وبعد ما قطع سطح السفينة ذهاباً واياباً نحو عشر مرات عاد الى حيث كان يجلس الصحفي وجلس على كرسي بجانبه وقال: ماذا عند صاحبة الجلالة الصحافة ؟ فقال لجلالته : « ان الصحافة معجبة بديموقراطية جلالة الملك فيصل » فوضع احدى يديه في الاخرى كما كانت وقال وهو يشدد في مخارج الالفاظ : « انني يا اخي لا افهم حقيقة ما معنى هذه الكلمة : ديموقراطي ! ولماذا يقولون عني انني ديموقراطي كأنني اعمل عملا عجيباً ، وانا عربي بدوي هكذا نشأت وهكذا عشت وهكذا سأموت ، انا لست سوى فرد من الافراد ، واذا كنت ملكا فلكي أؤدي مهمة ، فهل احتاج لتأدية هذه المهمة الى التوسل بالعظمة والعظمة لله ! »

وكان جلالته يقود يوماً سيارته في عودته من البلاط الملكي الى قصره في مزرعته في الحارثية وكان شاكر بك الوادي مرافقه الاول جالساً الى جانبه فلما وصلت السيارة الى جسر دجلة اضطرت الى الوقوف عند مدخله لان بعض الرعاة كانوا يجتازون الجسر مع مواشيهم فهم شاكر بك بالنزول من السيارة ليأمرهم بالاسراع حتى لا يطول انتظار الملك فما كان من جلالته الا ان استوقفه قائلا : ماذا تريد ان تصنع ؟ » فقال المرافق « اريد ان استعجلهم » فقال رحمه الله « لماذا؟ ماالفرق بينهم وبيني ... بل انا راكب سيارة وفي استطاعتي ان اعوض هذا التأخير.. اما هم فيسيرون على الاقدام ... لا تكن هكذا يا شاكر »

ومما ذكرته بعض الصحف ان جلالته كان ينهب الارض يوماً بسيارته على مقربة من بغداد فاستوقفه قروي عجوز فاوقف السيارة وسأله عن حاجته فقال القروي وهو يجهل شخصه « انا ذاهب الى قرية كذا فارجو ان توصلني اليها في

طريقك » فقال له مرحباً يا عمي » ودعاه الى السيارة واقله الى الجهة التي كان يريد الذهاب اليها ولما بلغها قال له مرافق جلالته « هذا سيدنا فيصل » فاسقط في يد القروي وتلعثم فطيب جلالته خاطره حتى سري عنه ثم ودعه واستأنف سيره

...

وكان رحمه الله مثالا للاب الشفوق على بنيه والراعي الحاني على رعيته وكان واسع الصدر طويل الاناة كثير التغاضي عما يسمعه من هنات او يلقاه من خشونة في المعاملات ، وقد اعاد لنا بذلك صفحة لامعة من حياة الخلفاء الراشدين والملوك العادلين

وقد حدث في اثناء الثورة العربية عندما كان سموه (يومئذ) يقود الجيش العربي الشمالي ان رابط الجيش في مكان يدعى « الكويره » على الطريق الواقعة بين العقبة ومعان فجيء الى القيادة العامة ذات يوم برجل من الاعراب فاجأه الجند وهو في حالة مريبة ، وعندما حقق من المجلس العسكري ثبت لديه ان الرجل جاسوس وانه كان يعمل لحساب العدو وحكمت عليه المحكمة العسكرية بالاعدام وفي صبيحة اليوم التالي نفذ الحكم في الرجل رمياً بالرصاص . وعاد مرافق الامير فيصل ليطلعه على الخبر فقال فيصل :

يعز علينا وايم الحق ان نكون قد وافقنا على اعدام رجل عربي كان بوسعنا ان نضمه الى رجالنا . الا يكفي ان يكون العرب معذبين في اوطانهم ، وان يعلق احرارهم على اعواد المشانق ، حتى نرى انفسنا مضطرين نحن ايضاً الى اعدام رجال من ابناء قومنا ؟

قال هذا وانحدرت الدموع من عينيه .

وليست هذه المره الوحيدة التي رؤي فيها فيصل يبكي فقد روت احدى الصحف انه جيء الى المعسكر العربي في ابي الاسل بامرأة لبنانية معها ابنتها وابنها وكانوا في حالة يرثى لها من الفقر والضعف والهزال . وعندما قصت المرأة على فيصل ما قاسته من جراء المجاعة في لبنان بكى فيصل بألم وامر ان ترسل المرأة وابنتها وابنها الى مصر

فيصل التقي الورع

لم تؤثر مظاهر الحضارة الغربية الخلابة في نفس فيصل ، ولا بهرته مباهجها وملاذها بل ظل في جميع تنقلاته ورحلاته العديدة في الممالك الاوربية متمسكا باهداب دينه القويم ومحافظاً على الشعائر الاسلامية كل المحافظة يؤدي الصلوات في اوقاتها ولا يأبه للمشاغل العديدة والظروف الشاذة التي كانت تعترض سبيله ويأبى ان يسف الى المستوي الذي لا يتفق مع جلال قدره وشرف محتده . وقد اجمع رجال حاشيته واصدقاؤه الذين رافقوه في اسفاره وصحبوه في اقامته انه لا يعرف طعم الخمر حتى ان وزراءه ورجال حاشيته كانوا يحترمون عاداته فيأنفون من تناول المشروبات الروحية في حضرته

فيصل وشؤون التعليم والتهذيب

كان يعتقد جلالة الفقيد ان لا حياة للامة الا برفع مستواها التعليمي والثقافي وهو من اجل ذلك اعتمد على نخبة صالحة من رجال التربية والتعليم في العالم العربي وعلى رأسهم الاستاذ ساطع الحصري ووسد اليهم امر اصلاح حالة المعارف في العراق وكلف الحكومات التي تعاقبت في عهده بان تقدم لهم كل التسهيلات الممكنة وبذلك تقدم العراق اشواطاً بعيدة في مضمار العلم والتربية وازداد عدد المدارس الاولية زيادة محسوسة

ومن ارائه في التعليم ما تحدث به الى احد الصحفيين المصريين اذ قال : ان ان الاستقلال الحقيقي لا يشيد الا على دعائم المدنية والمدنية الحقيقية لا تقوم الا على التعليم فالتعليم هو الركن الاكبر وحجر الزاوية لكل امة تبغي التقدم

وقد دعا مرة مؤتمر المعلمين العراقيين الى الشاي في حديقة قصره فكان



جلالة الفقيد الاعظم المغفور له الملك فيصل بن الحسين قدس الله روحه



يتنقل بين موائدهم ويلاطفهم ويحادثهم في شؤون صناعتهم ثم القى فيهم خطاباً جامعاً قال فيه : « لو لم اكن ملكا لكنت معلما »

وذكر احد العراقيين ان جلالته زار احدى المدارس الابتدائية زيارة طويلة وسجل اسمه في عداد مدرسيها.

ويجب ان لا يفوتنا ان المجمع العلمي العربي الذي تفاخر به دمشق جميع الاقطار الناطقة بالضاد ، والجامعة السورية ، هما من غرس يديه ايام ملكه السعيد في البلاد السورية .

وكان جلالته طيب الله ثراه اول من دعا الى عقد مؤتمر عام لتوحيد الثقافة العربية منذ بضعة اعوام.

ويجب ان لا ننسى اياديه البيضاء على فرق الكشافة وعطفه عليها وتشجيعه اياها ولا يزال اخواننا في سورية وفلسطين ومصر يذكرون تلك الفرقة الكشفية الاخيرة التي اوفدها جلالته الى الاقطار العربية المتجاورة ونعت افرادها برسل الوحدة العربية .

فيصل وفكرة توحيد القطرين

اما ان الفقيد العظيم كان يحب سورية ويعطف على قضيتها ويتمنى لها كل خير وفلاح فهذا امر يشعر به السوريون انفسهم وقد لمسوه بايديهم عندما انقذهم من بطش طغاة الاتحاديين واسس لهم ملكا عربياً فتياً فأجمعوا على مبايعته وتتويجه .

ولعل اكثرنا يذكر تلك الاستقبالات العظيمة والاحتفالات الشائقة المنقطعة النظير التي كانت تقام في جميع انحاء المدن الشامية من سورية وفلسطينية ولبنانية عند سفره وعودته من اوروبا ايام الحكم العربي .

والسوريون يذكرون ايضاً ان الفقيد فارق هذه البلاد وفي قلبه لوعة كامنة وفي مقلتيه عبرات تترقرق لانه كان متيما بحبها ومعجباً بمواهب بنيها وكان يريد ان يتخذها قاعدة للوحدة العربية الكبرى .

ولم تكن اعباء الملك ومتاعب الحكم في العراق لتصدفه عن العمل لخير سوريه والسعي لتسوية قضيتها في كل فرصة سانحة . ولقد حدثنا معالي الدكتور شهبندر حديثاً طريفاً عن العطف الذي شمل به جلالته وفد الثورة السورية الذي ام ارض الرافدين منذ اربعة اعوام لاستدرار اكف العراقيين وحضهم على مؤازرة المنكوبين والمحتاجين ، وما نفحهم به جلالته من مساعدات ومعونات واجراء لهم من تسهيلات.

ومما يجب التنويه به ان جلالته اجتمع باقطاب الثورة السورية على مقربة من حدود شرق الاردن عام ١٩٢٧ واسرب لهم عن استعداده لمفاوضة الفرنسويين والاتفاق معهم على حل يحفظ للسوريين حقوقهم ويصون كرامتهم واتفق مع زعماء الثورة على مطالب معينة عرفت بعد ذلك بالميثاق القومي ..

ولقد كان جلالته يتألم كثيراً من انباء الانقسام الذي دب في صفوف السوريين بمصر وقد اتفق ان وفداً منهم توجه للسلام على جلالته اثناء مروره بالقاهرة في طريقه الى اوروبا فقال لهم جلالته : « يؤسفني جداً ان استقبلكم متفرقين ، فقد جاءني قبلكم وفد آخر فشعرت بالخلاف الذي تسرب اليكم ، ولما كانت قضيتكم لا تحل الا اذا وحدتم صفوفكم وازلتم ما في قلوبكم من حقد وتغاضيتم عن مصالحكم الشخصية والحزبية فعسى ان اراكم في المرة القادمة صفاً واحداً وحزباً واحداً »

ولا ابيح سراً اذا قلت ان مضابط التوكيل التي وقعتها البلاد السورية في هذا العام كانت بمعرفته ورضائه وذلك ليس لانه بحاجة الى توكيل جديد فهو ابن القضية البار وبطلها المغوار وفارسها الذي لا يشق له غبار ولكن بغية الاستئناس بها في جمعية الامم وبعض الاوساط السياسية فيما اذا دار البحث حول القضية السورية

وحينما تشرفت بمقابلة جلالته في عمان قال لي قدس الله روحه ما يلي بالحرف الواحد : « ان فكرة توحيد القطرين هي ليست فكرة خيالية كما يتوهم البعض بل هي فكرة عملية يمكن تحقيقها ان آجلا او عاجلا ، وهي تحتاج الى كثير من الثبات والاتحاد والتضحية ، ويجب ان تعلموا ان هذه القضية ليست تهم العراق وسورية فحسب بل انها في الواقع تهم معظم الدول الاوروبية وعلينا ان نتذرع بجميع الوسائل المؤدية الى تحقيقها . »

ويؤخذ مما ذكرته بعض الصحف ان جلالته اهتم في ايامه الاخيرة كما اهتم سابقاً بفلسطين وقد جرت بينه وبين رجال الامر في انكلترا احاديث تناولت القضية الفلسطينية في شتى نواحيها ، وقد اشارت الجامعة الاسلامية الى النقاش الذي دار بين جلالته ومستر مكدونلد والذي انتهى بان قدم جلالته مذكرة ضافية عن فلسطين.

فيصل والقضية العربية العامة

ولم تكن فكرة توحيد القطرين هي الهدف الاسمى الذي كان يطمح اليه فحسب بل كانت امنيته القصوى تحرير البلاد العربية جمعاء وتحقيق الوحدة الكبرى التي حارب الاتراك من اجلها لاعتقاده بان هذه الاقطار لا يمكنها ان تعيش مجزأة لانها تمت الى ارومة واحدة وتنحدر من عنصر واحد .

والتاريخ يسجل له بمداد الفخر واحرف من نور كونه هو البادئ في مصالحة جلالة الملك ابن سعود ومصادقته وانه هو الداعي الى وضع اسس الحلف العربي وانه اول من بعث فكرة عقد مؤتمر عام للشعوب العربية وهيأ لها الجو المناسب في مدينة بغداد .

ولم تكن قضية العراق المحلية لتشغله عن القضايا العربية الاخرى من سورية وفلسطينية وحجازية ويمانية وحري بنا ان نذكر كتابه البليغ الذي وجهه قبيل وفاته بايام الى الامامين يحيى حميد الدين وعبد العزيز سعود يدعوهما فيه الى التفاهم والاتفاق حقناً للدماء العربية الذكية ويحذرهما من مغبة الحرب اذا نشبت وما تجره من الويلات على القضية العربية . ولا يخفى ما كان يعتور جلالته حينئذ من المتاعب والصعاب بسبب فتنة الاشوريين التي كانت قائمة على قدم وساق .

ومما رواه عطوفة الامير شكيب عن موقف جلالة الفقيد ازاء هذا الخلاف بين العاهلين انه اخبر جلالته عن البرقية الجوابية التي وردت من امام صنعاء الى موسى كاظم باشا الحسيني يؤكد له فيها انه لا يحصل الا الخير ، فاشرق وجهه رحمه الله

لهذا الخبر وعد ذلك بشرى . قال الامير شكيب : « وقد يستغرب من يقرأ كلمتي هذه ان يكون فيصل سر واستبشر بكون الامام يحيى لا يهدد الملك ابن سعود الذي اخذ الحجاز من يد الملك حسين والد الملك فيصل ولكن فيصلا كان كبيراً وكانت مالئة نفسه القضية العربية قبل القضية الهاشمية ، والوجه عنوان القلب ، فلو لم يكن ثلج صدره بذلك الخبر لما كان اشرق وجهه وانا اشهد بذلك واشهد الله علي وهو خير الشاهدين » ثم قال لي (للامير) رحمه الله وقدس روحه ما يأتي :

« عندما مررت هذه المرة بمصر جاءني فؤاد حمزه فقلت له : يا فؤاد بك ان لم يهمني عبد العزيز بن سعود كملك من آل سعود بصفته الشخصية فانه يهمني كملك لجانب كبير من العرب فاريد منك ان تقول له اني حاضر لاجراء اي شيء يريده فماذا يريد ؟ فليقل لي واني مبلغك لتقول له بصفتك وكيلا لخارجيته : انه اذا تحارب مع الامام يحيى فلا يحصل ادنى خير للعرب من هذه الحرب بل يستغلها الاجانب ولذلك تراني مهتما اشد الاهتمام بان لا يقع بينهما شيء ، فقل له ماذا يريد لاخدمه به في قضية التأليف بينه وبين الامام يحيى ؟ »

قال الامير شكيب : عندما كان يقول لي (اي الفقيد) هذا الكلام كنت اقول في نفسي كم تكون ثمينة حياة رجل كهذا للعرب ؟ ولقد انصرمت وا أسفاه تلك الحياة الثمينة مساء ذلك اليوم بعينه !

اجل لقد كانت فكرة تحرير البلاد العربية وتوحيدها الشغل الشاغل لذهن الفقيد والى القراء هذه القصة الطريفة التي يرويها لنا الاستاذ رفائيل بطي من كبار الصحافين العراقيين والتي تنم عن الآمال العظيمة التي تجيش في صدر جلالته قال:

اذكر انني كنت على ظهر الباخرة العراقيـة التي حملت الركاب الملكي الى البصرة سنة ١٩٢٣ عنـد ما قام الملك برحلة في بعض مدن الجنوب ليمهد السبيل للانتخابات النيابية للمجلس التأسيسي . وكانت تقضي علي واجباتي الصحفية ان ألم بالكيفية التي يقضي الملك وقته بها . فلما رأيته منفرداً على سطح الباخرة يطالع كتاباً اجتهدت أن اعرف موضوع الكتاب الذي بيده ، وعند ما ترك جلالتـه الكرسي ليشرف على ساحل النهر انتهزتها فرصة وتقدمت من المنضدة التي عليها

الكتاب فاذا به « تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا » تأليف الدكتور محمد صبري (المصري) .

وأعلمني وزير الاوقاف السابق بعد ذلك بمدة طويلة أن جلالة الملك أعطاه عند مثوله بين يديه هذا الكتاب وقال له يجب أن يدرس العراقيون هذا التاريخ ليعرفوا كيف يؤخذ الاستقلال .

قال الاستاذ بطي : وذكر معالي زكي بك وزير العدلية في وزارة العراق الحالية ان جلالة الملك فيصل استدعى الوزيرين اللذين رافقاه في رحلة قصيرة قام بها الى البصرة قبل زيارته الاخيرة للندن الى حجرته في الباخرة ، وظل يحادثهما مدة ثم التفت الى المنضدة التي عن يمينه وقال لهما « هذا الكتاب باللغه الانكليزية يبحث في الوحدة الايطالية . أقرأ فيه وأرى ان في الامة العربية الاستعداد الكافي للوحدة الكبرى . ومن يدري فقد يقوم غداً مؤلف اوربي كبير فيؤرخ الوحدة العربية كما أرخ هذا المؤلف الوحدة الايطالية »

ولا أدل على تفاني جلالته في حب لغته وتمسكه باهداب قوميته العربية من الحديث الذي روى عن جلالته من انه كان من بضعة اعوام مدعواً في لندن الى حفلة مسائية في قصر من قصور كبرائها وفي اثناء السهرة دار الحديث عن العرب وآدابهم وحماستهم ووقف فيصل في وسط الجمع وأخذ ينشد اشعاراً عربية . قال كاتب انكليزي شهد هذا الحادث ووصفه فيما بعد ان عيني الملك فيصل كانتا تفيضان نوراً وكأنهما كانتا تتجهان الى البلاد التي تسطع فيها الشمس حيث أوحي بهذه الاشعار

بل ان الصحف الفرنسويه نفسها المخاصمة لجلالة الفقيد لم تستطع كبح جماح عواطفها فوصمته بأنه كان يعمل لخير العرب والى القراء ما قالته جريدة الدبا : « ان الفقيد كان يبث الفكرة الوطنية العربية وينميها بعناية واهتمام وهو لم يكن صديقاً لفرنسا بل كان يحاول اخراجنا من سورية على رغم الاتفاقات المعقودة ... »

وقال المؤرخ التركي الشهير عمر رضا بك : لقد كان الملك فيصل يعرف حقيقة نوايا العرب نحوه ولذا كان كثير التأثر شديد الاضطراب لعدم استطاعته

أجبار الدول المسيطرة على تحقيق وعودها

وصرح أحد اقطاب الحركة العربية المتصلين بجلالة الفقيد لمكاتب صوت الاحرار من فلسطين بأن الفقيد رأى من وسائل تحقيق الوحدة العربية أن يعقد مؤتمر عربي عام يمثل الناطقين بالضاد وانه من اجل تحقيق هذه الفكرة فتح خزائنه وأعرب عن استعداده لوضع مبلغ خمسة آلاف جنيه تحت تصرف المؤتمرين وأنه يفتح ابواب العراق لعقد هذا المؤتمر فيه

فيصل والاتحاد الطائفي

أقر الفقيد العظيم مبدأ الوحدة القومية العامة واتخذه منهاجاً له في حياته لا يفرق بين المسلم والمسيحي والاسرائيلي ولا يسمح بأن تثار في عهده النعرات الطائفية الممقوتة التي كان كثيراً ما يؤرثها المستعمرون فيبادر جلالته الى اخمادها واطفاء جذوتها

وقد بلغ من عطفه على اخواننا المسيحيين أنه قربهم اليه ووسد اليهم ارفع الوظائف (في ايام حكمه بسورية والعراق) وقد قص علينا الاستاذ عيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين وكان كاتبا للبلاط الملكي في سورية قبيل نزوح فيصل منها وانتقاله الى العراق ان سموه (وكان اميراً حينئذ) كان قد أصدر أمره بمنح مشايخ حوران خلعة لكل منهم ، فلما رأى مشايخ المسيحيين انهم استثنوا من هذه المنحة الاميرية اعتبروا ذلك اهانة لهم فجاء بعضهم الى الديوان وطلبوا من الاستاذ العيسى كاتب البلاط ان يبسط ظلامتهم لسموه وأعربوا عن شدة تعلقهم بالحكومة العربية . فعرض الامر على سموه فتأثر من ذلك وقال انها لغلطة يجب تداركها في الحال فعاد للمشايخ وقال لهم ان سموه لم يغفل عن ذلك وانما طلب من البطريرك جدولا باسماء مشايخ المسيحيين لهذه الغاية ومتى جاء الجدول كان لكم ما كان لاخوانكم المسلمين وبعد انصرافهم طلب الاستاذ العيسى الى البطريركية

وضع جدول بالاسماء ففعلت وقدر ثمن تلك الخلع فارسل المبلغ نقداً الى غبطة البطريرك ليتولى توزيعه عليهم وليشتري كل منهم الخلعة التي يختارها

ويجب ان لا ننسى ان غبطة البطريرك غريغوريوس كان من اعز أصدقاء الفقيد حينما كان اميراً فمنكا على سورية وهو اول من بايع جلالته من الرؤساء الروحيين مبايعة خالصة في دار البلدية ، عند ما أعلن تتويجه على عرش البلاد .

وقد علمنا ان جلالته حينما غادر دمشق على أثر معركة ميسلون المشؤومة لم يخرج لوداعه من جميع ابناء رعيته سوى غبطة البطريرك المذكور

وكان في طليعة المقربين الى جلالته القس حبيب اسطفان احد الرؤساء الروحيين المارونيين في لبنان والخطيب المشهور فقد آثر سيادته ان يتخلى عن كنيسته ويخلع ثوبه الكهنوتي وينضم الى حاشية المليك الفقيد بعد ما رآه من دماثة اخلاقه ورقة حاشيته وشدة عنايته بالاقليات الطائفية

ومن الحوادث التي تروى عن جلالته بهذا الصدد ان بعض الادباء زاروا جلالته مرة في بغداد فقدم أحدهم اخوانه الى جلالة الملك بقوله : هذا فلان وهو سني وهذا فلان وهو شيعي ، وهذا فلان وهو نصراني فقال جلالته حسبي ان يقال لي هذا عراقي ولا أحب ان اعرف اكثر من هذا

ومما يروى ايضاً بهذا الصدد ان الرؤساء الروحيين في بغداد توجهوا مرة الى القصر لزيارة جلالته وتهنئته على بلوغ العراق مرحلته الاخيرة ناسبين ذلك الى دهاء جلالته وجهاده وسعيه فقال جلالته في تواضعه وتصاغره : « ان الذي نال العراق حصل عليه بواسطة ادعيتكم وصلواتكم وليس لي فيه ادنى نصيب »

وروى الاب انستاس الكرملي أحد اقطاب اللغة العربية في بغداد القصة الآتية : كان احد الادباء قد اوسع نصرانياً سباً وشتما وضرباً ولكماً ، في منازعة جرت لهما . وحكى عمله هذا لسيد البلاد واراوي يذكر أسباب عمله ذاك ، ثم حاول ان يزكي نفسه ويطلب من الملك استحسانا لفعله هذا ، فقال له أبو غازي : (لقد برئت منه الذمه) وهو يشير بهذه الكلمات ، الى الحديث النبوي ، الذي اورده بحروفه ، ومعناه كما قال ابن الامير : (ان لكل أحد من الله عهد بالحفظ والكلاءة

فاذا القى يده الى التهلكة ، او فعل ماحرم عليه ، او خالف ما أمر به ، خذلته ذمة الله تعالى) فلما سمع الاديب هذا الكلام الصادق في مبناه ومعناه ، لازم السكون الى آخر الجلسة ولم ينطق ببنت شفة

خلاصة تاريخية وافية

عن حياة الفقيد العظيم

رزق المغفور له الملك حسين اربعة انجال وهم : الملك علي والامير عبد الله والملك فيصل والامير زيد

وكانت ولادة الملك فيصل في مكة المكرمة في ٢٠ ايار سنة ١٨٨٣ (٣٠٢ هجرية) ، وقد كان كبار اشراف الحجاز يأتون لابنائهم بمعلمين يقرئونهم القرآن ويعلمونهم الكتابة والحساب والتاريخ والجغرافيا ويؤدبونهم في داخل قصورهم فلا يدخلون المدارس ولا ينتظمون في صفوفها . ويقول بعضهم انهم كانوا يفعلون ذلك لقلة الموجود من هذه المدارس في مكة وعدم استيفاء هذا القليل للشروط الصحية . ويقول آخرون أن منشأه عقم الاساليب التي كانت تتبع في التعليم

وبينما كان ابناء الاشراف يدرسون العربية على مؤدبيهم كانوا يتعلمون التركية في داخل قصورهم لانها لغة قريناتهم وسراريهم وجواريهم وكانوا يجيدونها كتابة وتكلما الى جانب لغتهم العربيه ويدرسون آدابها .

وكانوا يتعلمون أيضاً الفروسية وركوب الخيل من الصغر الى جانب العلوم الاخرى ، ويتمرنون على اطلاق النار وضرب السيف فيشبون فرساناً يحسنون الكر والرماية

ولما بلغ الملك فيصل السادسة من عمره ارسله والده الى قرية رحاب وهي بلدة محمد بن عون جد هذا الفرع من الاشراف . وقد اشتهر بانضمامه الى المرحوم

محمد علي باشا حينما جاء الحجاز لمحاربة النجديين سنة ١٨١٢ فحفظ له الباشا هذه اليد وأقطعه خمسة الاف فدان في مصر ولا يزال الفان منها وقفاً على سلالته. وتقلب بعد ذلك عدد من امراء هذا البيت على امارة مكة آخرهم (الشريف) الملك حسين فكان رحمه الله آخر اشراف مكة

وقضى فيصل ست سنوات في رحاب بين ابناء عمومته وخؤولته وأخذ يركب الخيل والابل ويضرب بالسيف ويطلق الرصاص

وارسل الى مكة وهو في الثانية عشرة وقد بلغ أشده فجيء له بمؤدبين ومعلمين ولم يطل به المقام بل غادر الحجاز الى الاستانة مع اسرته عملا بامر السلطان عبد الحميد فنزلوا في قصر الدلى فوءاد باشا في استينية وقد خصصه السلطان لهم وعين والده عضواً في مجلس شورى الدولة سنة ١٨٩٦

وعاش في تلك العاصمة نحو عشر سنوات وفيها تزوج بابنة عمه ثم غادرها الى مكة سنة ١٩٠٨ حينما عين والده شريفاً لها

عاد جلالته الى الحجاز وقد اكتملت رجولته وظهرت مواهبه فأدناه والده منه وولاه قيادة الغزوات التي كان يقوم بها لاخضاع القبائل وتأديبها. وفي سنة ١٩٠٩ انتخب نائبا عن لواء جدة في مجلس النواب العثماني فكان يذهب كل سنة الى الاستانة ليشترك في اعمال البرلمان ثم يعود بعد انقضاء دورته فينضم الى والده ويساعده في ادارة منصبه الخطير

ولما ثار السيد محمد الادريسي على الدولة العثمانية في تهامة سنة ١٩١١ مغتنما فرصة اشتباكها في الحرب مع الطليان وهم الذين ساعدوه ومدوه بالسلاح اضطرب موقف الدولة في اليمن فاستنجدت بالشريف حسين اميرمكة طالبة مساعدته في التنكيل بالادريسي فلم يتردد في تلبية الطلب وجند حملة بقيادة نجله عبد الله وفيصل سارت من مكة حتى ابها (عاصمة عسير) فطردت انصار الادريسي وخضدت شوكته واعادت تلك البلاد الى الدولة. ويقول الذين شهدوا تلك الحملة ان فيصلا أبلي فيها بلاء حسنا وانه كان يسير في مقدمة الجيش ويشترك في المعامع فأحبته القبائل لشجاعته

وللمرة الاولى زار سورية سنة ١٩١٣ فقد خاف ولاة الامور الترك ان يهاجم البدو المحمل الشامي في عودته من الحجاز الى الشام، فرافقه على رأس قوة من الجند لحمايته فلم يحدث له حادث. واقام مدة في دمشق فتعرف الى رجالها ومفكريها ودعاة الجامعة العربية من ابنائها مما سهل له العمل بعد ذلك ..

وجاءها ثانية في سنة ١٩١٥ في طريقه الى الاستانة، وقد اختار السفر بهذه الطريق دون البحر لان الحلفاء ضربوا الحصار على موانئ تركيا من ابتداء الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ومنعوا دخول البواخر اليها وخروجها منها لما اظهرته من ميل الى الالمان، وقد دخلت الحرب الى جانبهم بعد ذلك. وبعدما ختمت الدورة البرلمانية عاد ثانية الى دمشق وحل ضيفاً في منزل آل البكري، وقيل ان الترك ارادوا من اقامته في دمشق ان يكون الى جانب احمد جمال باشا القائد العام في سورية يومئذ فيساعده في حملته على مصر. وقيل انهم ارادوا ان يكون رهينة لديهم لكي يأمنوا انتقاض والده. واقبل رجال الشام ومفكروها واعيانها عليه يدعونه الى اقناع والده باعلان الثورة على الاتحاديين وخلع طاعتهم وانشاء دولة عربية، لما ظهر من سوء نية هؤلاء وتعمدهم اذلال العرب وعزمهم على اعدام مفكريهم وادبائهم والصفوة المختارة من رجالهم ونفي عائلاتهم رغم ما اظهره العرب من اخلاص للدولة في سنة الحرب الاولى وما بذلوه من تضحيات تأييداً لها.

وقد تذرع الفقيد بمختلف الوسائل كي يقنع احمد جمال باشا بالعدول عن فكرته الجهنمية الطائشة فلم يفلح ثم لم يجد مندوحة من المسالمة والتودد الى الطاغية جمال بعد ان استوثق من سوء نية الاتحاديين فخابر والده بهذا الخصوص وحضه على وجوب الاستعداد للثورة.

ومما يجب الاشارة اليه في هذا المقام ان الحكومة التركية كانت عينت القائد وهيب باشا والياً على الحجاز فاخذ يحاول تطبيق برنامج الاتحاديين فقاومه الملك حسين ونجله الملك فيصل بشدة واستحكم الخلاف بين الطرفين مما افضى الى استدعاء وهيب باشا للاستانة واستبداله بغيره.

وقد اتفق في ذلك الوقت ان الحكومة التركية كانت كتبت الى الملك حسين

(شريف مكة) تطلب منه امداد الحملة الزاحفة على القنال بجيش من متطوعة العرب فرد عليها الشريف مظهراً استعداده التام لتعضيد جيش الخليفة ولكنه ينقصه السلاح والذخيرة ..

واحدث هذا الرد الودي ارتياحاً عظيماً لدى السلطات التركية وصدرت الاوامر في الحال بارسال كمية كبيرة من السلاح الى الحجاز وارسل السلطان مبلغاً وافراً من المال الى شريف مكة لينفق على هذا الجيش ، ومن ثم بادر الحسين الى تجنيد المتطوعة وحشد الفرسان.

وقد استطاع الفقيد العظيم بلباقته ودهائه ان يخدع جمال باشا ويؤكد له بان جيش متطوعة العرب الذي تألف في مكة قد غادرها ميمما وجهه شطر دمشق لعرض اخلاصه للحكومة التركية والانضمام الى كتائب الجيش ..

فيصل والثورة العربية

ولما اطمأن جمال باشا الى صحة هذه الانباء اخذ يتودد الى فيصل وذويه ويعامله معاملة حسنة ثم اقتنع بالفكرة التي بسطها له وهي ارسال وفد خاص لاستقبال شقيقه (الامير) علي وجيشه المتطوع وكلفه ان يكون على رأس هذا الوفد ..

وهكذا خرج الامير فيصل من دمشق وبصحبته نفر من الضباط لملاقاة الامير علي فوصلوا الى المدينة ومكثوا فيها يومين ، وكان المفروض ان يعود ذلك الوفد الى دمشق بعد ان قضى المهمة التي قدم لاجلها ... ولكن الامير فيصل ابى العودة اليها متذرعاً ببعض الاعذار ، ولكي يزيل ما علق من الريبة في نفوس بقية رجال الوفد من الضباط الاتراك اخبرهم بانه اتفق مع جمال باشا على الانتظار في المدينة ريثما ترده اشارة منه تنبئه بالطريق التي يجب ان يتجه فيها الى دمشق مع القوات العربية المتطوعة ..

وكان الفقيد قد اصطلح مع نسيب بك البكري قبل عودة الوفد من المدينة

على نص خفي لبرقيتين احداها ترمز الى اعلان الثورة وضرورة هرب الثوار من دمشق والاخرى ترمز الى تأجيل ذلك ..

ولم يكد الوفد المتقدم ذكره يصل عائداً الى دمشق حتى تلقى نسيب بك برقية من الفقيد هذا نصها : دمشق ــ نسيب البكري

« ارسلوا الفرس الصفراء »

وكانت هذه البرقية اشعاراً من فيصل ببدء الثورة حسب الاتفاق . ومن حسن الحظ ان جمالا الطاغية لم يكن حينئذ في دمشق بل كان في القدس ، وبذلك تمكن آل البكري وبعض رجال فيصل من الفرار، وفي ذلك اليوم اطلق الحسين بن علي في مكة الطلقة الاولى ايذاناً بالثورة ..

بعد ان اجتمع الفقيد بشقيقيه علي وعبد الله في المدينة المنورة وقضوا ثلاثة ايام يبحثون الحالة سافروا الى مكة واعلنت الثورة العربية بعد سفرهم (٩ شعبان سنة ١٣٣٥ ــ ١٠ حزيران سنة ١٩١٦) واغراضها تنحصر في تحرير البلاد العربية وانقاذ الحجاز من المجاعة التي تهدد ابناءه ..

وتقسم الاعمال الحربية التي قام بها الفقيد في اثناء الثورة العربية الى ثلاثة ادوار: الدور الاول من منتصف سنة ١٩١٦ الى اواخر سنة ١٩١٧ وقد وجه جيشه الى جهات المدينة لمحاصرتها ولم يكن لديه في ذلك الحين جيش نظامي وكان جيش الترك متحصنا في استحكامات قوية . فاكتفى بالمحافظة على الطريق التي تصل المدينة بمكة وانشاء قاعدة حربية في رابغ ،

وفي شتاء سنة ٩١٧ هجم هجوما عنيفا للاستيلاء على مدينة ينبع شمالي رابغ . وكان يتولى الاعمال الحربية بنفسه فتمكن حينئذ من صد الترك بينما كان اخوه عبد الله يتقدم شرقي المدينة ويقوم بحركة التفاف حولها من الشمال . وبعدها تقدم بجيوشه الى الوجه وقطع سكة حديد الحجاز بين الحرا وتبوك . وكانت للاتراك آنئذ ثلاث قواعد حربية اهمها تبوك ومعان .تتصل بمخافر عديدة

ويبتدئ الدور الثاني منذ قيام القبائل في اواخر سنة ٩١٧ لشد ازر الفقيد في حمله على العقبة لاحتلالها

وهناك نظم فرقتين مجهزتين بالمدافع وبوسائل النقل . وقد هاجم الاتراك مرتين في تلك السنة في العقبة ووادي موسى فصدهم صداً حاسماً . وفي شهر اكتوبر من تلك السنة اغار والجنرال نوري السعيد على معان فاحتل جرف الدراويش . وفي شهر نوفمبر هاجم الاتراك قوات العرب ففشلوا وفي سنة ١٩١٨ هاجم المغفور له فيصل معان مركز دفاع الاتراك الاساسي واحدق بها من كل جانب وضرب حولها نطاق حصار . ثم نشبت معارك شديدة لاكراه العدو على التسليم . وقد اسر ثلاثة آلاف اسير وغنم ٤٠ مدفع متراليوز واربعة مدافع كبيرة

ويبدأ الدور الثالث (وهو الدور الفاصل) في شهر سبتمبر ايلول سنة ١٩١٨ حين كان من مهمة الفقيد مهاجمة درعا والتمهيد للهجوم العام . فجعل يزحف على درعا غير مكترث بالصعاب التي يلقاها في صحرا واسعة لاسبيل الى السير فيها الا بعد اعداد مؤونة كبيرة . وكانت القوة التي زحفت معه مؤلفة من الف فارس و٣ آلاف جندي و٢٤ مدفع متراليوز وسيارتين مصفحتين . وفي ١٧ سبتمبر احتل سكة الحديد شمالي درعا بحيفا . وابتدأ الهجوم البريطاني العام في اليوم التالي . وانسحب الجيش التركي الرابع المرابط في جهات السلط فصمد له جيش فيصل وغنم منه عدداً من الاسرى . وفي ٢٨ ايلول احتلت قوات فيصل النظامية مدينة درعا ثم زحف على دمشق فاتحاً في اول تشرين اول سنه ٩١٨ وكان قد أسر بينها وبين درعا ٩ آلاف اسير ثم زحف بقوته الى شمالي سوريا فاحتل حمص في ١٤ تشرين اول وحما في ١٦ منه ثم سارع لاحتلال حلب قبل ان يحتشد الترك فيها ويجعلوها قاعدة لهم ، وكانت حاميتها مؤلفة من ٣ آلاف جندي فقام جيش الفقيد بمظاهرة حربية من الجنوب وهاجمها من الشمال ودخلتها رجاله في ٢٥ تشرين الاول واحتلوا القلعة ودار الحكومة وفي ٢٦ منه هاجم الترك في القسم الذي انسحبوا اليه وراء حلب واكرههم على الجلاء عنه

وبعد ان استقر المقام بجلالة الفقيد في الديار السورية وجه همته الى تنظيم شؤونها واقامة الحكم على أسس ديموقراطية صحيحة وانشاء المؤسسات النافعة . ونحن نترك الكلام في هذا المقام الى الصديق الكريم الاستاذ معروف الارناؤوط

فقد انشأ فصلا خاصاً عن اعمال الفقيد العزيز في عاصمة الامويين ثم انتقاله الى عاصمة العباسيين

فيصل في عاصمة الامويين

بقلم الاستاذ معروف الارناؤوط

هو فيصل بن الحسين بن علي حفيد محمد بن عبد الله سيد الدنيا بلا نزاع اضاء نجمة ولمع مرتين اثنتين الاولى في ثورته الراميه الى تحرير الجنس العربي ، والثانية في مؤتمر الصلح ، وقد ظهرت سلائقه على الرغم من رقابة انكلترا له واحاطته بلورنس الذي لم يكن يفارقه ليقف على الكبيرة والصغيرة من اعماله

حضر مؤتمر الصلح الاوربي في اليوم السادس من شباط ١٩١٩ وكان يلبس الكوفية والعقال فبهر منظره ووجهه الجذاب جميع الذين حضروا هذا المؤتمر من اساطين السياسة العالمية ولقد كان الشهيد الغالي يعرف ان اوربا تجهل العرب ولا تعرف من امر ثورتهم شيئا بل ان اوربه لم تكن تحيط باسباب هذه الثورة واغراضها فلما طرح قضية البلاد العربية على مؤتمر الصلح سمع العالم الاوربي للمرة الاولى اسم الشعب العربي وكان من دواعي الفخر لسيد الزعماء ورئيس الرؤساء واخلص رجل في هذا الوجود ان يطالب باستقلال آسيه العربية سورية والعراق والجزيره والحجاز ونجد واليمن ولم يمتنع وهو يتحمس في الكلام عن استقلال وطنه ان يطلب من اوربه في كثير من التسامح معونتها في اختيار الفنانين والخبراء ليساعد هؤلاء على ترقية البلاد الجديدة وكان يرى ان الحجاز وسورية يؤلفان بلداً واحدا ومملكة مستقلة

٢

دهشة مؤتمر الصلح

ولفت فيصل الزعيم انظار رجالات المؤتمر الى فصاحة لسانه فقد كان يتكلم بحماسة عن الفائدة التي ستجنيها اوربه من حرية الجنس العربي هذا الجنس الذي لم

تمكنه الفتوحات الاجنبية في بلاده من استعمال مواهبه الفطرية وقد تجلت صراحته حينما طلب الاستقلال التام الناجز للحجاز ونجد واليمن وحدد العلاقات بين هذه البلاد وقال عنها انها كفيلة بنشر السلم في جزيرة العرب ونشرت جريدة ايبوكا الايطالية في ذلك اليوم التاريخي من حياة العالم فصلا ممتعا بعنوان « احلام ملك » والحقيقة ان احلام الملك كانت عظيمة الى مدى لايستطاع وصفه فقد كان يريد ان يجعل من سورية وطنا للعرب وللقومية العربية ، ولماذا لاتكون سورية هذا الوطن ؟ وهي التي لعبت في حياة العالم العربي كله دورا لم تلعبه اي مدينة اخرى !

وكان سوريا بكل مافي كلمة السوري من معنى جميل جذاب وكان عربيا بكل مافي كلمة العربي من شمم وعنفوان ونبل واستقامة ومن حسن الحظ ان هذه السلائق الطيبة لم تكن مجهولة فقد ظهرت تماما في مؤتمر الصلح فاستحق عليها تهنئة المعجبين من رجالاته

جلاء الجنود البريطانية عن دمشق

في اليوم الخامس من شهر شباط سنة ١٩١٩ اعلن اركان حرب الحلفاء خبر جلاء الجيوش البريطانية المحتلة عن سورية وصرحت بريطانية ان الجيوش الفرنسوية ستحل في دمشق وحلب محل جيوشها طبقا للمعاهدة المعقودة في شهر نيسان من سنة ٩١٦ وهي المعاهدة التي تبيح لفرانسه نشر نفوذها في سورية ولكن هذه التدابير لم تضعف من عزيمة الزعيم النبيل فسافر الى باريس واتصل بالمسيو كلنصو وكان الوزير الافرنسي يحب الزعيم العربي ويحترمه فما ان كاشفه بميوله في قضية استقلال سورية حتى اظهر المسيو كلنصو استعداده الحسن لاعلان استقلال البلاد وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ٩ ١٩ وصل فيصل الى روما وصرح لصحفها بانه جد مسرور ومغتبط من النتائج التي وصل اليها في محادثاته مع المسيو كلنصو ولم ينس ان يطري الوزير الافرنسي اطراء بليغا وقال للذين زاروه انه سيذهب الى سورية ليقول لقومه الشيء الكثير عن صنيع المسيو كلنصو

على الدارعة جول فري

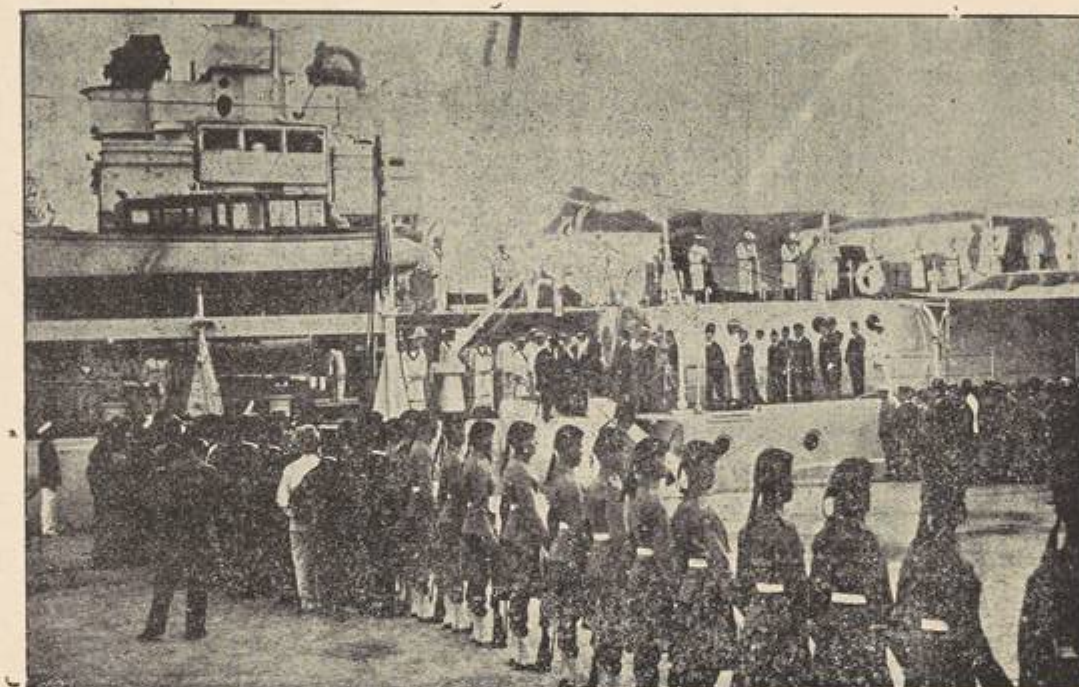
ولما عاد «الزعيم» الى سورية كانت عودته على الدارعة الفرنسوية جول فري فوصل الى بيروت في اليوم الاول من شهر مايس سنة ١٩١٩ وقوبل بمظاهرة عظيمه لايستطيع التاريخ وصفها وصرح الزعيم امام الجماهير التي استقبلته انه يحسن بالسوريين ان يعتمدوا على معونة فرانسا وقال عن المسيو كلمنصو انه رجل فرنسا الاوحد ورجل العالم وصديق العرب وزاد على ذلك بقوله لو كان في العالم زعماء كثيرون مثل كلمنصو لجاز للجميع ان يتذوقوا جنى السعادة

وكنا نسمعه يتكلم عن فرانسا وعن استعدادها لمحاسنة العرب بشيء من الحماسة.

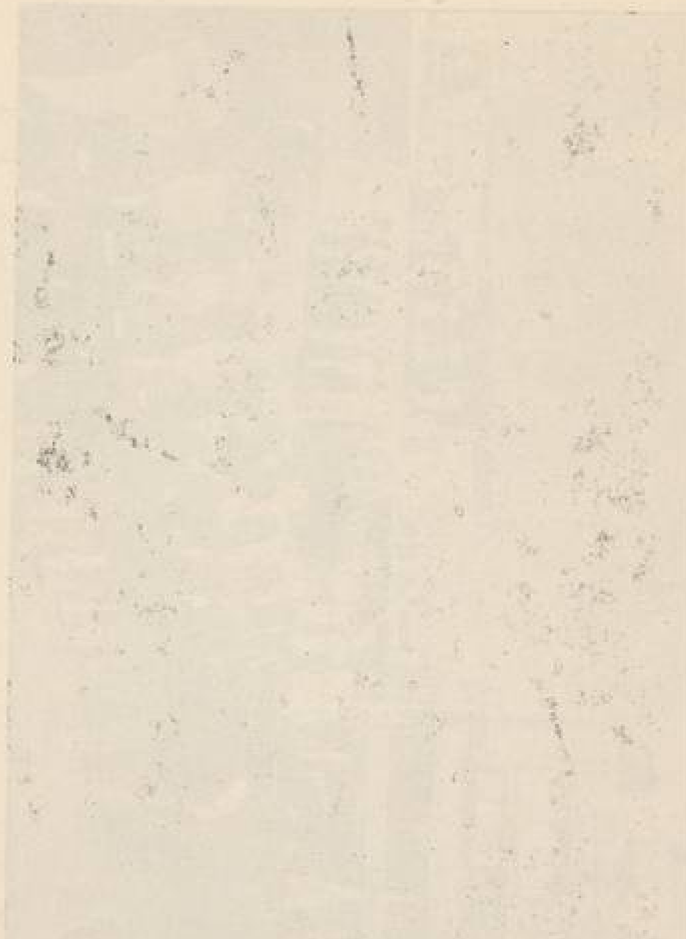
في دمشق تحت الاقواس

وبعد اسابيع من عودته من اوربة استقبل في دمشق استقبالا لم تحدثنا اقاصيص الف ليلة وليلة عن مثله في روائه وزخرفه وحماسة القائمين به فلقد اخترق الزعيم الشوارع بعربة تجرها ثمانية من الخيول عليها سروج من الذهب والفضة ونصبت له اقواس ازينت جنباتها بالحلي والشوارع تبرعت بها سيدات دمشق وفرشت له في الطرق خمس وعشرون الف سجادة فوطئتها قدماه ومع ان دمشق قد اودعت روحها العربية هذا العرض الفخم الذي لم تشهد مثله لا في ايام القياصرة ولا في ايام الاكاسرة فقد ظل الزعيم على تواضعه ولينه وبساطته فلم يأخذه لمعان الذهب ولم تفتنه حلي السيدات والعقائل تسطع على الاقواس وكانت تحيته لثلاث مئة الف تجمعوا من سائر الانحاء ساذجة وعظيمة فقد قال لهؤلاء جميعا :

تحيتي الى الوطن الخالد والى جميع طوائفه ، ثم قال لهم في كثير من الزهو لقد جئت اليكم بالنبأ السار فان اوربا اعترفت بنزاهة امانيكم فازمعت على منح سورية استقلالها الذي تصبو اليه فاذا كنتم تريدون الاحتفاظ بوديعة الاستقلال الثمينة فان من اوجب واجباتكم ان تسكنوا وتهدأوا



مفرزة من الجيش البريطاني تؤدي التحية العسكرية لنعش الفقيد عند انزاله من الباخرة في حيفا



ثم يجب عليكم ان تعلموا ان الرجل الوحيد الذي اعانني ومد الي يده للوصول الى تحقيق اماني سورية الكامله والذي استندت اليه في جميع مساعي انما هو ذلك الرجل العظيم النبيل والرقيق والحديدي معاً كلنصو

اللجنة الدولية في سورية

في الايام الاولى من شهر حزيران اذاع الزعيم الاكبر فيصل بن الحسين بن محمد سيد قريش على الشعب السوري بيانا قال فيه انه تغيب عن سورية خمسة شهور افضى في خلالها الى الشعوب الاوربية المتمدنة بمطالب سورية وامانيها وقد تقرر استقلال وطننا مبدئيا وستصل بعد اسبوع او اسبوعين لجنة تحقيق دولية لتتعرف الى اموزكم .

وبعث في الوقت نفسه الى الوفد الحجازي في باريس البرقية التالية :

لقد كلفتني لجان تمثل جميع الاحزاب في سورية عند حضورها الى دمشق لزيارتي بالسهر على مصالح بلادها وناطت بي في الوقت نفسه ان اعرب عن امانيها هذه للدول العظمى فالرجاء ان تبلغوا مؤتمر الصلح هذه النتيجة

وعقيب هذا الحادث الف سيد زعماء العالم العربي على الاطلاق وزارة من كبار السوريين وقد اراد بذلك ان يستعجل الحوادث ويضع موءتمر الصلح المجتمع امام امر واقع ثم شرع في تهيئة الاسباب لتأليف جيش وطني

الجمعيات السورية واللبنانيه في الخارج

في اليوم الرابع عشر من شهر حزيران سنة ١٩١٩ بعث الاستاذ شكري غانم الكاتب اللبناني ورئيس الجمعية السورية اللبنانية المركزية في باريس بكتاب الى المسيو جورج كلنصو رئيس مؤتمر الصلح لذلك العهد احتج فيه على تصريحات (الزعيم) فيصل بن الحسين امام مؤتمر الصلح تلك التصريحات التي اشار فيها سموه الى ان الاحزاب السورية كلها قد ناطت به الدفاع عن مصالح الوطن وتعريفها للدول

العظمى، وقد عرض شكري بك غانم في الاحتجاج الذي بعث به الى المسيو كلنصو الى امور كان من الخير لنفسه ولشهرته ان يتحاماها ولا يقرب منها فقد قال هذا الاديب المعروف الذي احرق ادبه في ميادين السياسة ان (الزعيم) غريب عن سورية فلا ينبغي له ان يبحث في شؤونها وليس له ان يزعم انه بطل حريتها وركن نهضتها ، وقد كان المرحوم شكري بك غانم يقول هذا القول وهو يعلم انه لا يقول حقاً ، وكان يعلم ان (الزعيم) هو صاحب الفضل الاول على السوريين كافة كما كان جده الاعظم سيد الدنيا صاحب الفضل الاول على سورية وعلى جميع هؤلاء الذين يفخرون اليوم بوطن غير موجود ونسب ما كان في الوجود ..

اننا لا نريد ان نطيل البحث في الاثر الذي خلفه احتجاج الاستاذ شكري غانم ولكننا نقصر القول على انه اثر لا قيمة له فقد تلاشى ولكنه لم يستطع ان يلاشي لا وطنية العرب ولا وطنية السوريين ..

• • •

حدثت في سورية في هذه الفترة حوادث من الظلم ان نقول ان الزعيم كان مسؤولا عنها ، فقد كان « سيد الزعماء » يعالج المسألة السورية في كثير من الروية والحكمة وكان اميناً على العهود التي قطعها للمسيو كلنصو ، حريصاً على ان ينفذ ذلك الاتفاق الذي ابرمه باسمه واسم البلاد السورية ، ولكن اخلاص « الزعيم » لم يكن كافياً ، فقد ظل ينقص هذا الاخلاص حزم السياسيين الذين كانوا يشتغلون معه وكان من الصعب ان يوجد هذا الحزم لان الحماسة والاهواء والميول والنزعات الخاصة ، كل هذه العواطف لم تلبث ان حجبت اخلاص الزعيم وحبه لوطنه ، وقد نشأ من تضارب الميول وجماحها ان هذا الاستقلال الذي لم تغب له صورة في صدر الزعيم لفظ انفاسه في معركة ميسلون ..

ولا نحب ان نتعرض الى المسؤولين عن خاتمة فظيعة انتهت اليها اماني امة عملت كثيراً للحصول على حريتها ولكننا نكتفي بما قاله لنا الزعيم الكبير الدكتور عبد الرحمن بك الشهبندر في العام الماضي عند زيارتنا له في منزله بالقاهرة فلقد سألنا الرجل الكبير عن رأيه في المسؤولين عن هذه الكارثة فقال امد الله بحياته : « ان

المسؤولية يجب ان تتوزع على الشعب السوري كله وعلى الزعماء كلهم .» وفي هذه الكلمة التي قالها زعيم سورية ووزير خارجيتها كثير من الحقيقة المرة ..

لقد كانت هنالك اغلاط سياسية عديدة ، فلا مجال لذكرها الآن ، واكبر ظننا ان الكتاب والباحثين الذين سيقدر لهم في الغد ان يكتبوا عن القضية العربية بصورة عامة سيتعرضون لهذه الاغلاط اذ لا يجوز اغفال الحقيقة التاريخية والعبث بها زلفى لبعض الميول .

...

يمكن القول ان المتاعب التي حالت دون تنفيذ اتفاق (فيصل — كلمنصو) كانت ناشئة عن الامور التالية :

١ — تعدد ميول الزعماء والقادة واختلاف نزعاتهم

٢ — دسائس دوائر الاستخبارات الانكليزية في القاهرة ودمشق

٣ — اطماع انكلترة في الموصل فلقد كانت هذه المدينة الغنية ببترولها من جملة الاراضي التي اعطيت لفرانسة بموجب معاهدة سيفر وكانت انكلترة تدرك خطورة هذه المدينة في حين ان المسيو كلمنصو لم يكن يدرك اهمية الثروة الكامنة في ارض الموصل ، وقد شعرت انكلترة ان اتفاق كلمنصو — فيصل قد يحرمها من ثروة طائلة لا تقدر فاحاطت المسألة السورية بشبكة من التعقيد والغموض ، واضطرت فرانسة الى التخلي عن الموصل لتحتفظ بسورية .

٤ — حركات اللبنانيين في خارج سورية وداخلها .

وفي اليوم السابع والعشرين من تموز سنة ١٩٢٠ دخلت الجيوش الافرنسية الى دمشق في ظروف لا يجهلها واحد من السوريين .

...

خرج الزعيم من دمشق على الصورة التي هزت العالم العربي كله، ولكن هذه المأساة لم تضعف من ايمان الرجل بقوة حقه وقوة حق الامة التي ينتسب اليها ، وفي اول آب سنة ١٩٢٠ وصل « الزعيم » المبجل الى حيفا ونزل ضيفاً على حاكم المقاطعة ، ثم لم يلبث طويلا فبرحها الى مصر حيث استقبله السوريون الذين احبوه

في كثير من الرعاية والاجلال وحيث كان له استقبال مؤثر جدد في نفسه روح النشاط والامل وهو الرجل الذي لقي من العذاب ما لا يستطيع زعيم في العالم حمله والاضطلاع به .

وبينما كان يفكر في مواصلة العمل لخير العالم العربي وخير القضية العربية التي خرج بها من دوارس الماضي كانت الثورة الوطنية في العراق الخاضع لانتداب بريطانية والهنود تتجه بالقضية التاريخية الى ناحية جديدة ، وقد روت الانباء في ٣ آب سنة ١٩٢٠ ان انكلترة التي حملتها ثورة العراق خسارة سبعين الف جندي بريطاني وهذي لم تعد تفكر في جعل العراق مستعمرة تابعة لنائب الملك في الهند.

وفي اليوم الخامس من آب سنة ١٩٢٠ نشرت جريدة الدايلي اكسبرس وهي من امهات الصحف في لندن نبأ ذكرت فيه ان حكومة لويد جورج تدرس بصورة جدية مشروع انشاء مملكة عربية في العراق ، وذكرت الدايلي مايل في اليوم نفسه ان المرشح للعرش العراقي هو صاحب السمو الملكي الامير عبد الله بن الحسين.وهكذا كانت الثورة الوطنية في العراق عاملا مهما في الباس القضية العربية صفة جديدة وكان لازماع انكلترة انشاء هذه المملكة اثر كبير في اوربة كلها، وفي الخامس والعشرين من شهر آب سنة ١٩٢٠ وصل الزعيم فيصل بن الحسين الى مدينة نابولي بايطاليا فاجتمع من حوله رجال الصحافة من ايطاليين واجانب وسألوه عن الغاية من طوافه باوربة بعد خروجه من دمشق فكان يقول لهم انه ما جاء الى اوربة الا ليدافع عن قضية بلاده وهو مقتنع بان الحكومة الفرنسوية ستقدر موقفه النزيه الصافي غير انه انتقد سياسة الجنرال غورو بشدة ، وفي ذلك اليوم اعلنت انكلترة بصورة رسمية ان الزعيم يطوف اوربة ممثلا لحكومة ابيه المستقلة في الحجاز.

وفي نهاية تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ اجتاز الزعيم سويسرا وكولونيا في المانيا في طريقه الى بريطانية ، وفي اليوم الثالث من شهر كانون الاول عند الساعة السابعة عشرة قابل المستر لويد جورج في مكتبه بصورة رسمية فيصل بن الحسين بن علي وقالت الصحف ان الغرض من هذه الزيارة قائم على تبليغ المستر لويد جورج شكر الملك حسين لاهدائه اليه بعض الهدايا النفيسة ..

وفي غضون هذا الشهر كانت الحركة الوطنية في العراق قد بلغت اشدها وكانت بريطانية قائمة قاعدة ضد السياسة الانكليزية الهندية المتبعة في البصرة وبغداد وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٢٠ عقد الحلفاء مؤتمراً في لندن وكان الاتفاق الذي ابرم بين انكلترة وفرانسة يقضي باجتناب اي مناقشة وبحث حول مصير الزعيم فيصل بن الحسين بن علي غير ان المستر لويد جورج لم يلبث ان عرض هذه المسألة على مؤتمر الحلفاء فعارض المسيو ارستيد بريان في هذا الامر معارضة شديدة ولكن المؤتمر قرر في النهاية ان يستمع لاقوال حداد باشا بدل ان يستمع الى الزعيم ، ثم تعاقبت ايام عديدة على هذا الحادث فلما جا اليوم التاسع من شهر آذار سنة ٩٢١ نشرت جريدة التايمس مقاله فصلت فيها احوال العراق تفصيلا وافياً وقالت ان مصلحة انكلترة تقضي عليها ان لا تطول هذه الاحوال الشاذة التي تكلفها خسارة في المال وخسارة في الرجال .

وبعد اسبوعين من مقال التايمس زار المستر ونستن تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مدينة القدس وحمل الامير عبد الله الذي كان موجوداً في عمان بانتظار عرش العراق على المجيء اليه فاجتمع الامير به في دار المندوب السامي البريطاني في فلسطين وصرح له الوزير البريطاني برغبة حكومته في انشاء مملكة في العراق وقال ان انكلترة اختارت للعرش العراقي الزعيم فيصل بن الحسين .

برح الزعيم فيصل بن الحسين انكلترا في اليوم الثاني من شهر نيسان سنة ١٩٢١ بطريق البحر قاصدا الى مكة ليطلع اباه الملك على سير المفاوضات والمحادثات التي بدأها في لندن وكان في خلال اقامته في القاهرة قد اجتمع الى اللورد اللنبي والى صاحب الجلالة سلطان مصر وقد ثبت ان مصر في شخص سلطانها كانت تؤيد الزعيم في جلوسه على عرش العراق حتى لقد بلغ من تأييد مصر لهذه الفكرة ان عرض سلطانها معونته الادبية والمادية لانشاء مملكة عربية في بلاد العباسيين ووصل الزعيم الى مكة في الايام الاول من شهر مايس سنة ١٩٢١

لم يكن من مطمحه ان يفتش عن عرش جديد بعد ان خسر عرشه في دمشق فقد كانت روح دمشق تطربه وتثير امانيه وتزعاته ومع هذا كله فقد رأى ان ذلك

الحلم الكبير الذي لم يزهر في الارض الشامية قد زهر في الارض العراقية وليس هذا بالامر الذي يستحيل وقوعه فقد كان العراق في جاهليته منبت دولة غزت الرومان في عقر دارهم وانتصرت على الا كاسرة ومع ان امانيه كانت عظيمة وقوية فقد كان يريد ان يحقق هذه الاماني من غير ان يثير عليه دول العالم وقد كان لينه من ابرز صفاته ولعل انتصاره في كثير من الظروف الحرجة التي لامست حياته كان ناشئا عن هذا الطبع اللين وعن خلق لايعرف الموجدة والغضب.

وينبغي لنا ان نسرد الاشياء كما هي بعد ان اغمض الزعيم الغالي عينيه ففي حقيقة الواقع ان ثورة العراق الوطنية هي التي هيأت له الصعود على عرش ظل خاليا من ربه وصاحبه خلال عصور طويلة .

وقد حدث في تلك الايام ان بحث مجلس العموم البريطاني « مجلس النواب » في النفقات التي طلبتها الحكومة فالقى المستر ونستن تشرشل خطابا عظيما عن السياسة التي ينبغي لبريطانيا ان تمارسها في الشرق الادنى وكانت بريطانيا الى ذلك اليوم تنهج في احتلال العراق منهجا استعماريا صرفا فاضطرت تحت عوامل الثورة العراقية القومية الى استبدال هذ النهج الاستعماري ففي اليوم الرابع عشر من شهر حزيران سنة ١٩٢١ اعلنت بريطانيا بصورة رسمية انتدابها على العراق وقد كانت رغبتها في هذا الانتداب قائمة على ترسيخ نفوذها في العراق من غير ان تتحمل في هذا السبيل خسارة في المال وخسارة في الرجال وكانت ترى ان من مصلحتها ان تجمع العرب في حكومة واحدة وتحت ظل ملك على ان يكون هذا الملك فيصل بن الحسين ابن علي فذلك افضل من ان تنهج في البلاد سياسة « فرق تسد » وهي سياسة عانى الرومان واليونان من امرها ماذهب بملكهم الطويل العريض

اما الامير عبد الله الذي كان مرشحا للعرش العراقي فقد رأت انكلترة ان توليه امارة شرق الاردن !

وصرح المستر ونستن تشرسل في مجلس العموم ان الزعيم فيصل بن الحسين قد شخص الى العراق وانه سيصل بغداد العاصمة حيث تجتمع الجمعية التأسيسية لانتخابه ملكا وفي غضون ذاك اعلن مجلس الدولة الموقت في العراق بلسان نقيب

بغداد نبأ وصول الرجل الذي اصطفاه الله والتاريخ وكل ما في ماضي العرب من جمال وسحر ليكون الوارث الشرعي لعرش العباسيين فقرر المجلس باغلبية ساحقة تجلى فيها الروح الوطني وحماس لم يعرف العرب مثله في ايامهم المواضي ان يقدم العراق هذا الذي خلا من غزاته وخلفائه كل واجبات الضيافة للزعيم الذي لم يحب في حياته غير قومه وبلاده

وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٢١ وصل فيصل الزعيم الى شاطىء البصرة فنزل ضيفاً على المتصرف واستقبل في عروس شط العرب استقبالا حماسياً وطنياً وسارت في ركاب شهيدنا الغالي حاشية من الفرسان فشق بها الشوارع حيث هتف له الشعب وحيث اقيمت على شرف ابن البتول وحفيد الرسول الاعياد والمهرجانات والمآدب والحفلات .

وجاءت اليه الوفود من كل فج عميق ، فلم تأخذه العزة ولا استرقه الكبر وهو الذي ولد في مهد العزة ونشأ في البيت النبوي الذي علم العالم مالم يعلم ، وقد كان طبيعيا ان يمضي في لينه وتواضعه الى النهاية وخطب في الناس اكثر من مرة ودعا العراق جميعه الى الاخلاص للرجل الذي ستختاره العناية الالهية ليحكم البلاد ويسوس العباد وقال عن نفسه ، انه لم يطمع في حياته في ملك ولم يطمح الى زعامة وكل مايعمله او يفكر فيه انما هو مقتبس من شعوره الوطني لا اكثر ولا اقل

وقد كان يقول ذلك ، بينما انصار القضية العربية وحماتها والذين ثاروا على بريطانية في العراق يجتمعون لتقرير مصير « الملك » وتعيين مقدرات المملكة وعلى اثر ذلك سافر فيصل الزعيم الى المدينتين المقدستين في الاسلام كربلا والنجف وفي نهاية حزيران سنة ١٩٢١ وصل صاحب الجلالة السورية سابقا الى بغداد عاصمة العباسيين ليسمى بعد وصوله اليها صاحب الجلالة العراقية .

وفي شهر تموز سنة ١٩٢١ افضى فيصل الزعيم امام الصحفيين الاجانب والعراقيين بتصريح تاريخي اكد فيه انه سيعمل واجبه فلا ينسى سورية الى الابد وان من اشهى حياته ان يتحقق الامر للعرب بعد جهاد عنيف ليقدروا على الجمع بين دمشق وبغداد في امبراطورية واحدة وقد كان لهذا التصريح اثره في اوربه

فانتقدته صحف فرنسه وعدته تدخلا في شؤون سورية وفي اليوم الثامن والعشرين من تموز سنة ١٩٢١ وجه احد النواب البريطانيين في مجلس العموم سؤالا الى المستر ونستن تشرشل حول تصريح الزعيم فاجاب الوزير البريطاني بان كلمات الامير لم يقصد منها التدخل في المسائل السورية وزاد على ذلك ان الامير مازال ينهج حيال فرانسه منهجا وديا سلميا

وعلى هذه الصورة سويت هذه المسألة التي كادت تحدث معضلة سياسية كبيرة، وفي نفس الوقت اجتمعت الجمعية الوطنية في العراق واجرت استفتاء كان من نتائجه ان صوت مندوبو الشعب للملك با كثريه تبلغ ٩٦ صوتا

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر آب سنة ١٩٢١ توج الزعيم فيصل بن الحسين بن محمد خاتم الانبياء ملكا على العراق والقى المفوض السامي البريطاني خطابا جاء فيه ان الجمعية الوطنية انتخبت جلالة الملك فيصل عاهلا للعراق باغلبية ساحقة

وبعث الملك جورج الخامس الى الملك الجديد برسالة اعرب فيها عن ارتياحه الى هذه النتيجة وقال « لقد سرني وسر شعبي معي ان تسفر الجهود المشتركة بين القوي البريطانية والقوى العربية المنضمة الى مساعي الحلفاء عن هذه النتائج التاريخية السعيدة »

ولسنا في حاجة الى تفصيل ماحدث بعد هذا اليوم التاريخي في حياة العرب وكل مانستطيع قوله هو ان العراق تحت ظل الملك فيصل قد نشأ نشأة جديدة، فاستعاد كيانه القومي والسياسي بفضل الرجل الذي وضع تحت تصرف الامة العربية اخلاصه ولم يضع مطامعه واهواءه

ولقد قص علي الصديق الغالي صاحب الفخامة ياسين باشا الهاشمي الوطني الصميم اشياء كثيرة عن تطور الشعور الوطني في العراق بعد تتويج الملك سيد الزعماء فقد تغير الانتداب في معناه وروحه وانقلب الى استقلال، ودخل العراق الى جمعية الامم، واستراح الى سيادته القومية داخلا وخارجا واصبح في مقدوره بفضل الملك الاعظم ان يوجه قوى جيشه الى حيث يريد وبلغ العراق في سنوات

قليلة منزلة حسدته عليها مصر وهي ارسخ قدما من العراق في الاتصال باوربه وحضاراتها واغنى ثروة واوفر سكانا ولو امد الله بعمره ولم يعجل باطفاء نوره لكان ملك العالم العربي كله كما كان في حياته زعيم العالم العربي كله رحمه الله رحمة واسعة واجزل ثوابه وعوض العرب عنه خيرا

معروف الارناؤوط

فيصل في العراق

ومساعيه فى سبيل الغاء الانتداب

لما عرض عرش العراق على الفقيد العظيم اشترط لقبوله شرطين جوهريين :

الاول : ان تعترف الحكومة الانكليزية باستقلال العراق وان تساعد العراقيين على انشاء حكومة وطنية مستقلة ذات سيادة

الثاني : ان يلغى الانتداب عن العراق وكان مفروضا عليه بقرار موءتمر الحلفاء في سان ريمو

وقبلت الحكومة البريطانية هذين الشرطين وتعهدت بتنفيذهما .

وفي اليوم التالي ليوم اعتلاء جلالته العرش تألفت اول وزارة عراقية برئاسة المرحوم السيد عبدالرحمن الجيلاني نقيب اشراف بغداد . فشرعت في الحال في مفاوضة المندوب السامي البريطاني بغية عقد معاهدة تحدد العلاقات بين انكلترا والعراق . فاصر الانكليز على وجوب الاعتراف بالانتداب البريطاني للعراق. وبذلك اخلوا بتعهدهم الاول لجلالة الملك ولكنهم وعدوه بالسعي لالغاء الانتداب في اقرب مايستطاع

وفي ١٠ تشرين اول سنة ١٩٢٢ وقع على اول معاهدة بين العراق وانكلترا ومدتها عشرون سنة وقد جاء في المادة الاولى منها : « بناء على طلب جلالة ملك العراق يتعهد جلالة ملك بريطانيا بان يقوم — في اثناء مدة المعاهدة مع التزام نصوصها — بما يقتضي لدولة العراق من المشورة والمساعدة بدون ان يمس ذلك بسياستها الوطنية »

وجاء في المادة الثانية : « يتعهد جلالة ملك العراق بان لايعين مدة هذه المعاهدة موظفاً اجنبياً ما من تابعية غير عراقية في الوظائف التي تقتضي ارادة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا ، وستعقد اتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه في الحكومة العراقية »

وجاء في المادة الرابعة : « يوافق جلالة ملك العراق على ان يستدل بما يقدمه جلالة ملك بريطانيا من المشورة بواسطة المعتمد السامي في جميع الشؤون المهمة التي تمس بتعهدات ومصالح جلالة ملك بريطانيا الدولية والمالية وذلك طول مدة هذه المعاهدة ويستشير جلالة ملك العراق المندوب السامي الاستشارات التامة في مايؤدي الى سياسة مالية ونقدية وسياسية ويؤمن ثبات وحسن انتظام مالية حكومة العراق مادامت تلك الحكومة مدينة لحكومة جلالة ملك بريطانيا »

وجا في المادة التاسعة : « يتعهد جلالة ملك العراق بقبول الخطة الملائمة التي يشير بها جلالة ملك بريطانيا ويكفل تنفيذها في امور العدلية لتأمين مصالح الاجانب بسبب عدم تطبيق الامتيازات والبيانات التي كان يتمتع بها هولاء بموجب الامتيازات الاجنبية .

وقابل الشعب العراقي المعاهدة المتقدمة بسخط عظيم فتولى عقد الاجتماعات وكثرت الاحتجاجات فلم تر الوزارة التي وقعتها مندوحة عن الاستقالة ، فخلفتها وزارة انصرفت الى اجراء انتخابات لجمعية تأسيسية تقر المعاهدة ليتسنى ابرامها وتنفيذها وتضع دستور البلاد وقانون الانتخابات ليتم انشاء الدولة الجديدة فلاقت صعوبة وعناء اذ قاطع الشعب الانتخابات بتأثير المجتهدين الذين افتوا بتكفير كل مسلم يشترك فيها وبعدم جواز دفنه في مقابر المسلمين

ورأى ولاة الامور العراقيون عندئذ ان يقنعوا الحكومة البريطانية بعمل ملحق للمعاهدة يقال فيه ان هذه المعاهدة تنتهي عند دخول العراق جمعية الامم وهذا هو نص الملحق الذي امضي في ٣٠ نيسان سنة ١٩٢٣

«قد تم التفاهم بين الفريقين الساميين المتعاقدين على انه مع وجود نصوص المادة ١٨ يجب ان تنتهي المعاهدة الحالية عند دخول العراق عضواً في جمعية الامم وعلى كل حال يجب ان لا يتأخر انتهاؤها عن اربع سنوات من تاريخ عقد الصلح مع تركيا وليس في هذا الاتفاق ما يمنع عقد اتفاق آخر ينظم ما يكون بعد ذلك من العلاقات بين الفريقين الساميين المتعاقدين . ويجب الدخول في المفاوضات بينهما لاجل ذلك الغرض قبل انتهاء المعاهدة المذكورة »

وعلى اثر ذلك اذاع جلالة الملك فيصل بياناً على شعبه بامضائه قال في مستهله :

« بعناية الله جل وعلا وبروحانية نبيه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

« تمكنت حكومتنا ان تخطو خطوة كبيره اخرى في سبيل تحقيق اماني العراق وذلك بعقدها الملحق الجديد للمعاهدة العراقية الانكليزية وكان من جملة الاسباب الرئيسية المبني عليها الملحق تلك الخطوة السريعة التي خطتها حكومتنا في سبيل التقدم والاستقلال..»

ونجحت الحكومة العراقية بعد ذلك في حل مشكلة الانتخابات فاجريت واجتمعت الجمعية التأسيسية واقرت المعاهدة يوم ١١ حزيران سنة ١٩٢٤ وابرمت على اثر ذلك . وكذلك حلت مشكلة الموصل بما يحقق آمال العراق فبقى الموصل عراقياً

وكان الملك فيصل يعلم ان المعاهده العراقية الانكليزية الاولى لا تحقق اماني العراقيين والعراق ، ولكنه كان من رأيه ان يحصل في بادىء الامر على كل ما يمكنه الحصول عليه ثم يسعى للحصول على أكثر . والدليل على ذلك انه في كانون ثاني سنة ١٩٢٦ عقدت معاهدة ثانية بين العراق وانكلترا وفي كانون الاول سنة ١٩٢٧ عقدت معاهدة ثالثة بين البلادين نسخت احكامها احكام المعاهدات السابقة .

وفي ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠ عقدت معاهدة رابعة بين العراق وانكلترا لم تشر الى أي أثر من الامور التي جاء ذكرها في المعاهدة الاولى ، بل اعترفت باستقلال العراق بلا قيد ولا شرط . ومع ذلك لم يرتح العراقيون الى مادتين منها ولا سيما المادة الخامسة التي جاء فيها ان جلالة ملك العراق يتعهد بان يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة أو في جوارها ، وموقعاً واحداً لقاعدة جوية ينتقيه صاحب الجلالة البريطانية في غرب نهر الفرات

وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية في ان يقيم قوات في الاراضي العراقية في الاماكن الآنفة الذكر ، وفقاً لاحكام ملحق المعاهدة على ان يكون مفهوماً ان وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلالا ولا يمس على الاطلاق حقوق سيادة العراق

وقد كان لجلالة الملك فيصل امل عظيم بتعديل المعاهدة مرة اخرى في الفرصة الملائمة وكان جلالته يقول دائماً لمن يحادثه في هذا الموضوع : « كل شيء يجيء مع الوقت والمثابرة ».

فقيد الامة العربية في ايامه الاخيرة

ماهي العوامل الرئيسية التي أثرت في نفس الفقيد ؟؟

قال عطوفة الامير شكيب ارسلان :

مما لا مرية فيه ان الفقيد كان يجهد نفسه فوق طاقة جسمه وانه منذ كان في اوربا كان بدأ معه الضعف في جسمه وهو لا يحفل بذلك وقوة نفسه غالبة عليه . وبعد ان ذهب الى العراق كان يؤثر فيه حر مصيفها فيزداد ضعفاً فيأتي الى اوربا للاستشفاء فيستفيد بعض الشيء بتبديل الهواء ولكن اهتمامه باشغال مملكته وما كان يعانيه لاجل حل قيود الانتداب الملقى بجرانه عليها لم يكن يدع له وقتاً يتفرغ في

لمعالجة صحته والبقاء في اوربا ريثما يملك العافية تماماً، فكان يبدل الهواء في سويسرا ويستريح بعض الشيء من عناء الاشغال ولكن كان قلبه مشغولا دائماً بقضية استقلال العراق التام ولم يكن ذلك سهلا مع دهاء الانكليز وشدة اثرتهم وسعة مطامعهم ثم مع المساعي التي كان يسعاها الفرنسيس لاحباط استقلال العراق حتى لا يأتي دور سوريا. هذه المسألة استنزفت عافية فيصل واودت بشبابه الغض حتى كنت تراه وهو ابن اربعين سنة قد بدأ فيه المشيب وربما ظنه الذي يراه اسن مما هو بعشر سنوات وسنة ١٩٢٦ شاهدته في فيشي فرأيته ضعيفا وقيل ان مرضه في معدته ولم يكونوا يتفقون في تشخيص الداء

ثم جاء الى سويسرا ونزل في الاوتيل الكبير في (تريته) وكان الفصل حاراً فزرته هناك واقنعته بالصعود الى الجبل واشرت عليه باوتيل (كوبالاس) الذي يعلو عن مونترو الف متر في ابهج موقع يمكن ان يتخيله الانسان وكنت انا مصطافا في (غليتون) على مقربة من (كو) فكنت اتردد عليه ولا ازال اجده ضعيفا واشرت عليه بطبيب الدكتور «جاك رو» من اشهر اطباء لوزان فاستدعاه واستفاد على يده وفي آخر ذلك الصيف تقدمت صحته ورجونا ان يتماثل تماما ولكنه بعد ايابه الى بغداد عاد الى العناء والعياء وحمل جسمه فوق طوقه رغبة في التعاون مع ابن سعود وفي سنه ١٩٣٠ عندما قمت بسياحتي في اسبانيا جاءتني برقية تلو برقية اذ انا في مجريط من زميلي احسان بك الجابري ثم جاءني كتاب من برلين من احد اصدقائي وكل ذلك كان في استعجال رجوعي من اسبانيه حتى اتلاقى مع الملك فيصل في جنيف. فعلمت ان تكرر هذا الطلب لاجل الملاقاة لايخلو من اسباب موجبة تتعلق بالمصلحة العربية وكنت انوي اكمال سياحتي في الاندلس فارجأت اكمالها الى وقت آخر وجئت من مجريط الى برشلونه الى اربونة الى عين الطيب عن طريق مرسيلية حيث كان ضرب لي موعداً فلقيته هناك ولبثنا عنده ثلاثة ايام انا وزميلي وكانت احاديثه لاتعدو القضية العربية بوجوهها وصفحاتها وكان اكثر ماحداه على استعجالي في المجيء من الاندلس لملاقاته هو الكلام معي في قضية الاتفاق بينه وبين الملك عبد العزيز بن السعود فانه كان

يعلم صداقتي للملك المشار اليه وطالما تحدثنا في هذا الموضوع وكنت قبل ان ذهبت الى مكة قد افضيت اليه بنيتي في الحج وفي التعرف بجلالة الملك ابن سعود شخصيا فاظهر مزيد الارتياح الى ذلك وما سمعت منه كلمة تدل على كونه ينظر الى صداقتي مع جلالة الملك ابن السعود بعدم الرضى او بعدم الاطمئنان بل كان بالعكس يرى بي وسيلة حسنة للاتفاق مع جاره الذي كان كثيراً مايقول عنه اخي ابن سعود فلما استدعاني الى عين الطيب كان جل قصده ان اكون واسطة قرب بينهما وهناك قررنا السعي في التحالف بين الملكين وان نمد التحالف بعد ذلك الى الامام يحيى فيصير ملوك العرب الثلاثة يداً واحدة . هذا الرأي ابرمناه في عين الطيب ولم يصل الملك رحمه الله الى بغداد حتى باشر اجراءه وانفذ نوري باشا السعيد رئيس وزارته الى مكة المكرمة لعقد المعاهدة التي عقدها مع صاحب الحجاز ونجد وحامت يومئذ الظنون حول مهمة نوري السعيد هذه وظنها بعض المخلصين المتشائمين دسيسة انكليزية وكثر الكلام على ذلك في الجرائد وحقيقة الحال انها لم تكن من الدسائس الانكليزية في قبيل ولا دبير وانما كانت رأياً رأيناه في عين الطيب احصافا لحبال الوحدة العربية ونحن الذين بدأنا بالاشارة عليه بعقد هذه المعاهدة وكان متردداً فيها خوفا من ان لاتقع عند الملك ابن السعود موقع القبول فضمنت له نجاح المشروع وكتبت الى الملك عبد العزيز بما وقع ورغبته بكل ماقدرت عليه من طرق الاقناع بان لايتأخر عن اجابة طلب الملك فيصل . ولم يتأخر الملك عبد العزيز عن اجابة الملك فيصل وانعقدت المعاهدة ولكنها كانت ضمن مقياس اضيق مما كنت اريده وسبب ذلك هو كثرة ماشاع وذاع وقرع الاسماع من كون هذه الدعوى الى التحالف العربي دسيسة انكليزية !! ولقد اضطررنا وقتئذ ان نشرع اولية هذه القصة وننشر مقالات نبين فيها كيف نشأت وانها لم تكن الا فكرة عربية محضة مرماها تحالف ملوك العرب الثلاثة وصيانة البلاد العربية . وبعد ان اوضحنا هذه القضية للملأ سكنت الزعازع وكف المنازع ولا سيما ان نوري باشا السعيد عندما عرض المشروع على الملك عبد العزيز لم يشم منه الملك ادنى رائحة من قريب او بعيد لمصلحة انكليزية

اهتمامه بتوحيد القطرين

وسنة ١٩٣١ جاء يصطاف في برن وكان في هذه النوبة ايضا محتاجا الى الراحة بادية عليه علامات العياء ولكن كان النشاط لايفارق روحه كعادته وكانت احاديثه في السياسة العربية كعادتها وفي جيئته هذه ترددنا عليه وتنزهنا في ضواحي برن وجاء مرة الى لوزان وكنت مقيما بها فتناول عندي الغداء وبعد ذلك جاء الى جنيف واقام عدة ايام ودعاه بعض اصحابه من اهل سويسرة للعشاء في قصر بضاحية جنيف ثم دعته الحكومة الافرنسية الى باريز وادب له رئيس الجمهورية مأدبة حافلة واستقبلوه بحفاوة عظيمة وحل الصفاء محل الجفاء وتلك النوبة ادب له المسيو برتلو مستشار الخارجية مأدبة حافلة ايضاً وشرب نخبه قائلا هكذا : انني اشرب نخب جلالة فيصل ملك العراق وسورية وكان هذا امام الكثيرين من وزراء فرنسه ولم يكن برتلو ليقول هذا القول جزافا بل كان هذا اوائذ فكر المسيو بريان واكثر رجال الخارجية ولهم ادلة على صواب هذا الرأي من جهة مصلحة فرنسة . وكان آخرون من رجال الخارجية يرون الضرر لفرنسة في اتحاد سورية والعراق مملكة واحدة ويرجحون اقامة الملك علي شقيق الفقيد ملكا على سورية وكان من هذه الفئة المسيو بونسو المندوب السامي في سورية

ونحن نعلن فوق ما اعلنا سابقاً ان فكرة توحيد القطرين لم تكن في شيء من الصلة الشخصية بالملك فيصل ولا كانت متابعة لهواه وانما كانت فكرة قوم يعلمون ان لاحياة لسوريا الا بالاستقلال والاتحاد فيما بينها اولا ومع العراق ثانياً . فمن كان مرتبطاً بشخص فيصل فان فيصل قدمات ومن كان مرتبطا بالقضية العربية فان القضية العربية لن تموت وما دام العراق عراقا والشام شاما فان هذين القطرين في اشد الاحتياج للاتحاد وبدون هذا الاتحاد يبقى كل منهما تحت خطر السقوط تحت السيطرة الاجنبية فاذا كان قد مات فيصل فما مات المشروع الذي شرعه ولا يبس بموته الزرع الذي زرعه وانت تجول الان في سوريا من اقصاها الى اقصاها

فتجدها مجمعة على عزيمة الاتحاد مع العراق لايشذ عن ذلك سوى افراد قلائل من المتزلفين الى الفرنسيس

ومما لاريب فيه ان تأثره وحزنه على ظهور هذه الامراض في جسم الامة العربية كانت تفعل في صحته الفعل السيء، ولم يقتصر حزنه على ماظهر في سورية بل قامت فئة في العراق ايضا تزعم ان الاستقلال الذي احرزه فيصل للعراق انما هو استقلال موهوم وانما هي خدعة انكليزية ! وان البقاء تحت الانتداب افضل من هذا الاستقلال الذي سيقدم عليه العراق

الهياج ضد المعاهدة

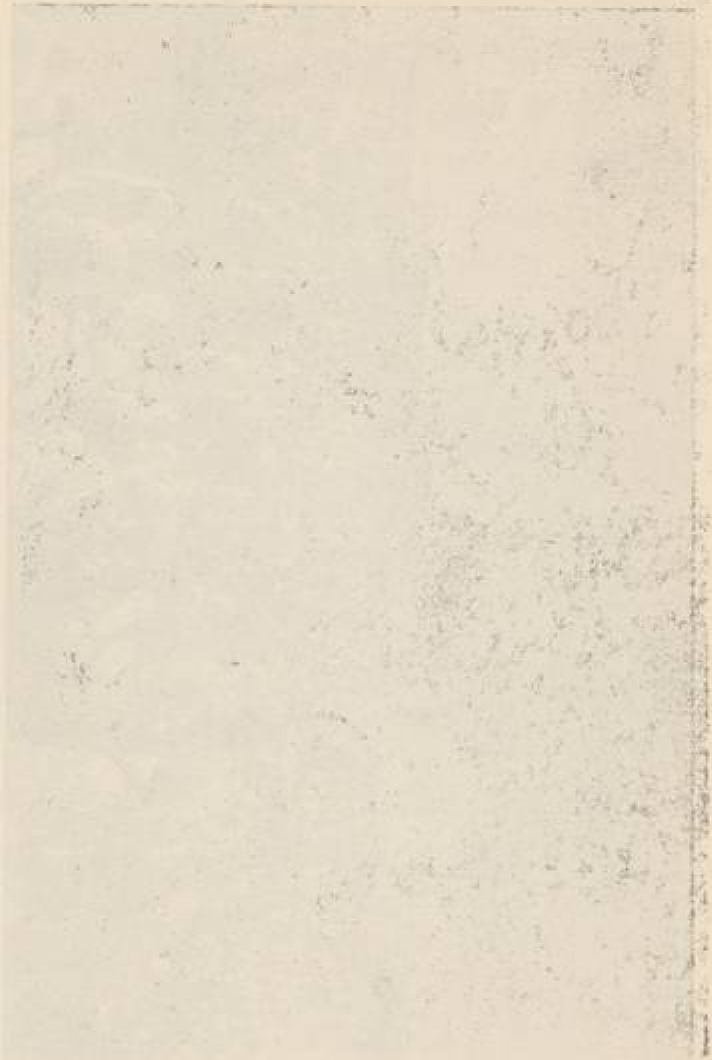
وبينما كان فيصل في سويسره فى النوبة التي تقدم ذكرها جاءته الاخبار بان في العراق حركة اضراب عن العمل واقفال حوانيت واقامة مآتم لاجل قبول العراق بهذه المعاهدة التي هي بزعمهم رسفان للعراق في قيد السيطرة الانكليزيه اكثر من ذي قبل ! فكانت هذه الحالة الروحية المتولدة من جهل العامة ومن شدة استرسال المعارضين في المعارضة مما يدمي قلب الملك المرحوم ويزيد من عنائه فكان يجاهد فى هداية امته كما يجاهد في تخليصها من بين ايدي لانكليز والفرنسيس

حادثة الاشوريين

وفي صيف السنة الماضية اضطر ان يبقى في العراق ويتحمل حمارة القيظ طوال الصيف فزاده ذلك وهناً على وهن في صحته الا انه لم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى اقنع قومه بالفعل ان استقلالهم صحيح ليس بالمزعوم ولا بالموهوم وان مقاليدهم الآن صارت في ايديهم ، ولقد بعث الله حادثة الاشوريين هذه لتفقأ الحصرم في



الاحتفال المهيب بتشييع جثمان الفقيد في حيفا بعد انزاله من الباخرة وقد اشتركت به جماهير غفيرة لا يحصى عددها



اعين من كان يكابر في استقلال العراق ، ولو لم يكن العراق مستقلا فعلا لما قدر ان يؤدب الاشوريين ولما كان له ان يسير لتأديبهم جندياً واحداً فضلا عن جيش يسير بمطلق ارادة الحكومة العراقية .

ولما حدثت حادثة الاشوريين كنت عند المرحوم في برن فاطلعني على الخبر وقال لي : « انني ذاهب الى بغداد ولا يسعني غير ذلك لاني اخشى ان يهيج الشعب العراقي على الاشوريين نظراً لما بدا منهم من انكار الجميل ومن الغدر بالعسكر العراقي ومن التمثيل بالضباط وان ينقض الاكراد على الاشوريين فتقع مذبحة تأتي برهاناً لاعدائنا على كوننا لسنا اهلا للاستقلال ولقد انذرتني الحكومة الانكليزية انذاراً يتهدد كيان مملكتي فلا بد لي من الذهاب حالا الى بغداد . » قلت له : وما يدعوك ان تذهب بالطيارة فما عليك الا ان تذهب الى برنديزي ثم تركب الباخرة الى مصر ومن مصر يمكنك ركوب الطيارة الى بغداد فان الرحلة هكذا تكون اخف تعباً عليك ، قال لي : « لا بل سأذهب بالطيارة من برنديزي وسأكون يوم الرابوع في بغداد » فقلت له : انت تعمل اذاً عمل قائد عسكري لا عمل ملك . فقال لي : « نعم انا لست بملك وانما انا جندي في خدمة امتي » فعند ذلك ودعته سائلا الله له السلامة ورجوته انه بعد ان يسكن هذه الثائرة يتذكر صحته ويعود للاستشفاء في اوروبا . وكان هذا الحديث بينه وبيني بحضور جلالة اخيه الملك علي .

سفر الملك الى عاصمة ملكه

وثاني يوم فعل كما قال واغذ مسرعا الى برنديزي واقتعد بساط الريح ماراً باثينة الى ان وصل الى مصر وقرأت في الجرائد انه بات في غزة ثم اتم السير الى دار السلام بالطيارة . وهناك بقي شهراً لم يذق فيه طعم الراحة وكان يشتغل في النهار ثماني عشرة ساعة . ومر عليه ستة ايام لم يعرف من القوت الا بعض مرطبات وكان هذا العناء كله من اجل مسألة الاشوريين وقد سألته عند رجوعه ونهار

وفاته : لماذا كنت تشغل نفسك الى هذا الحد الاقصى افلا تعلم انك ضعيف الجسم وان الجسم لايتحمل اكثر من طاقته فقال لي : ان قرى الاشوريين مختلطة بقرى الاكراد وكنت اخشى ان تهجم الاكراد عليهم فتحصل وقائع دموية هائلة وانت تعلم الضوضاء التي حصلت في اوربه من اجل الاشوريين على حين كانوا هم المعتدين وكانوا هم الذين ابوا الا الشر فكيف نصنع اذا هجم عليهم الاكراد هجوما عاما وباية قوة نقدر ان نصد الاكراد ؟ قال : « وقد اقتنعت هذه المرة بانه لامناص لنا من ايصال جيشنا الى ثمانين الف جندي بالاقل وكنت مصمما على الاكتفاء بالجيش الحالي وانفاق مايرد علينا من حصتنا في البترول على المشروعات العمرانية التي كانت تعود على المملكة بزيادة الدخل ولكن مع الاسف فهمنا بهذه المدة اننا لانقدر ان نستغني عن جيش يصون حمانا ويوطد بنياننا في الداخل والخارج ونحن مضطرون ان نحول قسما من المال الذي كنا خصصناه بالمشروعات الاقتصادية الى مشروع تكثيف الجيش بحيث لايقل عن ثمانين الف جندي وستقرر الخدمة العسكرية الاجبارية » هذا ولما انطفأت ثائرة الاشوريين وقضي على مفسدتهم ودخل الجيش بغداد ظافراً وحصلت تلك المظاهرات من جميع طبقات الشعب على اختلاف المذاهب وهتفوا جميعاً للملك بالدعاء دخل السرور على قلبه واسر ماسره وأثلج صدره هو ماشاهده من نهضة الامة العراقية واتحادها بازاء الخطر فان العراقيين قاموا الباً واحداً فاتحدت الاحزاب وتناست كل مابينها من منافرات ومنافسات واتحدت ايضاً الملل فلم يبق سنة ولا شيعة ولا نصارى ولا يهود بل قام العراقيون باجمعهم يقولون « من هؤلاء الغرباء عن بلادنا الذين اعطيناهم الاراضي وبذلنا في مؤاساتهم الاموال وهم يأبون الا ان تنزل لهم عن مقاطعة يجتمعون فيها ويقيمون عليهم اميراً منهم وان لم نجبهم الى طلبهم يهاجموننا في باحة دارنا ؟ » كانت كلمة العراقيين هذه النوبة مجتمعة وقال لي الملك رحمه الله : « كان امامي شعب ناهض بكل معاني النهوض وعلمت اني اقدر ان اجمع في ايام قلائل مائة الف عراقي مسلح ولكني لا اريد ان يتكدر صفو السلام وهذا الذي يحملني على التفكير في تكبير الجيش الى الحد الذي تأمن فيه على بلادنا » اما التحقيق الذي

يعزي الى جمعية الامم ارادة احداثه عن حادثة الاشوريين فكان يقول انه يرضي به بشرط انها تجري التحقيق عما جرى في سوريا وفلسطين واما المعاملة الاستثنائية بحق العراق فلا يقبلها

عودة الفقيد الى اوربا للمرة الاخيرة

عاد الملك رحمه الله الى اوربا الاستشفاء وكان يعول على الدكتور كوخر في برن وهو طبيب مشهور له طريقة خاصة في تقوية الاجسام بالحقن تحت الجلد ويقال ان طريقته افادت كثيرين ممن عالجهم ولكن كثيراً من الاطباء ينكرون عليه فائدة هذه الطريقة بقولهم ان كتمان سر صنعته مخالف للصراحة العلمية وانه كما يجوز ان افاد اناساً فيجوز ان يكون اضر باناس آخرين ، وعلى كل حال فقد ثبت هذه المرة ان الملك فيصل لم يستفد شيئاً من طب الدكتور كوخر وربما كان حصل له ضرر بدليل انه عند الوفاة اجتمع الاطباء وقرروا ان وفاته كانت بتصلب الشرايين وكان الحال ان الدكتور كوخر الذي عالج الفقيد مراراً لم يقل انه مصاب بتصلب الشرايين وكان بعض اصحاب الفقيد اشاروا عليه ، ومنهم طبيبه الخاص ، بترك التداوي عند كوخر فقال لهم انه سيتريث قليلا وينظر هل حصلت فائدة ام لا فاذا مضى هذا الشهر ولم يجد فرقاً عن ذي قبل فانه يعدل عن التداوي على يد كوخر .

وكان وصول الملك رحمه الله الى برن عائداً من الشرق نهار الاحد ٣٠ اغسطس وبينما كنت انوي الذهاب للسلام عليه انا وزميلي احسان بك الجابري واخي عادل اذ وافاني ضيوف من البوسنه والهرسك فاضطررت للبقاء في جنيف من اجلهم ولما علموا بان زميلي واخي ذهبا للسلام على الملك فيصل واني انا تأخرت عن هذا الواجب من اجلهم قالوا لي : لم يكن يصح ان تكتم عنا خبر مجيء الملك وتتأخر عن السلام عليه من اجلنا ، فقلت لهم انتم لا تعرفون هذا الملك فانه لا يكون راضياً عني اذا تركتكم وذهبت للسلام عليه بل هو يريد ان اكون مشغولا بكم قائماً بواجبي

نحوكم وانه ان قصرت معكم فهو يعتب علي ، فانصرف الضيوف راجعين الى بلادهم وذهبت انا الى برن وكان قد سأل هو عن سبب تأخري في المجيء لمشاهدته فأخبروه بالسبب وعندما جئت وسلمت عليه حكيت له ماقاله الضيوف علماء البوسنه والهرسك وما اجبتهم به وهو ان الملك لا يعاتبنا على تقصيرنا معه ولا كلفة بينه وبيننا ولكنه يعاتبنا اذا كنا نقصر معكم ، فقال لي : « اي والله لو كنت تركت ضيوفك البوسنيين من اجلي لكنت عتبت عليك اما نحن فلا تكليف بيننا . »

فلينظر القارئ الى مكارم هذه الاخلاق النادرة في البشر ولو كانت هذه هي الوحيدة لما كانت عجيبة ولكننا كنا نطلع له كل يوم من الحلم والاغضاء والتواضع والايثار والحنو على نوادر جديرة بان تدون في الكتب وان تلحق بما يروى عن امثاله من كبار الملوك الغابرين . وجميع من خالطوا الملك فيصل وعاشروه يعترفون بانه كان المثل الاعلى في كرم الخلق ودماثة الطبع وسعة الصدر . ذهبت للسلام عليه في برن فتلاقيت معه مساء الاربعاء وكان مع علامات الضعف الباديه على وجهه يتحدث بنشاط لا تجده في الاصحاء وكانت تتخلل حديثه النكت واللطائف فاقمنا في حضرته مدة نصف ساعة واستأذنا منه مشيرين عليه بان يستوفي قسطه من الراحة .

الفقيد في ساعات الاحتضار

وثاني يوم جلسنا واياه ، المجلس الاخير ، وكان يتكلم بقوة نفس ليس بينها وبين هزال جسمه رحمه الله ادنى نسبة ونهض من المجلس نابطاً قائلا : اريد اليوم ان اتغدى في اونترلاكن ، وكانت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر من نهار الخميس ٧ سبتمبر ، وكنت انا نازلا في اوتيل برن فذهبت الى الاوتيل الذي انا نازل به ورجعت الى اوتيل بلفو الساعة السادسة بعد الظهر فسألت عن الملك هل رجع من اونترلاكن فقالوا لي : نعم رجع ولكن متوعكا وقد اتعبته هذه النزهة وضل به الوقاد الطريق ولم يهتد الى طريق اونترلاكن الا بعد ان دار به ساعة ونصفاً ،

فلذلك تعب الملك وذهب رأساً الى غرفته واستدعينا له الطبيب فقال لا بأس وانما عليه ان يستريح ، فسألت : وهل يشكو شيئاً من الالم ؟ فقالوا يشكو خفقاناً في القلب ولكن الطبيب طمأن الافكار . وعند الساعة العاشرة صعد نوري باشا ليفتقده ورجع قائلا : سيدنا بخير . ثم في الساعة الحادية عشرة نزل من عنده تحسين بك كبير قرنائه فسألناه عنه فقال انه مستريح . فانصرفت انا الى الاوتيل الذي انا نازل فيه ، وقد سكن البال . والذي علمته من بعد انه بعد ذهابي بضع دقائق جاء خادم الملك الى بهو الاوتيل وكان فيه الملك علي ونوري باشا السعيد ومحمد رستم بك حيدر وحسن خالد باشا ابي الهدى واخي عادل وآخرون فقال الخادم لمحمد رستم بك ان الملك يستدعيك فصعد الى غرفة الملك فوجده مضطجعاً على كرسي بثيابه ولكن لا يقدر على الكلام الا بمشقة ، فاخذ يفرك له يديه حتى عرقا ثم اخذ يقول له بتؤدة : كنت افضل ان جلالتك تجرب المعالجة عند غير هذا الطبيب ويا حبذا لو جربت استشفاء في فينة واشباه هذا الكلام ، وكان الملك يسمع ويجاوبه بالايماء وبعد ذلك بقليل دخل نوري باشا فقال له : ياسيدي لا يصح ان تبقى في ثيابك جالساً على الكرسي والاحسن ان تخلع ثيابك وتضطجع في السرير ثم خلعا عنه ثيابه والبساه قميص النوم واضطجعاه في سريره واخذا يفركان يديه الى ان قال لهما انه استراح فليذهبا ، فخرجا وهما مطمئنان ، وبعد خروجهما بدقائق معدودات جاءته نوبة قلبية فاستدعى الممرضة التي كان الطبيب جعلها عنده فقال للممرضة لتستدعي حاشيته حالا ويظهر انه شعر بدنو اجله فأراد ان يبلغهم وصيته فقالت للخادم فنزل وقال لهم ان الملك يأمر بمجيئكم اليه حالا ولكن الخادم كان مضطرباً فصعدوا سراعاً . فيقول نوري باشا انه عندما دخل الى الغرفة كان الملك رحمه الله في النزع ولم يستمر نزعه ولا دقيقة واحدة فما رأوا الا وقد شهق شهقة كان بها الفصال وانقطع النفس تماماً بعد ذلك فمن سرعة انقطاع النفس لم يكادوا يصدقون انها الوفاة وسألوا الممرضة فقالت لهم انكم بعد ان فارقتموه ببضع دقائق استدعاني وقال لي لارسل وراءكم لتحضروا وانا فحصت قلبه فوجدته في حال التهور الشديد فبادرت بحقنة تحت الجلد املا بتحريك القلب ولكن لم ينبض القلب

فلا ظن الا ان القضاء قد نزل . فتلفنوا الى الاطباء فجاؤوا وقرروا ان الملك قد فارق الحياة رحمه الله واكرم في جواره مثواه . وبعد ذلك اجتمعت حاشية الملك وسحبوا البرقيات الى بغداد والى سائر الاماكن وهرعنا الى الاوتيل فعلمنا ان الله قد اخذ وديعته . وكانت ساعة لا يعرف هولها الا من حضرها لاننا كنا نرى في فيصل رمز النهضة العربية ولم يكن رزؤه رزء واحد بل كان بنيان قوم تهدم .

اسباب الوفاة الحقيقية

ثم ان الاطباء شرحوا جثمان الفقيد فقرروا ان الوفاة كانت بسبب انسداد الشرايين وقد وقع ذلك موقع الاستغراب لان تصلب الشرايين لايتفاقم الى هذا الحد الا اذا بلغ الانسان الكبر ، بل بلغ من الكبر عتيا . والحال ان الملك فيصل لم يتجاوز التاسعة والاربعين من سنة . وقد سمعت من الدكتور الحسيني المصري طبيب الملك علي ان الشرايين كانت متصلبة حتى لاتكاد تنقطع بالسكين . وبعد التشريح نقل الجثمان الملكي الى المستشفى وجرى التحنيط وبعد ان تم التحنيط ذهبنا الى المستشفى لاجل وداع الفقيد وارسال النظرة الاخيرة على وجهه الكريم واخذ المصورون صورته مضجعاً على نعشه وكانت لنا عنده مناحة بكاه فيها الحاضرون باشد مما بكوا الموتى من اهلهم واحبابهم وارتفع العويل واجهش كل من حضر ورجعنا الى الاوتيل وكان الخبر وصل الى طلبة العرب في جنيف ولوزان فتلفنوا لنا يريدون المجيء فاشرنا عليهم بالحضور وبعد ساعتين أو ثلاث اقبل هؤلاء الشبان والحزن بالغ منهم مبلغه واعينهم تفيض من الدمع وارادوا ان يشاهدوا الفقيد وكان قد دخل الظلام فذهبنا مرة ثانية وودعناه وداعاً ثانيا اشتد فيها النحيب وكان كل واحد منا يقول :

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر   وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ثم رجعنا بالجثمان الى الاوتيل بعد ان وضع في التابوت واحاط الشبان بالتابوت من كل جهه ورفعوه بايديهم الى السيارة التي اقلته الى الاوتيل حيث كان قد اعد

له بهو كبير وضع فيه على منشر عال وقد تغطى بالاكاليل التي من جملتها اكليل الجمهورية السويسرية وبقينا في البهو من حول التابوت الى الساعة الثانية عشرة ليلا فاشرنا الى اولادنا الطلبة ان يسهروا عليه بالمناوبة اي يرقد منهم فوج ويسهر فوج ولكنهم حفظهم الله وابقاهم للامة العربية لم يشاؤوا ان يتناوبوا في النوم وسهروا باجمعهم لم يذق لهم طرف طعم الرقاد . وجئنا في الصباح فوجدناهم صافين حول التابوت واجتمع الناس حينئذ

نقل الجثمان الطاهر

وكان موعد نقل الجثمان الى السكة الحديدية للسفر بها الى برنديزي ومن هناك الى القدس الى بغداد فحمل الشبان النعش الى السيارة واشترك الجميع في حمل النعش وسار الجمهور الى المحطة وكان هناك جم غفير يتقدمهم رئيس جمهورية سويسرة والمسيو موتا ناظر الخارجية وسار القطار بجثمان الفقيد ومعه جلالة الملك علي ونوري باشا وجعفر باشا وحيدر بك وتحسين بك والدكتور احمد بك قدري وسائر بطانة الملك وكان ذلك في الساعة الثامنة صباحا . ولما وصل جثمان الملك المرحوم الى برنديزي اجرت له الحكومة الايطالية مراسم احتفال فائقة واصطفت العساكر ونشرت اعلام الحداد وكانت حفلة في اقصى ما يمكن من الهيبة والفخامة نشرت تفاصيلها الجرائد

جنيف شكيب ارسلان

كيف وصل النعي الى البلاد العربية

وكان أول من اذاع النعي في البلاد العربية جلالة الملك علي شقيق الفقيد فقد طير برقية من برن في سويسرا بتوقيعه الكريم الى شقيقه سمو الامير عبد الله

في عمان هذا نصها : أعزيكم والاسى مل، قلبي بوفاه اخينا جلالة الملك فيصل هذه الليلة اثر نوبة قلبية

وصدرت البرقية من مكتب البرق في برن (سويسرا) الساعة الثالثة ونصف من صباح الجمعة ووصلت الى عمان حوالي الساعة الثامنة من صباح اليوم المذكور

ولما كان سمو الامير غائباً في (باير) فقد أرسلت اليه البرقية باللاسلكي وسافر الامير شاكر على طيارة الى مقر الامير لابلاغ سموه المصاب

ثم وردت برقية روتر بهذا المعنى هذا نصها : توفى جلالة الملك فيصل في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل في برن (سويسرا) بالسكتة القلبية

ثم اشفعتها ببرقية اخرى هذا نصها :

لندن في ٨ ايلول — تناول جلالة الملك فيصل طعام العشاء لكنه كان يشكو جهاداً وتعباً . فاستدعى ليلة أمس طبيباً خاصاً لكن الطبيب لم ير في حالة مريضه مايدعو الى القلق وظل جلالته كذلك حتى منتصف الليل فساءت حالته . وقد كان جلالة الملك فيصل مريضاً من قبل حينما غادر بغداد الى سويسرا طلباً للاستشفاء وانتجاعاً للصحة . غير ان هذه الرحلة بترتها ثورة الاشوريين . وقد أصر الاطباء على قولهم بان حرارة الصيف فى العراق تضر بصحة جلالته ضرراً بليغاً

ولم تكد تذاع هذه الانباء في العالم العربي حتى وجمت النفوس وتفطرت القلوب وتفجرت الآماق بالدموع وراح كل يندب حظ الامة العربية ويرثي لما طالعها المشؤوم .

استقبال جثمان الملك فى فلسطين

طلع الفجر يوم الخميس ١٤ ايلول في حيفا على مشهد تاريخي لم يسبق له مثيل فقد كانت فنادقها وشوارعها وشرفاتها وطرقها غاصة بالناس الذين تدفقوا عليها من جميع انحاء فلسطين والعراق وشرق الاردن وسورية

وما كاد الفجر ينبثق حتى شوهدت الوف لاتحصى مالئة الطرق والسهل الممتد

من حيفا على طريق عكا وسطوح المنازل وشرفاتها . فقد سارع الناس الى ملء هذه الاماكن لاعتقادهم بان برنامج الاستقبال قصير جدا وقضت الوف من الناس تلك الليلة نائمة في السهل الممتد بين حيفا وعكا حيث المطار

وفي الساعة الخامسه صباحا صعد الى البارجة المقلة لجثمان الفقيد العظيم الاميران طلال ونايف واثنان من اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين وبعض كبار البريطانيين . وكان الدخول الى اوصفة الميناء محظورا الا على حاملي التذاكر وعددهم مئتان من اعضاء الهيئات الرسمية والقنصلية وكبار الموظفين واعيان البلاد

ولم تكد تمضي هنيهة حتى بدا انزال جثمان الفقيد من البارجة الى رصيف المينا وقد تولى انزاله قائد البارجة وضباطها بملابسها الرسمية وكانت البارجة راسية الى جانب الرصيف . ولم يكد النعش يحمل على الاكتاف حتى صدحت الموسيقى العسكرية البريطانية بالانغام المحزنة

وقد ساروا بالنعش الى محطة القطار التي لاتبعد عن رصيف الميناء سوى مئة وخمسين مترا بين صفين من الجنود منكسي السلاح ومطرقي الرؤوس . وقد سار وراء النعش الملك علي والاميران طلال ونايف والمندوب السامي البريطاني ونوري باشا السعيدوزير خارجية العراق ورستم حيدر بك وزير الاقتصاد وجعفر باشا العسكري وزير العراق المفوض في لندن وتحسين قدري بك رئيس التشريفات في البلاط العراقي والدكتور احمد قدري بك قنصل العراق العام في مصر واعضاء الوفد الذي جاء من بغداد برياسة وزير المعارف واعضاء الهيئات الرسمية والقنصلية وكبار الوجوه والاعيان وفي مقدمتهم امين بك التميمي وكيل رياسة المجلس الاسلامي الاعلى واعضاء لجنة الاستقبال وغيرهم من ذوي المقام والشان . وكان المشهد مؤثرا جدا اذ كانت الدموع تتساقط من جميع العيون والزفرات تتصاعد من جميع القلوب حزنا

واما عشرات الالوف من الجماهير فلم يسمح لها بدخول منطقة الرصيف فوقفت صفوفا متراصة ملات الطرق كلها وما يجاورها من الاماكن وهي في اشد مظاهر الحزن والكآبة

ولما وصل النعش الى قرب محطة القطار وضع على سيارة عسكرية مجللة بالسواد وعليها اكاليل منها اكليل من جلالة ملك ايطاليا وآخر من السنيور موسوليني في برندزي ، واكليل من المندوب السامي البريطاني

واما كبار المدعوين الذين رافقوا النعش الى المحطة فقد استقلوا القطار واستقل المندوب السامي البريطاني مركبة خاصة به مع الملك علي والاميرين طلال ونايف وبعض كبار المدعوين فسار القطار بهم بينما السياره التي تحمل النعش واصلت سيرها بين صفين من الجنود الى المكان المعد للصلاة على جثمان الفقيد وتأبينه

واما الجماهير التي لايحصى لها عدد فقد تدفقت تدفق السيل نحو المطار ولكن النعش والمدعوين وصلوا قبلها

وقد اقيم في المكان المعد للصلاة والتأبين دكتان مجللتان بالسواد احداها للخطباء والثانية للملك علي والمندوب السامي وكبار المدعوين

ووضع النعش امام احدى الدكتين موجها نحو القبلة واقيم حوله نطاق بشكل نصف دائره

وحينئذ وقع حادث مفاجىء لم يكن في الحسبان وهو ان بعض شبان العرب المنتمين الى مؤتمر الشبان لم يرقهم ان يكون استقبال جثمان الفقيد العظيم حكومياً رسميا فلم يكد النعش يوضع على الدكة حتى اخذ هؤلاء الشبان يخترقون الصفوف ويهجمون على النعش . ومرت على هذه الحالة عشرون دقيقة كان الشعب فيها يموج تموج البحر طالبا ان يحمل النعش قبل الصلاة . فلم يمكن في هذه الحالة القاء خطب التأبين فان امين بك التميمي لما حاول ان يلقي خطابا مكتوبا ضاع صوته بين اصوات التهليل والتكبير

وبعد الصلاة نهض سيادة المطران حجار فتكلم دقيقة ثم اضطر الى التوقف لعدم تمكنه من اسماع صوته . وحينئذ رأى الملك علي الاكتفاء بما القي من الخطب وابلغ المندوب السامي رغبته هذه

ووضع النعش في سيارة سارت به نحو المطار ووراءه كبار المشيعين. ولما وصل

الملك علي جلس على كرسي صغير في ظل الطيارة وكان منظره يستبكي العيون لما يبدو عليه من اثر الحزن والتعب فلم يملك الجمهور نفسه من البكاء

ووصل النعش ونقل الى احدى الطيارتين اللتين كانتا في المطار قبل ان تصل الجماهير واخذ المصورون ومصوروا السينما عدة صور ثم ارتفعت الطيارتان في الجو بين اصوات التكبير والتهليل

ووصلت حينئذ ست طيارات عراقية فحلقت في الجو ثم سارت وراء الطيارات التي تقل النعش

والف بعد ذلك موكب صامت اشترك فيه عشرات الالوف فطاف في احياء المدينة وهو يقول : في ذمة الله ياملك العرب

كيف شيع جثمان الملك في بغداد

استعدت بغداد قبل وصول جثمان المغفور له الملك فيصل بايام لاستقباله وتشييعه الى مقره الاخير وقد تقرر ان يكون مرقده الى جانب قبر المرحومة جدته التي توفيت سنة ١٩٢٩ ودفنت في مقبرة خاصة على مقربة من دار البرلمان الحالية ، وتقاطرت على بغداد وفود لاتحصى من الالوية والبلدان المجاورة وفي مقدمة هذه الوفود الوفد العربي الذي جاء على فلسطين وشرق الاردن وسورية وكان من اعضائه البارزين عوني بك عبد الهادي وجمال بك الحسيني وعادل بك العظمة والشيخ عبد القادر المظفر وحسين باشا الطراونة وسليمان باشا السودي وعزة افندي دروزه والدكتور عبد الكريم العائدي عدا من رافق سمو الامير عبد الله وما كانوا يقلون عن ٣٠ شخصا وفي مقدمتهم الامير شاكر وبعض الاشراف وعجت دار السلام بالوافدين ويقدر عدد من حضر بما لايقل عن ٥٠ الف نسمة

وقد وصل جثمان الملك الراحل المطار المدني في الساعة السادسة من صبيحة الجمعة وكانت الساحة الكبرى التي امام عمارة المطار تموج بالخلائق واصطفت الجند والشرطة من المطار الى المقبرة الملكية الخاصة والمسافة تقدر

بخمسة عشر ميلا ولا غرو فان الجنود المصطفة مؤلفة من اربعة افواج وكتيبة من الخيالة اما الشرطة فكان عددهم نحو الف شرطي عدا ثمانماية شاب تطوعوا ان يكونوا شرطيين في ذلك اليوم التاريخي المشهود فوضعت على ايديهم الشارات

وكان منظراً مؤثراً للغاية لما استقبل جلالة الملك غازي الاول جثمان والده العظيم وتعانق جلالته مع جلالة عمه فقد علا النحيب وتصاعدت الزفرات من تلك الخلائق البشرية وكان يرافق الجثمان كما سبق القول كل من نوري باشا وجعفر باشا ورستم بك حيدر وتحسين بك قدري واحمد بك قدري ، وقد صلى على الجنازة ما يزيد على عشرة آلاف نفس ثم حملت على مدفع تجره اربعة من صافنات الجياد وكان الجثمان في صندوق من الالومنيوم وقد كسي بالعلم العراقي وركزت الاعلام على جوانب عربة المدفع وسار الموكب بين خلائق لا يحصي عديدها ، ولم تشهد بغداد لا في اتراحها ولا في افراحها مثل ذلك المشهد الفذ في تاريخ هذه البلاد وقد تجمهر الوف من الناس يريدون ان يحملوا النعش على اعناقهم فلم يتمكن الموكلون بحفظ الامن من زحزحتهم الا بشق الانفس وكان الطريق الطويل مكتظاً بعشرات الالوف والمدينة لابسة حلة سوداء والمناحات قائمة عند مداخل الطرق الفرعية فلا يرى المار الا مآقي تسيل منها العبرات ووجوهاً مكفهرة وصدوراً تقرع حزنا على الراحل ، ومضى النعش في هيبة وجلال الى ان وصل البلاط الملكي وهناك استقبله السفراء والوزراء المفوضون ومشوا مع الوزراء مطرقي الرؤوس تتقدمهم اكاليلهم ومن ورائهم العلماء والرؤساء الروحانيون والموظفون والاعلون وارباب الحرف والمهن ، ولكن كان من الصعب ان يتقدم احد خطوة من مكانه ما عدا الوزراء والسفراء وذلك من شدة الازدحام وكانت السطوح والشرفات مكتظة بالناس من جميع الطبقات .

وهناك في تلك الحفرة الصغيرة وضع جثمان ملك عظيم وسعت همته وعزمه خدمة شعب مجزأ مشتت محفوف بالاخطار والمكاره ، واطلقت مئة طلقة وطلقة عندما وسد اللحد ايذانا بذلك ، وتقدم ممثلو الدول الاجنبية الى جلالة الملك غازي وجلالة عمه الاكبر الملك علي وعمه الامير عبد الله بالتعازي . ومن العبث ان

يستطاع وصف موكب الفقيد وما حفه من روعة وجلال وودع به من زفرات وحسرات ، ولا المناحات التي مشت وراءه او وقفت مكانها لتعذر السير فان ذلك لا يحيط به كاتب واصف .

اما الاكاليل التي وضعت على ضريح الفقيد فقد زادت عن مئة بينها اكليل من جلالة شاه العجم واكاليل من السفراء والعظماء ووضع السفير البريطاني اكليلا باسم جلالة الملك جورج والقائد العام للقوات البريطانيه باسم الجيش . ومن اليوم الثاني الى هذا اليوم لم ينقطع سيل الوفود على القبر ساكبة العبرات وواضعة طاقات الزهر على الجدث الطاهر ، ومن بين هذه الوفود وفد برئاسة الحاخام الاكبر للطائفة الاسرائيلية ، وآخر برئاسة بطريرك الكلدان باسم الطوائف المسيحية ، ووضع الدكتور سيف الدين البستاني اكليلين على الضريح الاول باسم حزب شباب الوحدة العربية والثاني باسم الحزب الملكي في سورية .

وقد عقد في البلاط مجلس للعزاء تصدره صاحب الجلالة الملك علي دام سبعة ايام وانعقدت مجالس العزاء في بغداد وفي جميع انحاء العراق وقامت بذلك جميع الطوائف والملل ففي الكنيس الاكبر للطائفة الاسرائيلية انعقد مأتم برئاسة الحاخام وامثاله في كنائس الكاثوليك والسريان واللاتين ، وفي الجوامع الاسلامية الكبرى كجامع الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان وجامع الامامين العظيمين موسى الكاظم ومحمد الجواد في الكاظمية ، وكان الناس يطوفون على هذه المآتم من دون تفريق بين المذاهب والاديان .

صدى الفاجعة الاليمة

في الشرق العربي

قلنا ان برقية النعي التي ارسلت الى الامير عبد الله لم تصله في وقتها لانه كان غائباً في « باير » الصحراء وقد ارسلت اليه باللاسلكي . ولما عاد الى عاصمته عند تلقيه هذا النبأ ابرق الى جلالة الملك غازي البرقية التالية :

جلالة ولدنا الملك غازي ـ بغداد

مع الحزن العميق ارجو قبول العزاء وآمل ان تمثل جلالة المرحوم امام الله والشعب والبيت الهاشمي حق التمثيل وان تلاقي هذه المصيبة بكمال المتانة ، وان تقوم بمهمتك الشاقة التي اراك كفؤاً لها بعناية الله حق القيام

عبد الله

ثم ابرق الامير الى جلالة شقيقه الملك علي في برن البرقية التالية :

« تقبلوا تعزيتي مع حزني العظيم ، ثقتي بعنايتكم الهاشمية مع عبوديتي المعلومة »

عبد الله

وكانت عمان تنتظر رجوع الامير عبد الله بقلوب واجفة فلما وصل اول الليل استقبلته المدينة بمظاهرة باكية وكانت عينا الامير غائرتين من فرط البكاء، فلم يستطع الوقوف فادخله رئيس الحكومة الى غرفته وفي صباح السبت صعد اهالي عمان جميعاً الى المقر فقابلهم الامير عبد الله شاكراً باكياً ثم خطب فيهم قائلا : « لا حي يدوم الا وجهه تعالى ، لقد اعارنا انساناً ثم عاد فاسترده وتلك مشيئته. نعم ان الاسترداد لصعب على النفوس لانه جاء في زمن العرب فيه احوج ما يكونون الى الراحل العظيم ، ولكننا آل البيت دائماً مصابون ، والله لم ينسكم ولكم بالرسول اسوة حسنة بارك الله فيكم واحسن جزاءكم »

واذاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاردني الاذاعة التالية :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ، وكأي من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » قرآن كريم

« اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاردني تنعي بمزيد الالم الى الامة العربيه محقق آمالها ومهبط رجائها الملك فيصل الاول وتعزيها بفقد رجلها الاكبر عوض الله على الامة المفجوعة بما هو خير وأبقى وانا لله وانا اليه لراجعون »

وعندما تلا الناس هذا البيان توجهوا الى المساجد والكنائس حيث ادوا صلاة الغائب . وقد علقت صورة الفقيد في كل مكان واخرج نعش جلل بالعلم العراقي

العربي وطيف به في جميع الانحاء بين التهليل والتكبير والبكاء والعويل . وكانت جنازة عمان فخمة كنظيرها واصوات النساء تشق عنان السماء صائحة : يا ذل الاسلام والعرب من بعدك يا ابا غازي »

في سورية

وقد وصل نبأ الفاجعة الى دمشق في الساعة التاسعة والدقيقة ٣٥ من صباح يوم الجمعة اذ وردت برقية من عمان الى جريدة الف باء بهذا الصدد فأذاعت ملحقاً خاصاً ونعت الى الامة السورية وفاة مليكها المحبوب

ولم يكد ينتشر هذا النعي حتى بادر المؤذنون في دمشق فنعوا جلالته واحتشدت المساجد بعشرات الالوف من المصلين حيث ادوا صلاة الغائب

ولم ينبثق فجر يوم السبت (اليوم الثاني للوفاة) حتى كانت أسواق دمشق وسائر المدن السورية مقفلة وشوارعها مكتظة بالمحزونين والمتسائلين عن صحة النبأ

ولما حان وقت الظهر اكتظت مساجد دمشق في جميع احيائها مرة اخرى بالوف المصلين فادوا صلاة الغائب عن روح الفقيد العظيم وخطب بعض الشبان في المسجد الاموي . ثم خرج من المسجد المذكور موكب حاشد مشى في طليعة الزعيم ابراهيم بك هنانو وبعض اخوانه من رجال الكتلة الوطنية واعضاء عصبة العمل القومي والملكيين وسار تواً الى ساحة الشهداء

وهناك القيت خطب عديدة في تأبين الفقيد ثم انفض الجمع والحطب يملأ نفوسهم أسى ولوعة

برقية الكتلة الوطنية

بغداد — جلالة الملك غازي

السوريون يشاطرونكم الأسى بالكارثة الكبرى التي اصابتكم بفقد مؤسس نهضة العرب والدكم العظيم وللعراق بظلكم دوام التقدم على المنهاج الذي استنه سيدنا الراحل : ابراهيم هنانو ، فارس الخوري ، جميل مردم ، عفيف الصلح ، لطفي الحفار

فائز الخوري سعيد الغزي ، احسان الشريف ، نسيب البكري ، فخري البارودي

وقد طير الزعيم ابراهيم بك هنانو برقيات النعي الى معظم المدن السورية هذا نصها :

غداً (أي السبت) تنلق دمشق حداداً على مصيبة العرب بمصرع جلالة الملك فيصل نرجو اشتراك المدينة

وقد طيرت عصبة العمل القومي الى جلالة الملك غازي الاول ملك العراق والى رئيس مجلس الوزراء والى رئيس المجلس النيابي برقيات هذا نصها :

عصبة العمل القومي تعزي العرب كافة بفقد ابن الثورة العربية وحامل لواء التضية والمنافح عن الحرية وتهتف بحياة مليك العراق وارث عرش فيصل جلالة غازي الاول

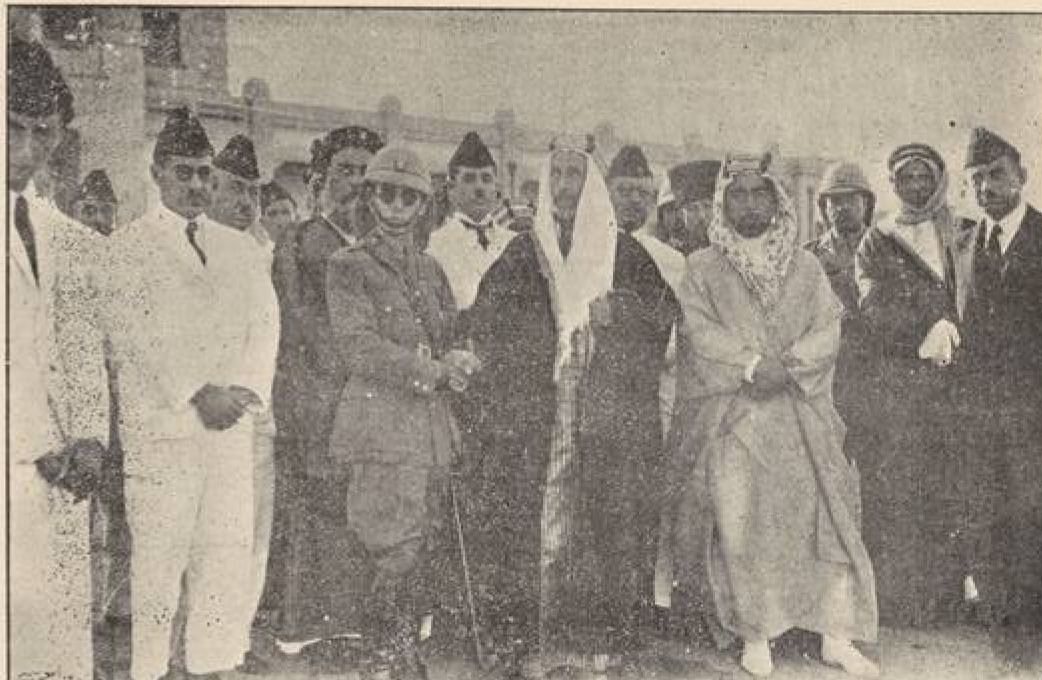
وقد اغلقت مقاهي المدن السورية وملاهيها حداداً على الفقيد العزيز وتوجهت وفود عديدة تمثل مختلف الاحزاب والهيئات الى بيروت لتقديم واجبات التعزية الى القنصلية العراقية

في بيروت

أما وقع النعي في نفوس البيروتيين فكان عظيما وقد نشرت الاعلام السوداء على كثير من الدور وابواب المخازن ووضع الشباب الوطني على صدره شارات الحداد .

وقد أقيم يوم الاثنين في ١١ ايلول مأتم عظيم للفقيد الراحل حضره الوف من الناس وسارت المواكب في شوارع المدينة يتقدمها رسم الفقيد والاعلام النبوية والعربية والعراقية

وبعد اقامة صلاة الغائب في الجامع العمري سارت الجماهير بمظاهرة صامتة خاشعة الى دار القنصلية العراقية حيث قدمت تعازيها لقنصل العراق



جلالة الملك غازي في انتظار جثمان والده العظيم والى يساره جلالة الملك علي فسمو الامير عبدالله واركان الحكومة العراقية

في مصر

لقد جزعت مصر كما جزعت جميع اقطار العالم العربي لهول هذه الفاجعة التي لم تكن في الحسبان . وظهرت الصحف المصرية مساء يوم الوفاة حاملة ذلك النبأ المريع وساردة سيرة الفقيد العظيم وما تحلي به من مكارم الاخلاق وحميد الصفات وما عمله من اعمال جليلة لصالح العرب والجامعة العربية

واقبلت وفود المعزين على دار القنصلية العراقية العامة بالاسكندرية وكان في مقدمة المعزين مندوبو جلالة الملك وشيخ الجامع الازهر والوزراء ومندوبُ دار المندوب السامي محافظ الاسكندرية بالنيابة عن الحكومة . وارسل دولة اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزاره برقية تعزية الى دولة رئيس الوزارة العراقيـة كما ارسل جلالة الملك فؤاد برقية رقيقة الى جلالة الملك غازي

وارسل دولة النحاس باشـا رئيس الوفد المصري البرقيـة الاتية الى جلالة الملك غازي :

حضرة صاحب الجلالة الملك غازي الاول ملك العراق

ان فاجعة العراق بوفاة والدكم جلالة الملك المحبوب فيصل الاول مؤسس المملكة العراقية الحديثة قد فجعت مصر والعالم العربي في ملك عربي مقدام عاش للشعب ، ومات في سبيل العمل لرفعته ومجده ، واني بقلب حزين أتشرف بان ارفع لمقامكم الجليل ولبيتكم الملكي الكريم ، وللشعب العراقي النبيل ، عزاء الامة المصرية الشقيقة وعزائي ، كما أرفع تهانينا الصادقة بإرتقاء جلالتكم عرش أبيكم ، جعلكم الله خير خلف لخير سلف ، وشعبكم الباسل بالمناعة والعزة والهناء

رئيس الوفد المصري : مصطفى النحاس

ولقد وجه سعادة حمد باشا الباسل نداء الى اهل العراق هذا نصه :

مات الملك فليحي الملك

اخواني اهل الرأي في العراق ! !

لقد مات فيصل مؤسس الدولة العراقية واصبحت هذه الدولة وديعة في يد خليفته وفي ايديكم ، والعالم ينظر والعرب في كل مكان يتطلعون باعين دامية وقلوب واجفة فاليكم أنتم العزاء وفيكم أنتم الرجاء

لقد عرفت في زعماء العراق على اختلاف احزابهم رجالا انضجتهم الايام وعركتهم الحوادث يستضيئون بنور الاخلاص وينهضون بصادق العزائم فاليكم أيها الزعماء تودع الدولة الفتية وعليكم أن تصونوها وما صيانتها الا بان تضاعفوا الهمم وتجمعوا العصبة . لقد كان فيصل يحمل الاعباء عن كثيرين اما الان فعلي كل وطني أن يشاطر في حمل الامانة

واعلموا ان الله أقامكم في مقام العباسيين فليكن للعراق عز اسلافه ومجد اباته ولتكونوا جميعاً رسل هذا العز وذلك المجد

لقد عزتنا ثقتنا فيكم عن مصاب العرب الدائم في فيصل البطل وأننا لانشك في ان الناس سيقولون قريباً انظروا الى العراق فيحق قول الشاعر العربي :

اذا مات منا سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

حمد الباسل

صدى الفاجعة في انكلترا

وصل نبأ الفاجعة الى لندن صباح الجمعة فكان له وقع شديد في نفوس اصدقائه العديدين واقلق بعض المقامات التي تهتم بشؤون الشرق الاوسط لانها خشيت ان تزداد الحالة في العراق تعقيداً بعد أن حرمت البلاد من بعد نظره ونفوذه السياسي وسعة حيلته . وقد ابنته الصحف فاطنبت في مدحه كجندي وسياسي واشادت بذكر النصيب الاعظم الذي قام به في معارك الشرق الاوسط اثناء الحرب الكبرى

وقد وصفه المارشال اللنبي بانه كان صديقاً مخلصاً ذا شخصية جذابة صريحاً في اعماله واقواله ، وجنديا كبيراً ، وسياسياً قديراً

ويقول المارشال « ان جلالته لم يكن في صحة جيدة اثناء زيارته الرسمية الاخيرة للندن ولكنه أحس بنداء الواجب يدعوه الى بغداد فعاد اليها . وعندي انه ضحى نفسه من اجل بلاده وهذا مايجب على الملوك عمله »

وأرسل الملك جورج الى الملك غازي البرقية الآتية :

« علمت انا والملكة ، والاسف ملء قلوبنا ، بوفاة والدكم العظيم جلالة الملك فيصل الذي سرنا ان نرحب به لما نزل اخيراً في ضيافتنا فنرجو من جلالتكم ان تتقبلوا تعزيتنا القلبية على الخسارة الكبيرة التي أصابتكم انتم واسرتكم الملكية وشعبكم بهذه الفاجعة .

« وانه ليسرني في الوقت نفسه ان اقدم الى جلالتكم تهاني القلبية بارتقائكم العرش مع تمنياتي الصادقة بان يكون عهدكم عهد سعادة ورخاء »

وانشأت جريدة التيمس مقالا افتتاحياً قالت فيه « ان وفاة الملك فيصل المفجعة الفجائية قد افقد هذا البلد صديقاً طيباً وحليفاً شهماً وسلبت الشعب العراقي ملكا خدمه خدمات لاتقدر لها قيمة »

وبعد ان تكلمت الجريدة عن حركة الاشوريين الاخيرة قالت :

« والملك فيصل كان يستخدم مالديه من المزايا — انتسابه لسلالة نبي المسلمين (صلى الله عليه وسلم) وصداقته للبريطانيين ووطنيته العربية الصحيحة — وما اوتيه من الفطنة والاعتدال . وقد كان المصلح المقدام والمحارب الباسل قوي الملاحظة وكان قادراً على مداورة وزرائه وتصريف الاحزاب السياسية وتوجيه حزب الى آخر ، وكان الزعيم الحازم الذي تقدره رعيته حق التقدير »

ثم اسهبت الجريدة في وصف حكمة فيصل وذكرت جهوده الى توثيق عرى الصداقة مع تركيا وايران واخيراً مع الملك ابن سعود

وبعد أن استعرضت وضع العراق وما قطعه من الاشواط قالت : « فوفاة الملك فيصل قبل الاوان لابد ان تؤخر التقدم الذي لا يمكن تعجيله بالوسائل العنيفة ، ولكن يمكن ان يستمر التقدم اذا زاد اليسر الاقتصادي وحافظت العراق على علاقاتها الودية مع بريطانيا واتبعت بحكمة وتعقل الى مشورة جمعية الامم »

وعالجت بقية الصحف الانكليزية موقف العراق الحالي ومستقبله بكثير من الحذر والحيطة بعد وفاة الملك الجليل

في تركيا

اذاعت شركة الاناضول التلغراف الآتي :

الاستانة في ١٠ ايلول — روعت دوائرنا بخبر وفاة المغفور له الملك فيصل الفجائية وخصوصاً لان للفقيد اصدقاء عديدين تعرف بهم في السنوات الاخيرة ولا شك في ان وفاة جلالته تعتبر خسارة فادحة للعراق نظراً للصعوبات التي نشأت من جراء ثورة الاشوريين التي لم تحل مسألتهم للآن ، ولا ريب ان الجهود التي قام بها جلالته وتكللت بالنجاح بتمكنه من انشاء دولة عراقية مستقلة تعمل على حفظ السلم في الشرق الادنى سيتممها ويسير على خطتها نجله جلالة الملك غازي ، الذي تتقدم اليه الصحافة التركية بعزاء ومشاركة الامة التركية له في مصابه المفاجىء »

ونعت الصحف التركية الى قرائها الملك فيصل وقد علقت على النبأ جريدة (وقت) قائلة : « ان الملك فيصل اشتغل في الحرب العالمية مع الكولونيل لورانس ضد تركيا ، ورأس القوات العربية ، ثم تولى الملك في العراق فاداره بذكاء ومهارة فائقة »

ثم قالت : « اننا كاتراك يسرنا جداً ان يحمد العراقيون فئة محلية بنفسهم الا انه يسؤنا جداً ايضاً وفاة الملك فيصل الذي كان صديقاً لنا عاملا على ازالة كل سوء تفاهم بين الامتين العربية والتركية ساعياً في سبيل ربط البلادين بروابط الصداقة والولاء »

وعقد الكاتب والمؤرخ التركي عمر رضا بك مقالا استغرق ثلاثة أعمدة اتى في مقدمته على تاريخ حياة الفقيد مختصرة ثم اتى على موجز الحركة الوطنية العربية والادوار السياسية التي مرت بالملك اثناء جهاده الى ان تبوأ عرش العراق وهنا اشار الى جهاده العظيم في القضية العراقية التي أحسن الدفاع عنها ثم قال :

والقيت خطب حماسية مؤثرة في تأبين الفقيد العظيم ؛ وكانت الاعلام السوداء تخفق فوق المخازن وشرفات المنازل

في فلسطين

عندما وصل نبأ النعي الى فلسطين كان الناس بين مصدق ومكذب حتى اذا تثبتوا منه قامت المناحات والمآتم في كل مكان، وظهرت الصحف العربية وهي مجللة بالسواد وابنت الفقيد تأبيناً حاراً ، ونكست الاعلام وعلا المؤذنون المآذن ينعون للناس فيصلا ، وأذاعت اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الاسلامي الاعلى ولجنة مؤتمر الشباب والمكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي بيانات متنوعة تحمل النبأ المريع الى ابناء فلسطين وتدعو الاهلين الى الحداد فلبوا سراعاً ورفعت الاعلام السوداء فوق الدوائر والاندية الوطنية واغلقت دور الملاهي واوقف العزف على الفونوغراف والراديو، واقيمت الحفلات التأبينية، وقرعت اجراس الكنائس، واقيمت الصلوات فيها، واعلنت المحافل والجمعيات ودور العلم الاهلية اغلاق ابوابها ثلاثة ايام حداداً ، وعلقت الشارات السود في الصدور وانهالت التعازي البرقية الى افراد الاسرة الهاشمية الكريمة .

بيان اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين

« انا لله وانا اليه راجعون »

« تنعي اللجنة التنفيذية العربية الى الامة العربية بملء الحزن والاسف ، قطب رحى الوحده العربيـة والعامل الاكبر صاحب الجلالة الملك فيصل الاول ملك العراق المعظم ، فقد حمل البرق خبر نعيه المشؤوم الذي وجفت له القلوب وهلعت الافئدة ، اذ اختاره الله عز وجل الى جواره الساعة الثالثة من صباح يوم الجمعة في مدينة برن عاصمة سويسرة حيث كان يقيم رحمه الله للاستشفاء من عناء الاعمال الجبارة التي ثبت دعائم العراق على اساسها فقد فاجأته نوبة قلبيـة اسكتت ذلك

القلب الجبار المملوء بالايمان القومي والخافق بحب العرب ففاضت روحه الطاهرة الى الرفيق الاعلى لتنعم في جوار ربها راضية مرضية

« ايها الفلسطينيون !

لقد مات « فيصل الاول » المحبوب ، الذي كان اسمه ملء الافواه وذكره ملء الاسماع ، وحبه متغلغلا في شغاف كل قلب عربي ، فيصل الاول الذي حمل علم الثورة العربية ونفخ في الامة العربية من روحه الطاهرة والذي شيد ملك العراق بقلبه الكبير وعقله المستنير والذي كان اعظم عامل في تشييد بنيان الوحدة العربية مات بعد ان ضرب للعرب الامثال في حياته القصيرة الحافلة بجلائل الاعمال كيف يكون تشييد الممالك ، والاستهانة في سبيل الاستقلال والوحدة بكل صنوف الرزايا والمهالك وان كلمة « فيصل » اصبحت قرينة المجد ورفيقة الحرية والتضحية . فعلى كل عربي اليوم في فلسطين والاقطار العربية الاخرى ان يتلقى هذه المصيبة الجلى والكارثة العظمى بالصبر والجلد وان يستنزل الرحمة على جثمانه الطاهر وان يتقرب الى الله عز وجل والى روح الفقيد العظيم الطاهرة بمضاعفة السعي والعمل في سبيل تحقيق الامل المنشود والغاية المثلى العظمى للامة العربية التي كان الفقيد إمامها الاعظم ومدرهها الافخم وبطلها الحلاحل وبحرها الخضم الذي ليس له ساحل

« وان فلسطين العربية الثكلى التي تسكب اليوم دمعة الحزن والاسى على جلالة ملك العراق وعميد النهضة العربية والتي تزفر زفرة الحرقة والوله على فتى الامة العربية وزعيمها وعظيمها ، لتتقدم بواجب التعزية في هذا الرزء الاجل الى نجل الفقيد المعظم وخلفه المؤيد المنصور جلالة الملك غازي المعظم والى الدوحة الهاشمية المباركة والى الشعب العراقي الباسل النبيل والى الامة العربية باسرها في رزئها الجلل ومصابها الاكبر

ولا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون »

بيت المقدس في ١٨ جمادى الاولى ١٣٥٢ و ٨ ايلول ١٩٣٣

رئيس اللجنة التنفيذية العربية

موسى كاظم الحسيني

بيان المجلس الاسلامي الاعلى

« بافئدة مكلومة وقلوب دامية ونفوس يملأها الحزن والاسى ، ينعي المجلس الاسلامي الاعلى الى الامة العربية الكريمة المجاهد الاعظم والقدوة الصالحة للزعامة المخلصة والجهاد المقدس والتضحية العظيمة الملك الحكيم فيصل الاول ابن الحسين ملك العراق وزعيم النهضة العربية وقائدها الكبير ، توفاه الله في بلاد الغرب اثناء جهاده في سبيل القضية العربية

وانه مهما يكن مبلغ وقع هذه المصيبة العظيمة في نفوس العرب والمسلمين جميعاً فانهم لا يقومون بواجبهم نحو الراحل الكريم الا بالسير على خططه وانتهاج نهجه في التضحيه والاخلاص والعمل ولا سيما في هذه الظروف القاسية التي تجتازها الامة العربية في سبيل نهضتها ومجدها . رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين والعرب احسن الجزاء . فعزاء ايتها الامة الكريمة وانا لله وانا اليه راجعون »

في ١٨ جمادى الاولى ١٣٥٢ و ٨ ايلول ١٩٣٣

وكيل رئيس المجلس الاسلامي الاعلى
امين التميمي

في العراق

وصلت برقيـة النعي الى دولة الاستاذ رشيد بك عالي الكيلاني رئيس الوزارة في الساعة الرابعة بعد منتصف ليلة الجمعة فتلفن محتوياتها الى الوزراء ودعاهم الى الحضور فوراً في ديوان مجلس الوزراء

وفي الساعة السادسة كان المجلس منعقـداً وايقظ سمو الامير غازي من نومه في قصر الحارثيـة وابلغ النبأ الفاجع فتلقـاه بصبر ورباطة جأش ثم توجه الى حيث يجتمع مجلس الوزراء فتـلا مراسم اليمين القـانونية امام المجلس طبقاً للمادة الحادية والعشرين من الدستور العراقي وبذلك اصبح سموه ملكا على البلاد

وفي الساعة العاشرة صباحا اذاع مدير قلم المطبوعات النعي الآتي : فجعت الامة عند منتصف ليلة الجمعة بوفاة سيدها وباني مجدها جلالة الملك فيصل الاول وذلك بنتيجة نوبة قلبية وشاءت الاقدار الالهية ان تحرم البلاد في اشد ساعاتها من قيادة مؤسس الدولة وزعيمها المحبوب كان الله في عون الجميع على هذا المصاب الجلل . سيعلن منهاج الحداد والتتويج ببيان آخر » ثم اذاع القلم المذكور بياناً بتتويج الامير غازي هذا نصه : « جرى تحليف سمو ولي العهد في الساعة العاشرة من هذا اليوم (الجمعة) وفقاً للمادة الحادية والعشرين من القانون الاساسي واصبح ملكا متوجا على العراق باسم الملك غازي الاول ابن الملك فيصل الاول

ولم يكد الشعب العراقي يتلقى النبأ الفادح بوفاة مليكه المحبوب حتى طغت عليه موجة حزن عميق وسراه ذهول ودهشة بحيث ماكان يرى المرء الا وجوهامكفهرة وعيونا دامعة وجماعات هنا وهناك تلطم بالصدور وترثي الراحل العظيم

وما كاد الشعب يصحو من هول الصدمه حتى تألفت المواكب وسارت عشرات الالوف امامها الرايات السود نادبة راثية وكان المنظر مؤثراً والكآبة تعلو الوجوه ومما زاد هيبة وخشوعا سير مواكب النساء لاطمات ناحبات وهن يرددن مراثي شعبية تفتت الاكباد . ومشت هذه الخلائق الى البلاط وقصر الحرم بين بكاء وعويل وكأن القيامة قد قامت ، وتبدل كل شيء على وجه الارض ودام الموكب الى منتصف الليل في بغداد . ولبست جميع المدن الاخرى الحداد واقيمت المآتم على اروع مظهر وابلغ منوال واعلنت الحكومة العراقية الحداد سبعة ايام

وقد مضى على العراق ثلاثة ايام سوداء لم يعرف فيها ابناؤه طعم الرقاد ولم يبق فرد الا خرج للاشتراك في العزاء والرثاء والف يهود بغداد ومسيحيوها مواكب عظيمة مشي فيها ما يزيد على ٥٠ الفا اخترقت شوارع العاصمة في حالة مؤثرة

وفي مساء اليوم الثالث اذاع مدير المطبوعات بيانا على الشعب يدعوه فيه الى الاكتفاء بما اقيم من مظاهرات والعودة الى مزاولة اعمالهم

ذكرى دخول العراق الى جمعية الامم

خطاب بليغ للفقيد العظيم

لا استقلال بدون قوة وعلم وصحة وثروة

في الاسبوع الاول من العام الماضي أي في يوم ٤ تشرين الاول سنة ١٩٣٢ قررت عصبة الامم قبول العراق في حظيرتها وازالة الانتداب عنه والاعتراف باستقلاله . وقد كان الفقيد الغالي جلالة الملك فيصل القى خطبة بليغة في الاحتفال الذي اقيم ليوم استقلال العراق وذلك في حديقة « باب المعظم » في بغداد . وهذه نص الخطبة المذكوره :

ابناء وطني

اشكر الله واهنيء نفسي وشعبي على هذا اليوم الذي فزنا به بعد جدال سياسي دام احدى عشرة سنة باحدى الاماني الكبرى التي كنا نصبو اليها وهي الغاء الانتداب واعتراف الامم بنا وباننا امة حرة ذات سيادة تامة ، واری نفسي سعيداً ان اصرح بان هذا الفوز لم يكن ثمرة جهد شخص او اشخاص بل هو محصول سعي الامة باجمعها حيث كانت في اثناء هذا الجهاد مثالا للصبر والحكمة وطول الاناة ولم ار منها طول مدة هذا الكفاح سوى المعاضدة والتباعد عن وضع حجر عثرة في السبيل الذي سرت عليه للوصول الى هذا اليوم السعيد ، هذا اليوم الذي اخذنا مقعدنا بين الامم .

فلقد كان افراد الشعب على اختلاف احزابهم وعقائدهم يشدون ازري بجميع ما لديهم من قوة وكنت ارى من يتقلد زمام الامر يكد في الكفاح تحت ضغط المسؤولية بكل اخلاص وامانة .

اعزائي ! لقد قطعنا هذه المرحلة الشاقة المحفوفة بالمخاطر وها نحن الآن على

ابواب عهد جديد تتولى فيه بلادي المسؤولية التامة عن تدبير شؤونها وادارة مقدراتها.

فاذا كان في مقدور البعض ان يتخذ من الوضع عذراً في الماضي عندما يتأخر عن القيام بالواجب فقد اصبحنا اليوم احراراً طليقين، وقد اصبح مجال العمل فسيحاً امام الجميع، فمن تقاعس فلا عذر له بعد اليوم.

وليعلم افراد الشعب بان مستقبل الاجيال القادمة وكرامتها منوطان بما يقوم به في السنوات القادمة من الاعمال وليعلموا ايضاً بان الامم التي دخلنا في مصافها سوف ترقب اعمالنا فاما ان تحكم علينا باننا غير صالحين لنكون اقراناً لها او يتحقق حسن ظنها باننا احفاد اولئك الامجاد الذين اقاموا مدنية استنار العالم بضوئها المنير الى هذا اليوم، فالى التسابق في مضمار الرقي والتقدم ادعو جميع ابناء شعبي وليس ذلك على ما هو مشتهر عنهم عن النباهة والذكاء بعسير.

بني وطني! علينا ان نضاعف الجهود في كافة اعمالنا وان نتذكر دائماً ان امامنا وجائب خطيرة لم تنل بعد قسطها الوافر من العناية، فيجب ان تتوفر مساعي الجميع الى ما يحقق القيام بتلك الوجائب وفي مقدمتها اعداد قوة تحمي ذمارنا وتجعل امتنا موفورة الكرامة محترمة الجانب، ثم القيام بمشاريع عظيمة للري وانشاء ما تحتاجه البلاد من خطوط حديدية وطرق مواصلات اخرى، ونشر المعارف بين عموم افراد الامة، وتوسيع المؤسسات الصحية في جميع انحاء القطر اذ لا استقلال بدون قوة وعلم وثروة. سيكون كل ذلك بحوله تعالى وبتكاتف افراد الامة واتحادهم ونبذهم كل حزازة او انانية شخصية وتوجيه وجهة كل منهم نحو غاية مشتركة ومقدسة وهي خدمة الوطن.

فعلى كل فرد من افراد الشعب ان يسعى جهده لتحقق تلك الغاية السامية، ومن تخلف عن هذا النداء فلا وطنية صحيحة له.

اعزائي! سترونني كما كنت سائراً بعون الله وتوفيقه بدون وجل او تردد مستهدفاً تلك الغاية وطالباً من كل فرد من ابناء شعبي القيام بما يترتب عليه للوصول اليها. واني لعلى ثقة تامة بانهم سيعاضدونني بكل اخلاص وستتضاعف هممهم

وجهودهم في سبيل رقينا ان شاء الله الى ابعد مدى من العمران والحضارة والله ولي التوفيق ..

وقبل ان اختم كلمتي هذه ارى من واجب الاعتراف بالجميل ان اعلن للملأ ابتهاجي وامتناني العظيمين للمعاونات الثمينة التي نلناها من جانب صاحب الجلالة الامبراطورية الملك جورج وحكومته وشعبه العظيم وممن وجد في هذه المملكة في الحاضر والماضي من رجاله . تلك المعاونات التي اؤمل ان تدوم في المستقبل باخلاص متقابل ، كما انني اعلن شكري للامم المجاورة لنا ولحكوماتها على ما اظهروه نحونا على نوايا حميدة وولاء قويم واؤمل اكيداً باننا سنبقى واياهم جيراناً اصدقاء ، وبالنهاية انني اشكر رجال جميع الدول الممثلة في عصبة الامم والتي رحبت بنا وادخلتنا في حظيرتها واؤكد للعالم بانه لا هدف لنا الا السلم والخدمة البشرية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبت جريدة « الديلي ميل » ما يلي :

آخر تصريح لجلالة الفقيد

برن : ٤ ايلول ـ لمراسلنا الخاص :

صرح لي جلالة الملك فيصل هذه الليلة عن اسفه على توسع العداء والبغضاء نحوه ونحو بلاده على اثر اضطرابات الحدود الاخيرة مع الاشوريين . وبينما كان الملك يحدثني كان الملك علي المقيم ايضاً في برن للاستشفاء يمشي في الصالة جيئة وذهابا مرتديا لباسه الشرقي الجذاب واما الملك فيصل فكان مرتديا بدلة اعتيادية وكان جلالته اثناء ادلائه بتصريحاته الشديدة التالية يصحب كلامه بضربات يده على الطاولة بين آونة واخرى :

« ان الحكومة العراقية لم تفعل الا ما كانت تفعله اية حكومة متمدنة اخرى تسير بمقتضى النظام والقانون ـ انها قمعت محاولة شرذمة من العصاة كانت تقصد قلب النظام والسلطة»

ثم استمر يغضب قائلا انه من العار التكلم عن المذابح ، لم يقع الاعتداء حتى

ولا على امرأة واحدة بل انما هنالك ٧٠٠ آثوري مستخدم في الشرطة العراقية وقد طلب ١٠٠ آثوري آخر ان يسمح لهم بمقاتلة الثائرين من الآثوريين

« واود ان اؤكد بصورة قطعية بانه لايوجد هنالك اي تعصب ضد الآثوريين في العراق . واني آسف جداً لما قد حدث غير ان هذه الشرذمة من الاثوريين التي لايتجاوز عددها ١٥٠٠ لم تكن لتقنع بما نستطيع تقديمه لها

« ومن المؤلم ان يفكر المرء كيف اوربا تستطيع ان تصدق جميع الاقاويل المزعومة عن اضطهادنا للاقليات . ان كافة الاقليات في العراق قد عاشت مع بعضها برفاه واطمئنان منذ الفي سنة حتى الآن . ان الكلدانيين مرتاحون وبطريركهم يتمتع باحترام من قبل كافة السكان

« واننا بمقتضى مشروع الاسكان قد قدمنا للاثوريين اراضي خصبة غير ان المنشقين ابو الا ان لايقبلوا بذلك . فهم يريدون الاستقلال السياسي ومعنى هذا خراب البلاد بكاملها

ثم رفع صوته قائلا :

« ان واجبنا يتطلب حماية كافة الاقليات . وماذا كانت تقوله الدول الاوربية ياترى لو اننا فشلنا في قمع الثورة

فتجاسرت ان اسأله قائلا :

« ان هنالك من يقول بان شعور جلالتكم ازاء بريطانيا قد طرأ عليه بعض التغير منذ ان استقل العراق »

فاجاب جلالته بشدة « ان الحكومة البريطانية تعلم كل شيء عن ذلك . ولا شك بان بعض الجهات لمنافع ذاتية في نفسها حاولت ان تعكر صفو العلائق الودية القائمة بيننا . غير اني استطيع ان اكرر بكل تأكيد بان سياستنا هي تنمية وتقوية الصلات بيننا وبين بريطانيا خطوة فخطوة »

وحينما عاد الملك الى موضوع الآثوريين تغيرت سحنته وقال « ان مثل الاثوريين بنظري كمثل ولد عاق ابى الا ان يختار طريق الفساد بالرغم من نصائح ابويه »

وحينما طلبت الاستئذان من جلالته اضاف قائلا بانه ليس هنالك ريب في عدم

« وقد سعى الملك فيصل بكل قواه في سبيل تحقيق اماني العرب التي كانت الامة العربية جمعاء تراها ممثلة بشخصه ، والملك فيصل كان يعرف حقيقة نوايا العرب من جهته ولهذا كان كثير التأثر شديد الاضطراب لعدم استطاعته اجبار الدول المسيطرة على تحقيق وعودها »

في فرنسا

علقت جريدة (انترانسيجان) الاستعمارية على خبر وفاة الملك فيصل بقولها « يجب ان لا يغيب عنا ان الحالة في العراق كانت في المدة الاخيرة على جانب كبير من الاضطراب حتى استلزمت مخاطبة انكلترا للملك فيصل الذي كان قد سافر للاستشفاء ، ويجب ان لا ننسى كذلك اهمية المصالح الدولية في منطقة الموصل ، ويجدر بنا ان نرقب بعين الانتباه تطور الحالة في تلك البلاد »

وقالت الديبا « ان الفقيد كان يبث الفكرة الوطنية العربية وينميها بعناية واهتمام وهو لم يكن صديقاً لفرنسا بل كان يحاول اخراجنا من سورية على رغم الاتفاقات المعقودة ولكنه كان ذكي الفؤاد بصيراً في الامور فادرك على اثر ذلك ان من مصلحته ان تكون العلاقات وديه صميمة ولا يبعد ان نكون واهمين في ذلك لان الفقيد كان سياسيا شديد التكتم »

وقالت جريدة الطان : انه بفقد الملك فيصل يتوارى رجل شديد الحزم والعزم ومتفوق الذكاء ، وقد احرز في البلاد العربية مكانة سامية جداً. وموته يفتح الباب لمسائل تعد على جانب عظيم من الاهمية فان انكلترا فقدت بوفاته حليفا ممتازاً. ولكن بعض الحركات التي كانت سورية تنظر الى تطورها بعين القلق ستوقف بوفاة الرجل الذي كان يحث عليها وكان يحتمل ان يستفيد منها »

وقالت جريدة الجورنال : « بوفاة الملك فيصل يتوارى ليس فقط مليك كانت سياسته موضع جدل ونقاش ؛ بل اعظم شخصية بارزة وانبه رجل عرفه الشرق »

ثم قالت هذه الجريدة نفسها : « قد خلق فيصل لفرنسا مشاكل خطيرة اتعبتها وهذا ناتج عن ان الوعود التي اعطيت لفيصل ووالده تتباين مع الوعود التي منحت

في نفس الوقت لفرنسا من جانب حكومة لندن . وحقد فيصل على فرنسا كثير لانه لم يتمكن من تحقيق غاياته وهي حكم بغداد ودمشق في آن واحد . ويقال ان الرجل اسلس قياده واحسن اساليبه منذ ثماني سنوات بعد ان احتك بكبار السياسين امثال المسيو فيليب برتلو وهنري بونسو وبدأ يدرك ما هي فرنسا . وقد تحسنت العلائق الفرنسية العراقية من اثر زيارة الملك فيصل لفرنسا سنة ١٩٣٢ رسميا ومقابلة المسيو بول دومير رئيس الجمهورية له »

وقال المسيو بونسو المندوب السامي السابق في سوريه لمندوب شركة روتر « ان وفاة الملك فيصل الفجائية قد أثرت في نفسي تأثيراً كبيراً ولقد كنت منذ سبع سنوات على اتصال معه سواء من الناحية الشخصية أو الوجهة الدبلوماتيكية وكانت مقابلتي الاولى مع الملك العظيم في الباخرة ماريت باشا حين كنت ذاهباً الى سوريه لتولي منصب عميد سام للجمهورية الفرنسوية في سوريه ولبنان أعني في اكتوبر عام ١٩٢٦ واجتمعت به لآخر مرة اثناء زيارته الرسمية لفرنسا في شهر آب عام ١٩٣١

« انني أحمل لفيصل في قلبي اعظم الاحترام والتقدير وأعترف بذكائه النادر وفطنته البالغة ولست أنسى ان والده كان قد انضم الى جانب الحلفاء اثناء الحرب العامة وقد فرقت بيننا بعض المشاكل المستعصية ولكنني لاأود أن اتذكر اليوم الا الاماكان مدعاة لاتفاقنا واتحادنا

وليس يسعني الا أن اقول لك ان موت فيصل معناه اختفاء ابرز شخصية عرفها العالم العربي»

في ايطاليا

كتبت الصحف الايطالية مقالات طويلة تعليقاً على وفاة الفقيد. وقد تضمنت هذه المقالات كثيراً من العطف على جلالته والتنوية بمزاياه والحوادث التي توالت

على العراق في مده حكمه حتى الغاء الانتداب البريطاني

ونوهت جريدة (لوفي ساجرو) والصحف الفاشيستية الاخرى بموقفه تجاه انكلترا واجمعت على القول بان في ارتقاء نجله الملك غازي الاول عرش العراق أعظم دليل على أن سياسة العراق الخارجية لن يطرأ عليها اقل تبدل

من اقوال فيصل المأثورة

ــ انني لا أعمل أبداً لا لانكلترا ولا لفرنسا بل للعرب وللعرب فقط وانا دائماً أخ لاخواني في الجنس والدين

ــ انا والله رجل لاخاف القوات . بل اخاف حساب التاريخ والمستقبل ، وان اخوف ماخافه ان يقال عنى انني عملت عملا لايليق بآبائي واجدادي . فأنا عامل بما هداني الله اليه لاستقلال بلادي واعادة مجدها الغابر .

ــ نحن عرب قبل ان نكون مسلمين وان محمداً لعربي قبل ان يكون نبينا. نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد

ــ ان الانتداب كلمة غير ذات معنى تحدد به والامة ترفض الانتداب رفضاً باتا بحيث لاتقبله منها واحد يريد الحياة ... وان قبوله عار لايمحى

ــ نحن نريد ان ننشيء جيلا جديداً يفهم واجبه ويجعل للمستقبل كما عمل الاجداد

ــ ان المرأة لاتنشد السعادة اذا عملت خارج البيت . نحن نريد المرأة للواجبات اعظم من الحقوق والاقتصاد . نريدها للعمل في الميدان النسوي وفي التعليم وتدبير المنزل وتربية النشء والتمريض وبناء المستقبل

ــ ان الحكم يقوم اما على المحبة أو على الرهبة وانا اريده قائماً على المحبة

ــ ان الديانات تأمر في الارض بالاخوة واتباع الحق فمن يسعى لايقاع الشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي

ـ انني اقل الناس قدراً وأنقصهم علماً لامزية لي الا الاخلاص

ـ ان الفقر اكبر عدو داخلي للبلاد. وعلينا ان نستخدم كل قوانا المكافحته بما لا يقصر عن مكافحتنا لاقوى الاعداء في الخارج

ـ انني ابذل قصارى طاقتي لاغذي في شعبي روح العظمة والاعتماد على النفس وانا واثق من انه لو منيت بلادي لاسمح الله باحتلال اجنبي جديد في المستقبل لثارت كلها في وجه هذا الاحتلال كما انها تثور في وجه كل حاكم غير عادل . هذه هي الروح التي ابثها في شعبي .

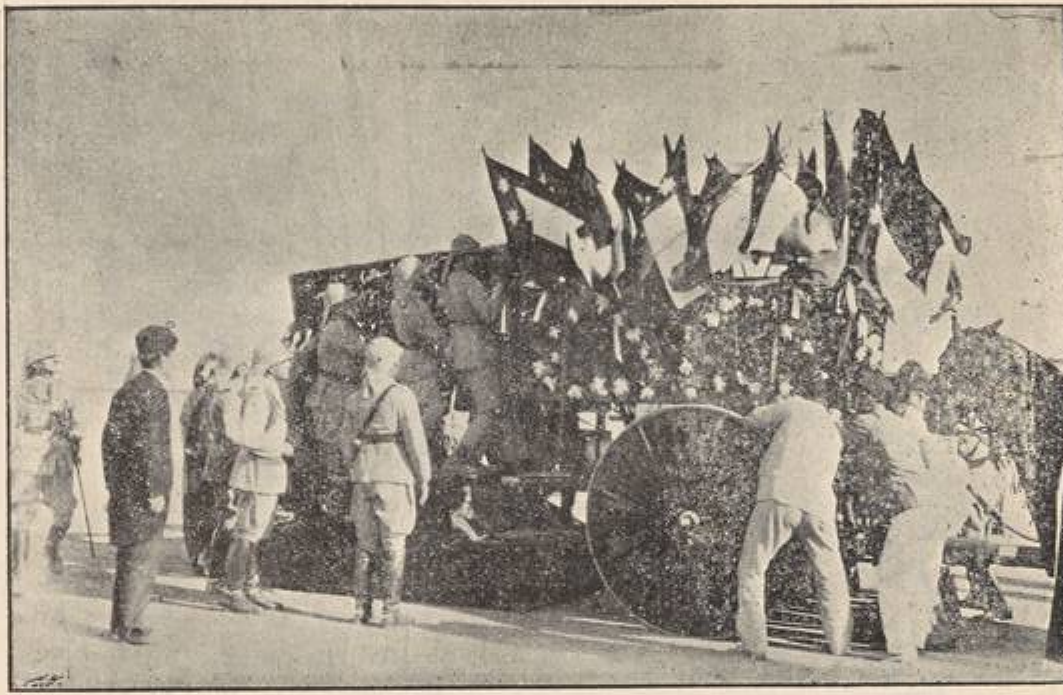
ـ هنالك نقطة مهمة جداً في حياتنا القومية تتعلق بنفسية الشعب وروحيته يجب بحثها ومعالجتها بصورة حاسمة ، هي ثقة الامة بنفسها واعتمادها على ذاتها وتقديرها ارادتها

ـ اليأس مرض نفسي هو أشد فتكا بالامم من ابشع الامراض وهو اذا تسرب الى امة كان نذير حلا كها ودمارها والامل مبعث العمل والنشاط وهو اذا دب في جسم المريض جعله قادراً على مصارعة مرضه والتغلب عليه

ـ نحن في وطننا والبلاد بلادنا وحقنا في الحياة حق طبيعي يجب ان نمارسه حتى ولو لم يكن هناك من يعترف لنا به

ـ الشعب وديعة الله في ايدي زعمائه فعليهم ان يحسنوا الاحتفاظ بهذه الامانة ويحملوه على الاستفادة من الظروف السانحة والفرص المؤاتية

ـ اني احب ان اضع الصحافيين في صف الزعماء، واطلب اليهم ان يتقوا الله في الواجب المقدس ولا يتاجروا بمقدرات بلادهم



ضباط الجيش العراقي يحملون على اكتفهم نعش الفقيد العظيم



بقاء جلالته خارج العراق مدة طويلة وربما لم يتجاوز ذلك الشهر الواحد . وبعد استشفائه السنوي عند اخصائي شهير هنا سيذهب لمدة قصيرة في محل آخر في سويسرا ثم يعود بعدها الى بغداد

آراء كبار المفكرين والادباء

فى فقيد العالم العربى

فيصل بن الحسين !! ...

بقلم الزعيم الاكبر الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في سنة ١٩١٤ كان العراق وسورية جزءاً من المملكة العثمانية ، لكن سورية كانت لقربها من البحر المتوسط واتصالها بالغرب وانتشار ابنائها في اوربا واميركا وكثرة معاهدها العلمية اوفر نصيباً في الثقافة الحديثة ، وقد لايكون للسوريين فضل خاص في ذلك سوى ان وضعهم الجغرافي جعل المدينة اقرب الى سمعهم وبصرهم وليست بعيدة عن تناولهم ، لاجرم ان العراقي كان في تلك الايام اذا نزل دمشق يشعر بشيء من الاعجاب كما يشعر السوري اذا نزل القاهرة والمصري اذا نزل باريز وفي السابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٠ ابلغ الحلفاء الامير فيصلا ان سورية والعراق اصبحتا دولتين اثنتين مستقلتين الاولى يساعدها على هذا الاستقلال شيء يسمى « انتداب فرانسة » والثانية شيء يسمى « انتداب انكلترة » وفي شهر آب من سنة ١٩٢١ بويع الراحل العظيم ملكا على بلاد الرافدين فما الذي استجد في ملكه من تاريخ هذه المبايعة المباركة الى اليوم ؟

(١) زالت حكومة البريطانية العسكرية المطلقة فحلت محلها حكومة العراقيين المدنية المقيدة (٢) وجلا جيش الاحتلال عن العراق حتى لم يبق منه لما زرت بغداد

في سنة ١٩٢٧ سوى ثمانمائة جندي هندي فقط (٣) تمت وحدة البلاد السياسية والاقتصادية بعودة الموصل الى احضان العراقين ، وقبرت الى الابد فكرة فصل البصرة عن امها بغداد وما يتبعها من تطبيق قاعدة « فرق تسد » (٤) صار للعراق جيش وطني من ابناء العراق له مدافعه ودباباته وطياراته ، وحتى صارت الخدمة العسكرية اجبارية هناك فقد يبلغ عدده زهاء مائة الف (٥) نبعت الثروة من احشاء الارض فصارت الحكومة تتقاضى رسما على ما يسيل منها نصف مليون من الجنيهات في السنة (٦) تدرجت المفاوضات السياسية الرسمية من معاهدة الى معاهدة حتى النبي الانتداب واعترف للبلاد بالاستقلال وصار ياسين باشا الهاشمي ونوري باشا السعيد وجعفر باشا العسكري يجلسون على مائدة عصبة الامم الى جانب توفيق رشدي باشا والمسيو بول بونكور والسير جون سيمون وها هم اليوم يقاضون فيها دولة من الدول المعظمة ويدفعون عن انفسهم تهما اوجدتها المطامع الاستعمارية البالية

هكذا كنا في العراق وسورية والى هذه الدرجة وصلنا اليوم ، واذا استمر على هذا المنوال بعد عشر سنوات سيدهش منا من ينزل بغداد دهشة من كان ينزل الشام من العراقيين منذ عشر سنوات ، وستصدق نبوة من قال ان عاصمة الرشيد ستكون عاصمة بلاد العرب حقاً. ان هذا الانقلاب هو انقلاب في الاسس وثورة في الاوضاع وقد لا يشعر به كثيراً من يقيم في وسطه الا اذا قدر له ان يرى بعينيه البلدان المجاورة له ، لان راكب الطيارة لا يقدر سرعتها وهو محلق في الجو ما لم ينظر الى الارض من تحتها

ان هذا الطراز في الحكم قد انقضى عهده على بغداد منذ زوال آخر ملك من ملوك العباسيين فالى من يرجع الفضل الاكبر باعادته على هذا الشكل الحديث ياترى؟

لقد مر على علماء الاجتماع زمن انكروا فيه قيمة الفرد الواحد في احداث التطور الكبير، وجعلوا هذا التطور رهن التبدل الطارىء على فكر الشعب بمجموعه ومتوقفا على مبلغ الثقافة القومية العامة ، بحيث صار الرجل القائد بالغاً ما بلغ من السمو والتفوق لا يعدو ان يكون رملة واحدة في كثبان من الرمل تسفوها الرياح ، ولكن هذا كلام مبالغ فيه جداً ، فحقائق القرن العشرين البارزة ، مع

مع كل ما اعترفت بـه لمجموع الشعب من شأن ، لقـد اسمعت الصم وارث العمي واقنعت حتى الاغبياء بان ايطاليـا من غير موسوليني وتركيـا من غير مصطفى كمال والمانيـا من غير هتلر هي بلدان تتخبط على غير هدى في الظلماء ، وان العراق من غير فيصل بن الحسين هو حقـل تجارب لنظرية الانتداب وما ترمي اليه من بسطة واستعمار . وانني مع كل اجلالي واعظامي للموافقـين والمخالفين في بلاد الرافدين والخدمات الجلى التي قدموها لبلادهم وللقضية العربيـة المشتركة اقول بصورة مجمله لولا فيصل بن الحسين والثقة التي اوجدها ما كان في العراق حكومة وطنية مسؤولة ولا مجلس نواب يناقشها الحسـاب ، ولولا فيصـل بن الحسين والامن الداخـلي والخارجي الذي استتب على ايامه ما كان هنالك جلا ولا جيش وطني من العراقيين وفي العراقيين وللعراقيين ، ولولا فيصل بن الحسين والكياسة التي اظهرها واللباقة التي تحلى بها ما كان هنالك تدرج في المفـاوضات وانتقال في المعاهدات ، وقصارى القول لولا فيصل بن الحسين ما كان هنالك استقلال .

اننا نعيش في مجتمع يكره عبادة الاصنام ولا يحترم الاعزل من المزايا لمجرد آبائه واجداده ، ولا يعد التقرب ميزة تسبغ على صاحبها الجبة والطيلسان ولكننا على التحقيق نعيش في مجتمع ينحني اجلالا للبطل الصادق ويكبر المزايا اللالاء في الفرد العامل ، وعنده ان لانجاة الامم الا بالافراد الممتازين من ابنائها فهم ادلاؤها اذا حار الدليل وهم مصابيحها اذا خيم الظلام ، فياويح شعب تساوت فيه الرؤوس واختلط حابله بنابله ولم تعرف عامته من خاصته .

لقد جزعنا لفقد فيصل بن الحسين لاننا جزعنا على البناء الذي كان ركننا فيه ان ينهدم ، وقد بكينا لفقد فيصل بن الحسين لاننا خشينا على الاسرة العربية التي كان واسطة عقودها ان تتشتت وقد غممنـا لفقـدفيصل بن الحسين لان الامال الكبار التي عقدناها على حركته الدائمة تصدعت بسكونه الرهيب ،

ولكن لا ... لا ... فنحن انما نتكلم الان على اثر الصدمة التي اصابتنا فجاءة فزلزلت اركاننا ، ومن النعم علينا انه لم يفارق هذه الدنيا حتى رأى بعينيه البذور التي زرعها هو واخوانه العاملون في الحقل العربي نامية تبشر بموسم عظيم ، والحياة

في الشعوب التي تنشد البقاء قوة لاتقاوم والحى مهما تكاثرت عليه الذئاب ليس له قاتل .

لقد مات فيصل بن الحسين فبكيناه وجزعنا لفقده ولكن الامة العربية حية لن تموت .

القاهرة عبد الرحمن شهبندر

ملـــــك !!.

— بقلم الاستاذ الدكتور طه حسين —

خرج من العراق منذ اشهر وان حياته الخصبة القوية لتملأ اقطار الشرق العربي كله ،وان جذوته الحادة الملتهبة لتؤجج في قلوب العرب جميعاً هذه النار المقدسة نار الوطنية الصادقة ، والقومية الخالصة ،والحرص على العزة العربيه ، وعلى اعادة ما كان للعرب من مجد اثيل ،ولم يكد يصل الى اوربا حتى جعل نفسه وشعبه ،وامته، حديث الاوربيين،حديثاً عذبا فيه اكبار واجلال ، وفيه محبة ومهابه ، وفيه آمال وفيه اشفاق . وما كاد يفرغ من زيارة ملك الانكليز ويفكر في راحته حتى دعته شؤون العراق ، ولم يكن ينتظر ان تدعوه ، فاسرع الى العراق مع الريح ، لاتستعبر في ذلك ولا نعمد الى المجاز ، وما هي الا ان يبلغ العراق في اقصر وقت ممكن حتى يحسم الداء ويرد كل شيء الى نصابه هادئاً مطمئناً رزيناً ثابت القلب ، مستقر النفس ، لاتروعه الخطوب ، ولا يزدهيه الفوز ، لا يهمل الحوادث ، ولا ينثني عزمه امام الخطوب ثم يعود الى حيث كان فى اوربا لاليستشفي ويستريح، ولكن ليعمل لشعبه اثناء الاستشفاء والراحة ، ليلقى كيد الكائدين ومكر الماكرين وقوة الاقوياء وتألب المتألبين ، بعزيمة ماضية لايخيفها الكيد ولا تروعها القوة ، ولا يعجزها أن تجد الى النصر منفذاً مهما يشتد الحرج ، ومهما يعظم الضيق

وكانت نفوس شعبة كلها متصلة به ، وكانت قلوب امته العربية كلها ملتفة حوله تذكره في اقطار الشرق العربي باحسن مايذكره الملوك ، وتمده في مكانه الغربي بما شاء من قوة ونصر وتأييد . ولكن الشعوب مهما تحب ومهما تؤيد ، ومهما تبذل من النصر والامداد ، فهي عاجزة عن ان تقهر الموت او ترده عمن تحب وتؤثر ، وهذا عظيم العرب وملك العراق يعود الى العرب والى العراق وقد فارقته تلك الحياة القوية ، وخمدت في قلبه تلك الجذوة الحاده واذا هو جسم يحمل على الايدي والاكتاف ، ثم يواري اليوم في جزء من الارض ، كما يواري غيره من الناس

سعيد حقاً من ظفر بمثل ماظفر به فيصل من حب الشعوب وايثارها ومن اجلال الامم واكبارها . ومن هذا الحزن الطويل العميق الذي لم يبق قلب من قلوب العرب الا خفق به ، وجزع له ، ولا نفس من نفوس العرب الا تفرقت له شعاعا

سعيد حقاً بين الملوك من يظفر بمثل ماظفر به فيصل من الثقة به في حياته والجزع لفقده بعد موته ، فما أكثر الملوك الذين يحسبون انفسهم كباراً وما هم بكبار ، والذين يخيلون الى انفسهم أنهم عظماء وما هم بالعظماء . والذين يخدعون أنفسهم او يخدعهم الناس فيعتقدون ان الشعوب تحبهم وتؤثرهم . وان الامم تجلهم وتكبرهم وهم لو نظروا الى قلوب الناس لما رأوا حباً ولا ايثاراً ، ولا انسوا اجلالا ولا اكباراً ، وانما هو الخوف ، والخوف ليس غيره .

لاتكاد الحوادث تحدث ، ولا تكاد العواصف تعصف ، حتى يتبين هؤلاء الملوك ما كانوا يريدون لانفسهم من مكانة في نفوس الشعوب ، تعصف الحوادث العامه بهذا فينزل عن عرشه او تعدو عاديات الايام على هذا فيلحق بالدار الاخرة ، فاذا الشعوب لاتحفل ، ولا تأبه ولا يمس قلوبها حزن ، ولا ينال نفوسها يأس ، وانما هي معرضة لاهية ان لم تكن مبتهجة راضية .

رأينا ذلك في اوروبا منذ عصفت العواصف بالعروش ، ولكن الذي رأيناه وما زلنا نراه منذ عدا الموت على ملك العرب وعظيمها ، شيء آخر يباين هذا اشد

المباينة ، ويخالف هذا اشد الخلاف .

لقد تم اسبوع منذ نعي فيصل الى الشرق العربي ، فلم يهدأ حزن المحزونين وانما ازداد عنفاً وشدة ولم يخف جزع الجازعين ، وانما ازداد بأساً وحدة ، وان في هذه الملايين من العرب التي قضت هذا الاسبوع في حزن ليس بعده حزن ، وجزع ليس فوقه جزع ، لاتذوق النوم الا اغراراً ، ولا تعرف راحة ولا استقراراً وانما هو نحيب متصل ونشيج لاينقطع اناء الليل واثناء النهار ، لدليلا اوضح دليل ، وحجة اسطع حجة على ان فيصلا قد ظفر من شعبه وامته بما لم يظفر به الملوك الا قليلا .

نعم وان في هذه الوفود التي لاتحصى بالمئات والالاف ، وانما تحصى بعشرات الالوف ، ولعلها ان تحصي بمئات الالوف ، والتي اقبلت من اقطار الشرق العربي يدفعها الحب والحزن ، حتى احتشدت في حيفا تستقبل نعش فيصل بقلوب يحطمها الحزن ، ونفوس يفرقها الاسى ، لدليلا اوضح دليل وحجة اسطع حجة على ان فيصلا قد ظفر من شعبه العراقي ، ومن امته العربية بما لا يظفر به الملوك الا قليلا

نعم وان في هذا الشعب العراقي الذي لم يجمع على شيء اجماعه على هذا الحزن ، ولم يطبق على شيء اطباقه على هذا الاسى ، والذي ظل اسبوعا كاملا في شيء يشبه الذهول ، لهذا النعي الذي لم يكن ينتظره ، والذي يواري اليوم مليكه العظيم ، وبوده لو استطاع ان يكون له فداء لدليلا اوضح دليل ، وحجة اسطع حجة على ان فيصلا قد ظفر من شعبه بما لايظفر به الملوك الا قليلا . واي غرابة في هذا ، واي عجب يثيره هذا ، ففيصل من هؤلاء القوم الذين جعلهم الله للناس اماما ، وللعرب والمسلمين اعلاما ، والذي يصدق فيهم قول الشاعر العربي القديم :

اقلوا عليهم لا أبا لابيكم ... من اللوم او سدوا المكان الذي سدوا
اولئك قوم ان بنوا احسنو البنا ... وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعمى عليهم جزوا بها ... وان انعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جل حادث ... من الدهر ردوا فضل احلامكم ردوا

يسوسون احلاما بعيدا اناتها وان غضبوا جاء الحفيظة والحقد
فان الشقى من تعادي صدورهم وذو الجد من لانو اليه ومن ودوا

وفيصل على هذا كله قد ايقظ نفوس العرب بعد نومها ، واحيا امال العرب بعد موتها ، ووقف حياته وجهوده على ان يرد للعرب عزتهم الشامخة ويشيد لهم مجدهم القديم ، حارب حتى ظفر ، وجاهد حتى انتصر ، ولم تكن حربه بالسيف والسلاح وحارب بالبصيرة والعقل ، وانفق في سبيل العرب عزما نادراً وحزما فذاً واظهر في خدمة العرب سياسة باهرة رائعة لاعهد للعرب بها منذ امد بعيد

لم تفنه الخطوب ، ولم تفل منه الحوادث ، وكانه كان يستحضر دائماً في نفسه وفي اثناء جهاده الطويل الشاق العسير ، قول الشاعر العربي القديم ، للعرب من حكمة بالغة باقية على مضى الازمان والعصور :

بكي صاحبى لما رأى الضرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا اونموت فنقبرا

او قول الشاعر القديم:

ولو انما اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسعي لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقد ادرك فيصل مجداً مؤثلا حديثا فاضافه الى مجد مؤثل حاول ان يقيم ملك العرب في الشام فاعترضت من دونه الاحداث وحالت بينه وبين ارض الشام ولكنها لم تحل بينه وبين قلوب اهل الشام فهم بايعوه بالملك ، وهم امنوا دائما بان بيعته لازمة في اعناقهم ، وهم يحزنون عليه اليوم كما يحزن عليه اهل العراق . فلما اعجزته ارض الشام وعاصمة الامويين حاول ان يقيم ملك العرب في ارض العراق ، هناك حيث الود المقيم لبنى هاشم ، وحيث الوفاء لاهل البيت فوفق فيصل الى ان يقيم ملك العرب في عاصمة العباسيين ، وكانت الاهوال والكوارث تحف بهذا الشعب العراقي الناهض ، فاذا فيصل يسوسه ويدبر اموره ، الطف سياسة ، واحسن تدبير ، واذا هو ينتقل به من فوز الى فوز ومن تفوق الى تفوق ، حتى تولى عنه الان ، وان للعراق لمكانا في سياسة الشرق والغرب ، ما كان يحلم بها قبل خمسة عشر عاما .

لم يبخل فيصل على شعبه ، ولا على امته بجهد مهما يكلفه الجهد ، ولم يرفض فيصل في سبيل شعبه وامته مشقة ولا عناء مهما تكن المشقة ومهما يكن العناء . فاي غرابة في ان يلقى الشعب العراقي وتلقى الامة العربية موت فيصل بهذا الحزن اللاذع العميق الذي لايظفر بمثله الملوك الا قليلا

رحم الله فيصلا ، فقد كان على مكانته من العرب ، وعلى ماظفر به من الفوز وما وفق اليه من النجاح اشد الناس تواضعا ، وارضى الناس خلقا واقرب الناس الى الديمقراطية الصحيحة واعذب الناس حديثا ، واصدق الناس تفكيرا ، واحب الناس للتجديد في غير اسراف ، وللمحافظة في غير اغراق ، واعرف الناس بحاجة الشرق ، وبما يعوق هذا الشرق من مصاعب ، وبما يدخر هذا الشرق من قوة خصبة تضمن له التفوق والفوز

تشرفت بلقائه منذ اشهر فتحدثت اليه وسمعت منه وقتاً قصيرا، فاذا نفس وادعة مطمئنة ، واذا قلب قوي ، واذا عقل حصيف ، واذا رجل لم يزدهه الغرور ولم يفسد عليه امره ، واذا رجل لم يخفه ضعف الشرق وتألب الاقوياء عليه ، وانما هو الحازم العازم المتفكر الفطن الذي تحدث اليك ، لا يتحدث بطرف اللسان ، وانما يتحدث بعقله وقلبه جميعا والذي يعرف حق المعرفة مايقول ويعرف حق المعرفة مايأتي من الامر

لقد فقد الشعب العراقي ، وفقدت الامة العربية ، وفقد المسلمون بفيصل رجلا عظيما حقا .

فليحسن الله عزاء العراق ، عن مليكها الفذ ، وليحسن الله عزاء الامة العربية عن قائدها العظيم وليجعل الله للشعب العراقي وللامة العربية من هذه النهضة القوية المباركة التي تظلهما وتدفعهما الى الرقي عزاء عن هذه الصدمة العنيفة القوية وليجعل الله من الملك الشاب للعراق والعرب خلفا من فقد ابيه العظيم .

فيصل مؤسس دولة ورسول وحدة

ــ بقلم الاستاذ عبد الرحمن عزام ــ

لااظن ان المصريين سيصبحون على نبأ اثقل على الاسماع واصدع للقلوب من ذلك النبأ المفاجيء بوفاة فيصل ، ولا اظن ان ملكا خارج حدود مصر يلقى موته في نفوس المصريين مايلقي نبأ ملك العراق من اللوعة وخيبة الامل ، ففيصل هو الرجل الذي ظل في ميدان السياسة والجهاد العربي ٢٠ سنة تعبس وتبتسم له الايام وتتناوبه الهزيمة والنصر وهو في الشدة والرخاء فيصل ولا شيء غير فيصل لايلينه الفشل ولا يعرف الوهن ولا يبطره النصر ولا يطغيه الفرح . واني لاذكر اني دخلت عليه يوما وهو ملك واني من العامة فهل تظن اني فكرت حين طلبت الاذن عليه في بزتي ولباسي او فكرت في حجابه ومراسم الملك ؛ كلا ولم اكن صديقاً شخصيا ولا لي به علاقة عمل وانما رجل من الناس يعرف عنه الملك انه محب لبلاده مشاطر في السعي لعزتها فلقيته دون كلفة وبغير سابق موعد فتحدثنا كما يتحدث الاقران وما كنت له من الاقران وانما كان هو من الثقة بنفسه ومن الاخلاص لعقيدته بحيث لايرى في تواضعه الا خادما لايمانه وبحيث اخرجني من عنده اكثر طواعية للملوك واشد تعلقا برأيه وولاء لشخصه مني لو انه احوجني الى ماتقتضيه ابهة الملك من مراسم الاستقبال

ولقد لقيته مرة اخرى اثر معاملة سيئة قصد بها قبل بضع سنين وخرجت من عنده وانا اذكر ماقيل عن دهاء معاوية وحلم معاوية فما بدا منه الا امر كريم على ما ناله وقصد بالحديث الى المقصد الذي عاش له ومات وهو في سبيله

وقد روى عنه ان شاعر العراق الرصافي هجاه فافحش في هجائه وقال ضمن قصيدة :

وليس لهم من امرهم غير انه يعدد اياما ويقبض راتبا

فلما دخل به يس الهاشمي باشا على الملك ليصلح بينهما قال له الملك انا الذي اعدد اياما واقبض راتباً ! فقال الشاعر هكذا يقولون

فهل سمعت بملك يعامل احد رعاياه بمثل هذا الحلم ؟ ولم يكن فيصل في الحقيقة الا بطلا ممن تعد ايامهم في تاريخ النهضة العربيه ومع ذلك لم تأخذه العزة من هذا الهجاء ولا غرو فانه يريد طاعة القلوب لا طاعة الابدان

واكثر الناس معرفة بفيصل لا يحدثونك عن اخلاقه الرضية وشيمه الكريمة الا بما يثبت له في النفوس جلالا وفي اعماق القلوب احتراماً ، يستمد ذلك كله من شخصيته الفذة ومن نفسه الكريمة الابية ، وقد اتفق عارفوه على انه اوتي من الوفاء لمعارفه في ايام بلائه بل معارفه واصدقائه في كل حياته — ما لم يؤثر عن ملك من الوفاء ، وحسن العشرة ولين الجانب ، بل اذا قيل عنه ان بعض من فارقوه في الرأي وانقلبوا عليه كانوا يتمتعون عنده بحظوة الصداقة التي لا تبلى في نفسه الكريمة

وقد اتفق الناس على ان فيصلا انما احيا مرة اخرى المأثور عن حلم العرب ودهاء العرب بجانب الاخلاص وطيب القلب والتواضع فجمع بذلك في ذاته الكريمة صفات القرشيين جميعاً ما بين امويين وهاشميين ولو مدت له الايام لجمع في شخصه ملك دمشق وبغداد

ولا شك ان التاريخ سيضعه في المقام الذي ناله بالجد وصدق العزيمة وصالح الرأي ذلك المقام المحمود الذي كان فيه شمسا مشرقة بامال العرب في كل مكان ولا شك ان الوحدة العربية آتية وانه فيها صاحب الفضل الاول وسيحيا بها حياة الخلود في تاريخ الامة الخالدة ، بل في تاريخ البشرية

وهو بين الرجال الموفقين ، فقد مات في الساعة التي اجمع فيها الناس على فضله بل في الوقت الذي هتفت فيه البلاد العربية بخلفته فترك بذلك عرشا ثابتا وملكا مدعما وسنة حية وبساطة في الذات والملك والحاشية والقصد في المظاهر مما يبقى

تراثاً لملك العراق واهل العراق هو التراث الذي تقوم عليه العروش الصالحة وترقى الامم الناهضة

ان ماصاب العرب في فيصل لايسلي عنه شيء الامايؤمل العرب في ابن فيصل مليك العراق الملك غازي . ولا يلهم الناس شيئا من الصبر الا مايعلمونه من زعماء العراق من صادق الرأي وافر الاخلاص ، ولا شك انهم وامراء البيت الهاشمي سيغارون على ملء الفراغ الذي احدثه غياب مؤسس الدولة العراقية ورسول الوحدة العربية

لقد ادى الملك فيصل رسالته مشكوراً ، وذهب الى الخلود في جوار جده رسول الله ، وبقى في الدنيا من اعماله دوي يستمر اجيالا طويلة فى آذان الاحياء ويضعه في مقام مؤسس الممالك من عظماء الرجال الذين تجود بهم الحوادث حينا بعد حين

عبد الرحمن عزام

الملك فيصل والنهضة العربية

— بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد —

عبر الملك فيصل بالقطر المصري مرات كثيرة بعد قيامه على عرش العراق، ولكنى لم اره في مرة من هذه المرات ولا اعرف سيماه الا من صوره في الصحف والكتب وهي في جملتها تدل على سيماء انسان حي من اصحاب الخلق والالمعية ، او سيماء « شخصية » يحسب لها حساب وتصلح للرآسة ومعالى الامور ، وكل ما سمعناه من اخباره وصفاته يؤيد هذه النظرة وينم على رجاحة في الذكاء والاخلاق

تولى ملك العراق وهو غريب عنه وعن مذهب الكثرة من ابنائه ، فلم تمض عليه فترة وجيزة هناك حتى استطاع ان يحكم الصلة بينه وبين الكثيرين من زعماء

الامة العراقية ، وجعل لرأيه شأنا في سياسة تلك الامة لا يعتمد فيه على قوة واحدة دون سائر القوى او على مرجع واحد دون سائر المراجع ولا نكران انه قد لقي الكثير من عون الانكليز في بداية الامر وشعر بالحاجة اليهم في مشاكله الاولى ولكن لا نكران كذلك انه قد حفظ لنفسه حقا وارادة وعالج الشؤون العسيرة في مملكته علاج المقتدر المتصرف فمن قال انه لم يستغن عن سند الانتداب في بداية الامر لعله لا يقول انه كان آلة انكليزية مفقودة المشيئة مجروفة في التيار

وقد رزق هذا الملك الراحل مناقب شتى كانت ولا ريب نافعة له في سياسة بلده وتذليل صعابه فهو مخاطر وهو خبير بتأليف القلوب وهو على تلك الخليقة الرضية التي تجمع الحزم الى البساطة والفطنة الى الصراحة وكل صفة من هذه الصفات لازمة لصاحب عرش العراق حين تولاه بين القلاقل والمنازعات

وكثيراً ما تظهر هذه الصفات في صغائر الامور كما تظهر في جلائل الخطوب بل هي الصغائر التي تبدي الصفات احيانا على حقيقتها لانها ترتجل الاعمال ارتجالا ولا تأخذها مآخذ التأهب والتحضير

فركوبه الطيارة مع ما عنده من الامراض وولعه بالالعاب الرياضية والفروسية ومعاشرته للناس من جميع الطبقات كلها شواهد على مكان تلك الاخلاق فيه من التأصل وبعد القرار ، وهي على كل حال اخلاق لا تستغرب من سليل الاسرة العربية البدوية الذي تهذب في بيته وفي الدنيا واختبر الحضارات حيث تلتقي وحيث تفترق في اقطار مختلفة فمن طبيعة البداوة المخاطرة والفروسية وتعويد الناس حرية العشرة وروح الانصاف المألوفة بين عشاق الرياضة

ولا نظن « التيمس » تجامل وتحابي حين تقول في رثائه انه « كان المصلح الجسور والمقاتل الباسل في قوة ملاحظة وقدرة على سياسة وزرائه وتصريف الاحزاب السياسية وتوجيه حزب الى حزب آخر » او حين تعزو اليه الفضل في توثيق عرى الصداقة بين العراق وتركيا وفارس ومملكة نجد والحجاز فما نذكر ان احدا وصف الملك فيصلا بما يناقض هذه الطبائع والسجايا حتى الاعداء الذين لا يجودون له بالاطراء

حدثني اديب سوري انه حين التقى بالملك ابن سعود خطر له ان يدخن لفيفة وذكر ان التدخين حرام في مذهب الوهابيين فقال للملك الوهابي وهو يمزح : لقد بقيت مشكلة يا اخي نود ان نتكلم فيها الآن . . . فهل تأذن في الكلام فيها ؟

وسبق الى ظن ابن السعود ان فيصلا يريد التطرق الى احدى المعضلات السياسية التي لايسهل التسامح فيها على ملك النجديين فقال ضاحكا : بل الافضل ان نرجئها الى وقت آخر .

فلم يسع الملك فيصلا الا ان يتمهل حتى سنحت له فرصة للاستئذان فخرج يدخن بعيداً من الملك الوهابي ثم عاد الى لقائه بعد الفراغ من التدخين ! فلما سمع ابن سعود بالخبر اكبره وكان له ابلغ الاثر في التقريب بين المدوين القديمين

ومثل هذا الخلق المهذب حرى ان يكسب صاحبه المودة ويؤلف حوله القلوب ويعينه على تذليل المشكلات

وسيذكر العالم العربي لملك العراق الراحل جهاده المشكور في انهاض الدعوة العربية وحث العزائم على احياء جامعة العرب ومن طريق الادب والسياسة

فلا ريب ان وفاة فيصل خسارة كبيرة على هذه الدعوة يعز احتمالها لولا ان الرجاء في تعويضها غير ضعيف فقد نشأ ابنه وخليفته على آساس من ابيه واحاط به رجال يؤمنون ايمانه ويعملون عمله ولا يخلو قطر عربي من دعاة اشداء يسهرون على اذكاء الهمم وتقريب الغاية ، فما نخشى على الدعوه العربية المباركة اذن الا من غلاة المتنطعين في الدفاع عنها والغيرة عليها ومن التنطع بلا مراء ان يغضب انسان على المصريين لانهم يحرصون على تاريخهم ويعتزون باصلهم ولا يبرأون من جنسهم فان المصريين اذا ذكروا اعراقهم فليس معنى ذلك انهم ينسون الاواصر العربية او يسيئون الى تاريخ العرب وآمال العروبة بل يسيء الى المصريين حقا من يحسبهم مضطرين الى التبرؤ من جنسهم والانفة من ماضيهم فليس في هذا كرامة لامة ولا كرامة لجامعة تنطوي فيها هذه الامة .

ان الجامعة العربية لاكبر واوسع واكرم من ان تكون جامعة لحم ودم وقرابة عمومة او خؤولة .. انما هي جامعة ثقافة ولغة وعقيدة ورجاء وماذا يضيرها

وهي كذلك ان يكون فيها مصريون وعراقيون وسوريون وحجازيون لن يضيرها ذلك شيئا وانما يضيرها ان تتنافر على التاريخ وتتنابذ بالاصول وتنسى ان المستقبل هو الامل المطلوب وان الذي يجمعه الرجاء لا تفرقه الذكريات

سلام على الملك العربي الفقيد وعزاء لسلام العربية فيه ، ورجاء في مستقبل الجامعة العربية لا يغض منه اختلاف التاريخ ولا اختلاف الاجناس .

عباس محمود العقاد

الملك الشهيد

ـــ بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات ـــ

في ليل يوم الجمعة الماضي سكت في برن قلب الملك فيصل وما كان في حسبان احد من دنياه ان هذا القلب الذي يجيش بالحياة وينبض بالاطماع ويستخف بالامور الجسام يسكت في وحدة الغريب ووحشة الليل الرهيب هذه السكتة الفاجئة !!

فلما نعاه البرق الى الآفاق فزع الناس الى الشك يدافعون به هول الخطب ، ورجم بعضهم بالظنون يعللون بها بغتة الحادث ، وتعذر على العقل ان يفهم الموت مقروناً الى فيصل (صقر قريش) وقد كان الى امس يقطع بعزمه الجبار اجواء الشرق والغرب حاملا في يمناه العراق وفي يسراه سوريا ، وفي قلبه (دولة العرب) !! ثم انجلى الشك وانجابت الظنون فاذا العراق واذا سوريا واذا العرب امام الفاجعة التي روعت النفوس وضرمت الانفاس وقوضت حصون الامل

لم يجزع العرب حين نعي اليهم فيصل على نفس كسائر النفوس تغوص في لجج العدم ، وانما جزعوا هذا الجزع الهالع على آمال امة ، وجهود نهضة ومستقبل فكرة ، لان ملك العراق كان مناط هذه الامال ، ومبعث هذه الجهود وعدة هذا المستقبل

ومن العجيب ان يكون مصدر هذا الجزع كثرة الزعماء الاكفاء لاقلتهم ! فان هذه الكثرة كانت دائماً وبالا على وحدة العرب اذ لم يقم على رأسها زعيم يعتمد في قيادتها على سلطان الدين وشرف النسب ، وقد اجتمع للملك فيصل مع هاتين القوتين عقل كيس ، وخلق نبيل ، ونفس طموحة ، وجاذبية قوية ؛ فلا جرم انه كان رجل الساعة لهذه الامة الناهضة يجمع كلمتها حول رأيه ويوحد وجهتها وراء خطاه !

...

عرفت جلالة ملك العراق اثناء مقامي ببغداد معرفة وثوق وخبرة وكانت حال البلاد في ذلك الحين محنة ابتليت بها كفاية الملك النابغ : فالانتداب كان قبل الملكية يعمل في العلن ويحمل التبعة، فاصبح بعدها يعمل في السر ولا تبعة عليه، والحكومات كانت يومئذ بادية البلى ممزقة الجوانب لا تستطيع بخروقها ان تستر العرش . فالملك بحكم الوضع كان يستر الانكليز ، ولكن الوزارة بحكم الضعف كانت تكشفه . فكانت اوزار اولئك واخطاء هؤلاء تحمل في رأي المعارضة والشعب على الملك ، وكانت البطانة بعبثها تنفض ظلامة على جد البلاط ووقاره شيئاً من العبث ، والشعب العراقي على اختلاف منازعه وعقائده واجناسه ناقد متمرد طموح لا يصبر على نقص ، ولا يغفل عن خطأ . فقدر في نفسك كيف كان مصير الملك لو كان غير فيصل !

اضطلع الملك فيصل وحده باعباء الملك والحكم والزعامة في هذه الحال المضطربة ، فكفكف بحكمته من شره الانتداب ، وخفف بحكمته من عسف الوزارة ، ولطف بحلمه من غضب الشعب وصرف شؤون الدولة على قدر ما يسلم الرأي الحصيف من خبث الاستشارة وضعف الوزارة ، ثم سهل حجابه لامراء العشائر ورؤساء الطوائف وزعماء الاحزاب فاستل ما في صدورهم بالقول اللين والعتاب الهين والشخصية الجذابة ، حتى كان الرجل منهم يدخل قصره وهو عليه فلا يخرج منه الا وهو له ، ثم نظر خارج العراق فرأى على حدوده دولا ينتزي في صدورها حقد الماضي وطمع الحاضر ، فزار تركيا وفرنسا وايران فاحال عداءها

الى صداقة وجفاءها الى مودة ثم اجتمع بملك الحجاز واوفد الى امام اليمن فاحكم اواخي المودة بينهما وبينه ثم هداه تفكيره العملي المرن الى ان يعالج الانتداب بالمسالمة والموادعة حتى انتهى به الى نوع من الاستقلال يحفظ الكرامة ويعين على النهوض

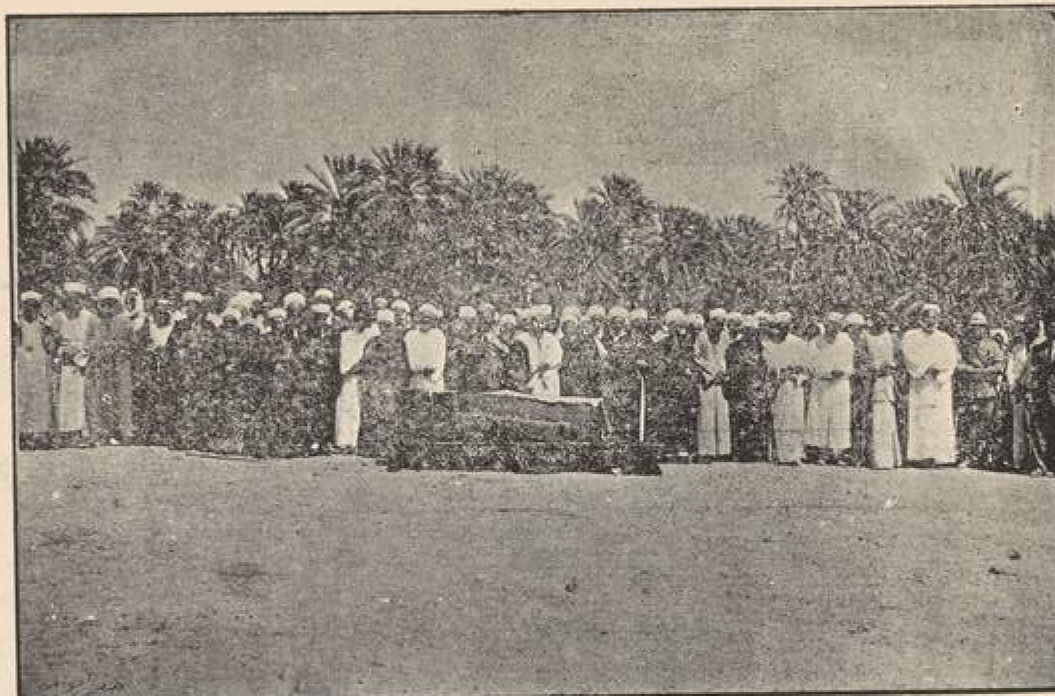
دخل الملك فيصل العراق دخول الامام الحسين ! لا مال امامه ولا جند خلفه ! ولكن الحسين جرى على سياسة علي فهلك ، وجرى فيصل على سياسة معاوية فملك! ثم اعتمد في تأثيل ملكه وانهاض شعبه على الاخلاص العامل والجد النزيه ، وتحامل في ذلك على دمه وعصبه وروحه حتى ذهب فيصل شهيد الواجب كما ذهب الحسين شهيد الحق !

كان الملك فيصل الاول ملكا من طراز خاص ؛ ولعله كان اقرب الى خلفاء الصدر الاول منه الى ملوك اليوم ! كان ناصع الظرف ، جم التواضع ، رحب الاناة، ظاهر الوداعة ، زاهداً في ابهة الملك ، عازفا عن مظاهر السلطان ، فلا يخدع بتحية ، ولا يمشي في حرس ولا يتشدد في حجاب

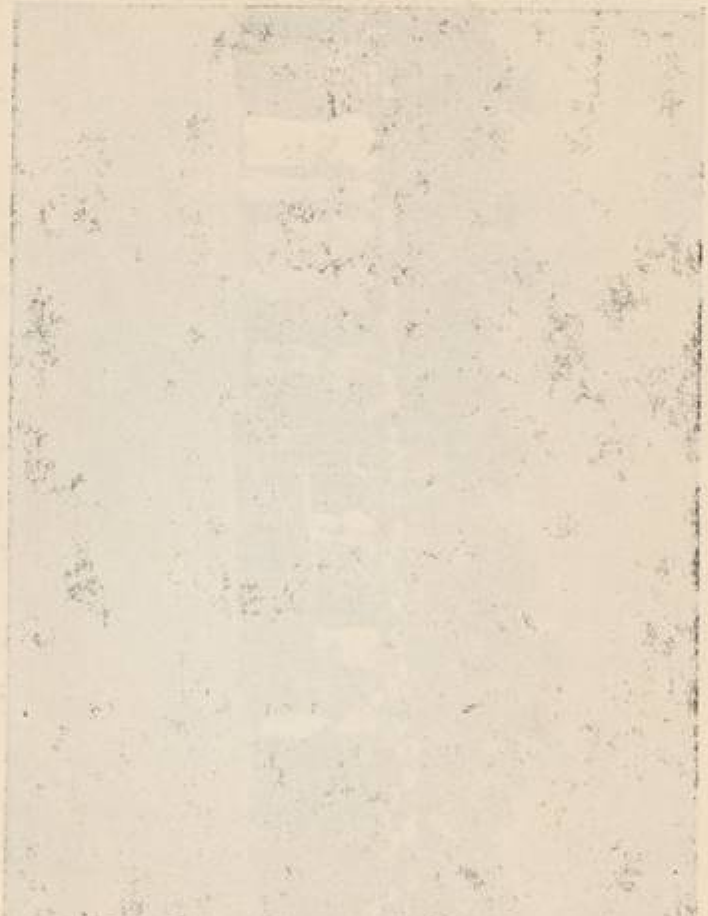
وكان من اجمل مظاهر ديمقراطيته الاصيلة ان تراه غالباً في شارع الرشيد او في طريق الصالحية يقود سيارته بيده ، ويشق طريقه بنفسه دون ربيئة من خلفه ولا طليعة بين يديه ، فيسبقه اي سابق ويزاحمه اي سائق !

وقد تبكر ذات صباح الى مدرستك او ديوانك فتراه في ذرور الشمس قد طلع عليك بوجهه العربي المسنون، وقده السمهري المشوق، ورشاقته الرياضية البارعة فيسلم عليك ويتحدث اليك ، ثم يتعهد المكان ويتعرف العمل ، ويودعك بابتسامته الرقيقة ، وملحوظته الدقيقة

ودعا مرة مؤتمر المعلمين العراقيين الى الشاي في حديقة قصره ، فكان يجلس الى كل منضدة من المناضد الكثيرة جلسة يفاكه اهلها بحلو الحديث ويناقشهم في وجوه الاصلاح ثم خطبهم في شؤون التعليم خطبة جامعة تمنى في سياقها ان يكون معلماً مع المعلمين يؤدي الى الامة هذا الواجب المقدس . وفي صباح احد الايام غدا على المدرسة المأمونية الابتدائية فقضى ردحا من الزمن فيها ، ثم سجل اسمه في ثبت مدرسيها



جمهرة من العلماء والاعيان في بغداد امام نعش الفقيد



كان الملك فيصل في العراق ملك دولة ، ورئيس حكومة ، وزعيم امة ، وهو في الاقطار العربية مؤسس نهضة ، وممثل فكرة ورسول وحدة وداعية سلام ومعقد امل ! فاذا حفت النفوس جزعا لفقده ، واستولى على العرب الوجوم والحيرة من بعده فان في منطق الحوادث وطبيعة الامور مايسوغ هذا الجزع ويعلل هذه الحيرة

الهم الله الامة العربية على جلالة ملكها فيصل اجمل الصبر وجعل لها في جلالة ملكها غازي خير العوض !

احمد حسن الزيات

فيصل العربي الثائر

هدفه الاسمى فى سياسته وملكه

بقلم الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

يعلم جميع الذين عرفوا المغفور له فيصلا الاول ملك العراق ان الهدف الاساسي الذي وقف نفسه على بلوغه هو تحرير البلاد العربية كلها واستقلالها .

وكان هذا الهدف ماثلا امام عينيه في جميع اعماله ومساعيه السياسية في الداخل والخارج وعليه قامت المملكة العراقية الفتاة ورأينا اللغة العربية والتربية العربية والفكرة العربية والسياسة العربية تتخلل كل ناحية من نواحي النشاط العقلي والسياسي حتى ان التشريع في العراق كان مؤيدا لهذه القواعد العامة التي شيد عليها الملك فيصل دولة العراق . وكان جلالته لايمتنع من التصريح في كل فرصة مناسبة بانه عربي ثائر قبل كل شيء ولهذا لم يكن يحجم عن الاجتماع بممثلي الجرائد والافضاء اليهم بالاحاديث السياسية والقاء الخطب في سياسة الدولة العامة والقواعد التي بنيت عليها ومن من الناس لايذكر خطبته السياسية الكبيرة التي القاها منذ عامين في بغداد وبسط فيها المحور الذي تدور عليه سياسته في البلاد العربية كلها لا في

العراق فقط . وقد قيل في ذلك الحين ان فيصلا اول ملك يتكلم في السياسة العامة بمثل هذه الصراحة

لقد ادرك الملك الراحل انه لايستطيع ان يجعل مكة محورا لسياسته العربية لبعدها عن الاتصال باجزاء العالم العربي ولما عليه الحجاز من التأخر العلمي والعمراني فحون وجهه الى الشام واراد ان يحذو حذو معوية بن ابي سفيان بتأسيس مملكة في ذلك القطر فدخل دمشق بجيشه واستقبله ابناء الشام جميعاً بقلوبهم وشرع في تأسيس الملك الذي اراد به ان يكون قاعدة لتحرير البلاد العربية . وحاول في رحلتين متواليتين الى اوربا ان يتفق مع الانكليز والفرنسيين على تاليف مملكة تشمل سوريا كلها من جبال طورس الى حدود مصر ولكنهم راوغوه وخذلوه . فعمد الى احداث الامر الواقع واعلن استقلال تلك المملكة بواسطة مؤتمر سوري عام وشرع في تنظيم جيش قوي واعلن الخدمة العسكرية الالزامية وشرع في سك العملة السورية الجديدة . ولكن لم تكد هذه المملكة الفتاة تشب عن طوقها حتي خرج فيصل من دمشق والدموع ملء عينيه وعزمه على الجهاد اعظم مما كان في كل زمن مضى

ومرت الايام واصبح فيصل ملكا على العراق فعمد الى العمل بقواعد السياسة التي بني عليها ملكه السابق في سوريا . وكان بين اعوانه كثيرون من الذين ساعدوه على تأليف ذلك الملك واستفادوا من عظات الماضي فمضي في طريقه ينظم من العراق دولة جديدة واصطدم في اثناء حمله بمطامع الانكليز وسياستهم فجعل يذلل العقبات التي قامت في سبيله واحدة بعد اخرى الى ان استطاع الغاء الانتداب عن العراق وادخاله جمعية الامم دولة مستقلة . وعقد مع الانكليز معاهدة تحد جانبا من جوانب السيادة العراقية ولكنها لاتمنع العراق ولا ملك العراق من بلوغ الهدف المنشود . وكان السعي مبذولا في العهد الاخير لادخال تعديل في هذه المعاهدة فلا شك في ان الملك غازي يسير في الطريق ذاتها حتى النهاية .

وكان من المقرر في ذهن الملك الراحل وجميع اعوانه الاخصاء ان الجهود يجب ان تتحول بادئ ذي بدء الى استكمال تنظيم العراق واستقراره سياسياً وعسكريا

قبل الشروع في الخطوة التالية التي هي تحرير البلاد العربية . وشعر الملك إن من اهم عوامل هذا الاستقرار انشاء علاقات ودية مع الدول المجاورة فلم يجد بأساً في الاتفاق مع الملك ابن السعود وانشاء صلات ودية معه مع انه كان قد اخرج والده من الحجاز وطن آبائه واجداده منذ اقدم الازمنه واحتل ذلك القطر وشرد افراد العائلة الهاشمية . ثم ان الملك فيصلا عمد الى تذليل المتاعب التي كانت موجودة بين العراق وتركيا فانتهت مساعيه بمعاهدة حلت بها مشكلة الموصل وسويت الحدود وخططت نهائياً . وزار الملك فيصل انقرة واجتمع بالغازي مصطفى كمال اجتماعا وضعت به قواعد التفاهم بين العراق وتركيا لا فيما يتعلق بالمسائل التي تخص المملكتين فقط بل فيما يتناول المسألة العربية ايضا

وتحولت انظار فيصل في الوقت نفسه الى جارته ايران فعمد الى حل المشاكل التي كانت بينها وبين العراق وذللها واحدة بعد اخرى ثم زار مملكة الساسانيين واستقبل فيها استقبالا لم يقع مثله لملك صديق قبله واجتمع بجلالة الشاه مؤسس ايران الجديدة ووضع العاهلان قواعد التفاهم بين مملكتيهما وعهدا الى الخبراء والفنيين في وضع التفاصيل التي تؤدي الى عقد صداقة متينة بين الدولتين وظهر اثر هذا التفاهم في ظروف عديدة بالتعاون الفعلي على الحدود بين قوات الدولتين لقمع الفتن واعمال العصيان التي كان يقوم بها الاكراد بين حين وآخر

ويعرف الذين كانوا على صلة بمناهج العراق السياسية انه كان من المقرر ان تكتسب سياسته العربية العامة نشاطا قويا جديداً بعد ان تتوفر له عوامل الاستقرار كلها ويتم تطبيق الخدمة العسكرية الالزامية وتأليف جيش قوي في العراق قادر على صيانة حدوده من كل اعتداء • وقد ترك الملك فيصل مشروع قانون الخدمة العسكرية الالزامية في البرلمان وترك العلاقات الوديه وثيقة بين العراق وجيرانه. وترك القواعد الاساسية التي تبنى عليها سياسة العراق العربية العامة تحت الدرس والبحث في بغداد . ولم تجر الاقدار بان تفسح في اجله الى ان يتم الرسالة التي وقف نفسه لاتمامها فآمال العرب معقودة الآن على ان يكمل ابنه الملك الجديد ما لم يساعد القدر والده على اتمامه

الطائر الصريع

قصيدة الاستاذ جميل صدقي الزهاوي

خطبت تؤبنك الدموع ... وانت تشيعك الجموع
في موقف خطباؤها ... عيت ولم تعي الدموع
العين ترسل دمعها ... والدمع اكثره نجيع
ليس الدموع على الرزا ... يا غير افئدة تميع
تحت الضلوع لهيب نا ... ر ما تحمله الضلوع
اما الصدوع من الاسى ... فلقد تكاثرت الصدوع
وكأنما تبكي علي ... ك الارض والجو الوسيع
ماذا جرى حتى يهيج هكـ ... ـذا البلد الوديع
سر في سبيلك راشداً ... واذهب كما ذهب الربيع

...

الشعب يمشي خاشعاً ... وامامه النعش الرفيع
ما انت فيه راقد ... بل انت طائره الصريع
قم من هجوعك سيدي ... وايقظ فقد طال الهجوع
قد ضعت من شعب عليـ ... ـك حنا ومثلك لايضيع
الموت ذئب خاطف ... والناس سرب او قطيع
اشئم بها من سفرة ... فقد السلام بها الرجوع

...

في ذمة التاريخ انت ... ولا يعيبك مايذيع
قد ميزتك رجاحة ... في العقل والخلق الوشيع

وصنعت ما بلغت يدا ... ك وحبذا منك الصنيع
والمرء ليس بفاعل ... الا لما هو يستطيع
يا عرش لاتحزن فما ... ان دال ماضيك الرفيع
ان كان فيصل آفلا ... فلنجله «غازي» طلوع
غازي زعيم الشعب ... فهو لغير غازي لايطيع
في وحدة عربية ... للذود في دمها نزوع
قوم هم الابطال في ... الاحوال ما فيهم هلوع

...

في ليل حزني كانت ... الظلماء عابسة تروع
فاذا مضى منه هزيع جاء يخلفه هزيع
حتى اذا طلع الصباح ... وصار ابيضه يشيع
سائلت من ملك العراق ... فقيل لي غازي القريع
ملك كأن التاج فو ... ق جبينه نجم لموع
يافرحتي بالتاج ان ... التاج حق لا يضيع
اصل الزعامة فيصل ... والاصل تتبعه الفروع

...

اشرع فان مهمة ... الاصلاح اولها الشروع
وأمر فكل بني العرو ... بة حين تأمرهم سميع

...

بين الرياض لفيصل ... قبر تطوف به الجموع
شعري عليه كلما ... انشدته زهر يضوع

«جميل صدقي الزهاوي»

نعي الملك فيصل

على اجنحة الاثير

رسالة الشيخ مهدي البصير
مونبيليه ١٢ — ٩ — ٣٣

كانت الساعة الثامنة بعد الظهر وكنت واقفا امام الآلة اللاسلكية الصغيرة لاسمع آخر الانباء التي يذيعها اللاسلكي عادة في ذلك الحين ولفظ المذيع اسم الملك فيصل فاصغيت بانتباه ولكنه ما كاد ينتهي من اعلان الخبر المشؤوم حتى ارتعدت فرائصي وسقطت السماعة من يدي وارتميت ضعفا على كرسي الى جانبي طائر الصواب حائر اللب

مات ممثل القضية العربية الفذ . مات قائد العرب الاكبر . مات صاحب الجلالة ملك العراق فيصل الاول رحماك ربي . الا يمكن ان يكون هذا غير صحيح؟ أكتب على العراق الا يقطع المرحلة الاولى من جهاده حتى ينكب بمؤسس كيانه وباني صرح مجده ومكون استقلاله ؟ اقدر على العرب ان يخسروا وهم في ابان جهادهم اول يد تعمل على خيرهم وانبل شخصية تمثلهم وتناضل عن مجدهم وشرفهم ؟ اقضت مشيئة السماء ان تستأثر بصفوة ابناء محمد وبوارث بطولته وبسالته ؟

اما اني فلا أبكي فيصلا لانه كان ملك العراق وان كان في ذلك مايكفي لان ابكيه دما ، ولكن ابكي في فيصل رجل العراق بل رجل العرب على الاطلاق

اجل . اننا اذا تدبرنا تاريخ العرب خلال العشرين سنة الاخيرة وتتبعنا سير وقائعه وحوادثه علمنا منه بجلاء ان فيصلا كان اقوى شخصية لعبت الادوار الخطيرة في ميادين الحرب والسياسة بكل من الحجاز والشام والعراق طيلة هذه المده

اعمل الاتحاديون سيوفهم في رقاب العرب وعاثوا في بلادهم تدميراً وتخريبا فكان فيصل اول من فكر بوضع حد لهذه السياسة القاسية وبالضرب على ايدي السفاحين العاملين على اذلال العرب وابادة احرارهم . ووضع مؤتمر فرساي قضية العرب على بساط البحث فدافع عنها فيصل دفاعا يسجله التاريخ بحروف من نور واصرت فرنسا على تنفيذ سياستها الاستعمارية في سوريا فابى فيصل وكيل سوريا الامين وملكها المحبوب على الحليفة المشتركة بتصريح ٨ تشرين الثاني سنة١٩١٨ تنفيذ هذه السياسة ، وكان لتمسكه بوجهة نظره العادلة ما كان من نتائج رهيبة وعواقب خطيرة لاتغرب عن بال احد على انه لو جنح الى الاخذ بسياسة الانقياد والاستسلام لما فقد عرشه الذي بنته سوريا بالقلوب والارواح ووطأت قدماه تربة العراق ويد الاحتلال الجبار آخذة بخناق هذه الربوع واوربا لاترى في وادي الرافدين الا مستعمرة انكليزية ولكن عيناه اللتان طالما سهرتا في سبيل العراق ترقدان الآن والعالم باسره يعترف ان العراق مستقل

قد لايدرك الجيل الحاضر كل الادراك قيمة الاعمال الخطيرة التي قام بها البطل الراحل ولكن الاجيال القادمة ستفهم كل الفهم وتقدر كل التقدير اخلاص فيصل وجهاده وتضحيته

لقد كانت الصخور والزوابع في اقيانوس السياسة الغضوب تعترض سفينته انى سارت وتهددها حيث اتجهت ولكنه تغلب على جميع هذه الطوارئ، بما اوتي من حذق وبراعة وجرأة وابافة فقاد سفينته الى الشاطئ، الامين ورسا بها في ظل السلام والطمأنينة .

خذ مثلا على ذلك انه بينا كان جلالته يشرف على المفاوضات في مفتتح عام ١٩٢٢ اذا بقبائل نجد الشقيقة تغير على الحدود وترتكب على ضفاف الفرات الهادئة الآمنة جرائم القتل والسلب غير شاعرة بفداحة ماتعمل ولا بفظاعة ماترتكب ولا حاسبة ادنى حساب للاثم العظيم الذي تحدثه تلك الغارة الشنعاء على سياسة البلد الشقيق وبينا كان يضاعف جهوده الرامية الى تقصير اجل المعاهدة المعقودة بينه وبين بريطانيا اذا بتركيا الكمالية تظهر في مؤتمر لوزان فتطلب وتلح في الطلب ضم الموصل الى

الاراضى التركية ولا يفض هذا المشكل الا بعد مناقشات طويلة ومنازعات عريضة وبعد تدخل جمعية الامم نفسها في الموضوع، وبينا كان يشرف البعثة العراقية في لندن برئاسته عام ١٩٢٧ اذا بالنعرات الطائفية تفتح في صفوفنا نحن الآخرين ثغرة واسعة ولكنه كان برغم كل ذلك يثابر على عمله الشاق ويمضي في جهاده الصادق النبيل غير آبه بما يكتنفه من الصعوبات ولا حافل بما يحدق به من المخاطر :

« وما الفرق مابين الانام وبينه اذا حذر المحذور واستصعب الصعباء »

والآن وقد انتهت المتاعب التي ما كان يخلو منها يوم واحد من ايام حياته تقريبا ماهو الواجب الذي يتحتم علينا القيام به حلا ؟ ما هي الخطة الرشيدة التي يجب ان ينتهجها كل عراقي صادق ؟

اعتقد اننا اذا اردنا ان نسير بوطننا في سبيل السيادة والمنعةوان نهيأله المستقبل اللامع الذي يتناسب وعظمة ماضيه وان نبلغ فوق كل ذلك رضاء فيصل وهو بجوار السماء فما علينا الا ان نخلص لحضرة صاحب الجلالة غازي الاول اخلاصاً تاما وان نتكاتف ونتآزر كما لو كنا في اصعب دور من ادوار حياتنا واشدها رقة وحراجة

ان الكارثة هائلة والظرف عصيب ونحن في مستهل عهد جديد ومطامع اوربا ومقاصدها لا تقف عند حد فلندع مصالح الاحزاب وميول الاشخاص جانباً ولو الى حين ولنضع مصلحة الوطن المقدسة فوق كل شيء ولنتذكر دائماً ان العراق لم يكن وهو في عنفوان نهضته عام ١٩٢٠ باشد منه حاجة الى اتحاد ابنائه والى تضامنهم وتآخيهم بعد انتقال الملك فيصل الى جوار الله .

محمد مهدي البصير

وا فيصلاه!

— للاستاذ السيد التفتازاني —

« رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين »

« صدق الله العظيم »

نم قريراً ياابا غازي يافيصل بن الحسين ، قد شهدت كثيراً ، وانا لله وانا اليه راجعون ، وبعد فقد اصبحت في كنف الله والله عفور رحيم

نعم اصبحت في كنف القاهر فوق عباده والقادر على انفاذ مراده ، وها انت تعود الى العراق جثة هامدة بعد ان برحته منذ ايام تحمل لواء الفكرة الخالدة ، فكرة الوطن ، فكرة استعادة مجد العرب ونشدان حرية العرب ؛ ووفقت وانت القوي بايمانك ، العزيز بشعبك في حين هوج الرياح بمقدرات الامم ، فبينما تنكمش امة كالنمسا في تعدادها الى ستة ملايين بعد ان كانت بالامس اربعة وخمسين مليونا ، تثبت بالعراق فتجمع مابدد من شمله ، وتوحدما اختلف من نحله وتنهض به نهضة جبارة تصل به الى مصاف الامم المستقلة الحية ووهبته كل ما آتاك الله من مواهب ، ووقفت عليه كل مارزقته من قوي ، حتى اذا ماخمدت الثورة التي دبرها خصوم العراق واعداء استقلاله لقيت ربك واضح النهج وثيق الرجاء بغفرانه وبعد فقد اصبحت اليوم ملكا للتاريخ ، وشخصية كشخصيتك لها مالها وعليها ما عليها ولكن الامر الذي يجمع بينك وبين اسلافك الميامين ، والذي لا يملك التاريخ ان يجحده ، هو انك ضحية الواجب ، واعلام آل محمد عليه الصلاة والسلام ضحايا الواجب ، تراثهم ان لا يقروا على ضيم ، وان لا يبيتوا على ذلة ، وان باتوا على الطوى .

فليهنك ايها الشهيد الكريم انك قمت نحو العرب بما لا ينقطع بره ، ولا يضيع اجره ويخلد مادام العرب ذكره

وا فيصلاه ؛ باي عين ابكيك وباي قلم ارثيك ، وقد كنت رجلا كله قلب ، صلب اليقين متأجج الحمية ، كنت آمال امة في اهاب رجل

كم قاسيت في سبيل العرب و لم رأيت من صنوف الارزاء والبلايا في سبيل العرب حتى اذا ما ابتدأت تجني ثمار غرسك اليانع ، اراد الله ولا راد لقضائه ان تقضي غريب الدار والاهل معاً .

فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

اما انت يا سيد شباب بني هاشم ؛ ويا وريث هذا الملك الفتي ؛ يا ابن فيصل ويا حفيد الحسين ، يا سليل الرسول والبتول وليث الله الغالب احمل عبء شعبك الفتي بقلبك الفتي فقوائمه القلوب وسناده الارواح ، تحوطه العروبة بانظارها وتمده بمدد محبتها من سائر اقطارها .

لقد شاء الله يا غازي ان تمهد لملكك في العراق بموقفك المشرف في حدث التيارين واخترقت شباب العرب في ارجاء بلادهم صيحتك الحقة ، فحركت كوامنها وتجاوبت اصداؤها باجلالك ، وانعقدت بها الوية اكبارك ، وقديماً عرفكم الناس آل البيت بالغضبة للحق والتضحية بالانفس والنفائس في سبيل الحق وان صرعكم الحق

وعزاؤنا في رزيئتنا بفقدان ابيك انه انجب ، ولن تخلو الارض من نجيب من آل محمد يملاها قسطاً وعدلا كما ملئت ظلما وجوراً .

فعزاؤنا معشر آل البيت وعزاء العرب جميعاً وعزاء العراق اننا

اذا مات منا سيد قام سيد قؤول كما قال الكرام فعول

ولله الامر من قبل ومن بعد

الحنفي بمصر محمد الغنيمي التفتازاني
شيخ السادة الغنيمية

العظيم الذي رحل !..

ـ بقلم الاستاذ فكري اباظة ـ

كنا جلوساً في القهوة نتسامر ونتنادر ونضحك . فمر بائع الجرائد ينادي على « الجورنال دي كير » وقد واجه الجالسين بعنوان اسود غليظ لمحه الاستاذ الكبير « وهيب بك دوس » عن بعد . واذا به يضرب كفاً على كف صائحاً : « ماهذا ؟! ان « فيصلا » قد مات ! ! ! »

***

اختطفت الجريدة من البائع وقرأت على الاصدقاء النبأ المشئوم فوجمنا جميعا ولجزعنا جميعا ومرت فترة ذهول وحسرة ووجيعة . وما كنا بالعراقيين ولا بالهاشميين ولكن كنا ، ولا زلنا ، وسنظل الى الابد ، نحس قرابة العربية ، وقرابة الشرقية ، وكنا ولا زلنا وسنظل الى الابد ، نقدر للعظيم عظمته وللجليل جلاله ؛ وللملك الصالح ولاءه لشعبه ، ووفاءه لرعيته ! . .

***

العظيم الذي رحل مثل شرقي رائع ، وتاريخ قومي جامع ، وشخصية عتيدة جديرة بالدرس والتحليل في المدارس ؛ وليس هو ملك العراق فقط وانما ملك الشرق باسره . ضرب في نواحيه الواسعة ، ومساحاته الرحبة ، وحدوده المترامية الاطراف ، ابلى الامثال ، في الصحراء القاحلة ، وفي المعمورة الفيحاء ، فبرهن على رجولة جبارة ، وذهن متقد ، وحنكة ترتفع عن مستوى حنكة دهاة الغرب وساسة العالم المتمدين ! . . .

***

العظيم الذي رحل جدير حقاً بالدرس والتحليل كرجل سياسي نبت في الصحراء فاستقبلته الاعاصير والعواصف والحروب فما لان عوده وما انكسر ، ثم انحدر الى الشام فاستقبلته الاعاصير والعواصف فما لان عوده وما انكسر ، ثم صعد الى

العراق فاستقبلته الاعاصير والعواصف فما لان عوده وما انكسر . حتى دق القلب دقته ، وقال القدر كلمته ، فمات بعد ان ملأ الدنيا ضجيجاً وعجيجاً ، وبعد ان دوى دويه في الشرق والغرب ، وبعد ان سجل في سجل « عجائب الرجال » أعجوبته

***

هو الحركة الدائمة في الصحراء محاربا ومدبراً وعماداً لبيته ولأبيه . وها هي السياسة تغدر بالبيت وبالاب رويداً وهو في الشام يحمل أثقال التاج المزعزع فلا يشتري تاجه بالخضوع والالتواء ، وانما يشمخ الهاشمي الاصيل بأنفه الى السماء فتغدر به السياسة ويخذله الاستعمار وتقذف به القوة ولكن لا الى الحضيض فان العظماء حين يقذف بهم لا يسقطون في الهوة وانما يرتفعون . وها هو عرش العراق قد اعدم الرجال للرجولة ، وها هو تاج العراق قد نفذت أشعة لآلئه الكريمة تستقبل الجديد بتاج العراق !...

ويستوي الملك المعظم على العرش العظيم ، فاذا به يكتنفه الاحتلال الانكليزي ، واذا به تكتنفه نفوس مضطربة واجفة طامعه في الملك ، واذا به في جو ثائر يهز عرشه هزا ويهدده تهديداً . هنا يتجلى جبروت الحكيم الداهية فيسلط حكمته على الاستعمار المسلح ، وعلى الدسائس والاطماع ، فاذا ما هدأت الحال جرى على الارض ، وطار في السماء ، وعبر البحر ؛ يسعى بنفسه لخير رعيته ، ويستخلص لشعبه بالجهد العنيف عناصر الحياة ، وقد نجح المعظم الذي رحل ؛ وقبضت العراق الثمن من دمه ؛ وروحه ؛ وحياته !...

***

في فندق « سميراميس » في عام من الاعوام قيل لي ان « فيصلا العظيم » يود ان يراك . فطرت الى الفندق وانا متهيب لقاء الجبار رجل الحرب ورجل السلم ورجل البناء والتشيد !...

وادخلوني الى غرفة الاستقبال فاذا بالعظيم يقبض على يدي بيديه بحنو غريب وعطف كله وجدان ... واذا بابتسامة وديعة قد ارتسمت على شفتيه ، واذا بي اشعر باني في حضرة صديق من زمن بعيد ...

قال الملك — انا سعيد بلقائك . واكون اسعد حالا لو اهديتني مجموعة مقالاتك التي لها مكانة عندنا في العراق

قلت يامولاي ان هذا لكثير ، انه لشرف عظيم ، وسأفعل بكل اجلال وامتنان وكنت في الواقع كاذبا في وعدي . وبدا علي الارتباك واضحاً . فمجموعة المقالات كانت تتضمن في بعضها طعنا مراً في الملك « حسين » . فما لبث جلالته ان لمح ارتباكي فقال باسلوب الساسة الكبار :

— ارسلها ولا تقطع من أوراقها شيئاً فسأتبع تسلسل نمر الصفحات . ولا يضيرك ان تكون ذا رأي في الناس فانت حر وأنا أقدر حرية الرأي !...

***

لو كان « فيصل » خشناً غليظ الطبع لانفض الناس من حوله . ولما اهتزت قلوب العالم باجمعه حين سقط عليهم خبر الرحيل . ولما جذب النعش التاريخي وراءه الآلاف والملايين ...

***

هذا هو اثر الملك الصالح . وتلك هي سيرته . عاش للشعب ، ومات في سبيل الشعب ، فاكرمه الشعب حياً وميتاً ، فليبك الشرق المنكوب

فكري اباظه
المحامي

في حضرة جلالة الملك فيصل

من مذكرات الاستاذ فارس بك الخوري

الثلاثاء في ١٨ آب سنة ١٩٣١

مساء أمس وصل جلالة الملك فيصل الى باريز وحل مع رجال حاشيته في نزل ماجستيك ، وهذا الصباح حظيت بمقابلته في صالونه الخاص وبعد ان حياني تحية ودية ملؤها العطف والاشراق قال :

« انك يافارس لم تتغير فما زلت كما تركتك منذ اثني عشر عاما »

قلت : والباطن ياسيدي كالظاهر فانني مازلت على ماتعرفني . قال بارك الله فيك هذا ما آمله من مودتك واخلاصك . اما انا فقد تبدلت بالشيب الكثير قلت هذا غبار وقائع الدهر ولا عجب من البياض وانما العجب من بقاء السواد بعدما القيتموه من العظائم والاهوال . فهش لذلك وبش وانتقل الى البحث السياسي فقال :

« انت تعرف اخلاصي لسوريا ودرجة حرصي على منافعها وحقوقها ومع اني اليوم متسم بسمة اخرى هي ملكية العراق فاني مازلت افكر بسوريا وانحين كل فرصة لخدمتها وابلاغ امانيها .خرجت منها سنة ١٩٢٠ ولكني لم انسها

« الافرنسيون غاضبوني واما انا فاغتنمت كل فرصة لاصلاح ذات البين معهم واحداث علائق جديدة تمكنني من استرداد صداقتهم لعلي أتمكن بذلك من خدمة سوريا ، وهذا لانني اشعر بالاخطاء التي ارتكبناها قبلا عندما لم تقنع بسوريا فقمنا نطلب غيرها فاضعنا ذلك الغير وسوريا معاً والرجل المسؤول لايجوز له ان يتمسك با كثر من الممكنات فيضيعها . عندما نزلت العراق بدأت اعمل لخيره واستقلاله وسوريا في ذهني ، اذ انني اعتقد انهما صنوان تحت نظام واحد وما يعطي للعراق تناله سوريا ايضاً والبلدان عزيزان علي لا هم لي الا راحتهما واستقلالهما

« اخيراً سنحت الفرصة وظهرت قضية النفط فاتفق الانكليز مع الفرنساويين عليها ونسوا ان هناك العراق يطالب بحقوقه فيها وعندما جعلتهم يفهمون انهم لايستطيعون شيئا بدون موافقة العراق بدأ الفرنساويون يتقربون مني ويخطبون مودتي فانتهزت هذه السانحة وقلت الان في يدي شيء يمكنني ان اغالي به وانال لسوريا شيئا بسببه

« انا لم افكر قط بعرش وتاج في سوريا لاحد من اخوتي وانما هدفي الاسمى هو استقلال هذه البلاد الغالية علي ونيل حقوقها

« عندما جاء أخي علي السنة الماضية الى عمان جاءني ليسبه (قنصل فرنسا في بغداد) وقال لي الا ترى من المناسب ان يزور الملك علي سوريا لاجل تحسين الصلات بينكم وبين المفوضية ؟ قلت لايزورها الا بدعوة منها فدعي وسر بدمشق الى بيروت وتبادل الزياره مع المفوض السامي بدون ان يفتح بينهما اي حديث سياسي ويشهد الله أني حذرت من الدخول بامر الملكية اذ نحن الان في واد اخر وغرضنا الاول هو تحقيق الاماني القومية السورية وابلاغ البلاد حقوقها وتبقى مسألة نوع الحكم للسوريين انفسهم يقولون بها مايريدون

« ماهي الفائدة الان يافارس من الجمهورية والملكية مادامت البلاد تحت هذا النوع من الحكم ؟ الا يكون الرئيس العوبة في ايدي الفرنساويين يجرون على منصبه مساومات ومناورات كل ثلاث سنين وهو بلا حول ولا طول الا يكون الملك الذي ينصبونه آلة في ايديهم يديرونها كيف شاؤوا ؟

« يسؤوني جداً ايها العزيز ان اسمع ان بعض اصدقائي في سوريا يتهمونني بالمساومة على حقوق بلادهم لايجاد عرش لاخي علي وهم يعرفون جيداً اني بعيد عن هذه الانانيه والنفعية وقد أثرت بي هذه الاقاويل حتى كدت انفض يدي من القضية السورية

« العراقيون يقولون ولهم الحق ان يقولوا لماذا يترك ملكنا مصالح العراق ويهتم بغيرها ؟ فان كان موقفه الان بسبب النفط صالحاً للاستغلال فيجب ان يستغله لمنفعة العراق . والسوريون يقولون لماذا يتدخل فيصل بشؤوننا . افلا يجدر بي

اذن ان اتخلى عن هذه التجارة الخاسرة وانا لا اريد الا الخير للعرب

« عندما جئت الى برن دعاني الافرنسيون لزيارة باريس لاجل المعرض وانا الحظ انهم قد يفاتحونني بالقضية السورية فهل اذا فاتحوني بها اجول معهم واستطيع ان اعتمد على تأييد الوطنيين السوريين في ما قد اصل اليه من الحلول ؟

« الفرنسويون يريدون ان يكون امامهم شخص مسؤول او هيئة مسؤولة يفاوضونها ويتفقون معها فاين هذه الهيئة او ذلك الشخص ؟ واذا توصلت معهم الى نتيجة معقولة فمن الذي يتعهد بتنفيذ هذا العمل ؟ انا مرتبط رسميا بالعراق وليس لي صفة رسمية في سوريا فلا استطيع ان ارأس العمل التنفيذي فما هي الوسيلة اذن لانفاذ الخطة التي قد نصل الى الاتفاق عليها ؟

« تكلم معي شكيب واحسان في جنيف والحا علي بالتوسط لسوريا والاستفادة من الظروف الحاضرة واعطياني مذكرة تضمن مطالب السوريين واخبراني انك متفق معهما على جميع ذلك . انت تذكر ايام جوفنل وكيف كانت المطاليب التي قدمت له في القاهرة سببا لقطع المفاوضات . نحن لا نريد الآن ان نعود الى مثل ذلك

« العراق بلغ مابلغ بالمعاهدة الاخيرة بعد جهاد سنين والتنقل بالحقوق واحرازها درجة درجة فسوريا ليس فيها الان جيش يضمن الامن الداخلي فكيف ترضى فرنسا بالتخلي عن مسؤولياتها قبل ان يكون عندكم جيش وانت تعلم ان تنظيم الجيش يحتاج وقتاً

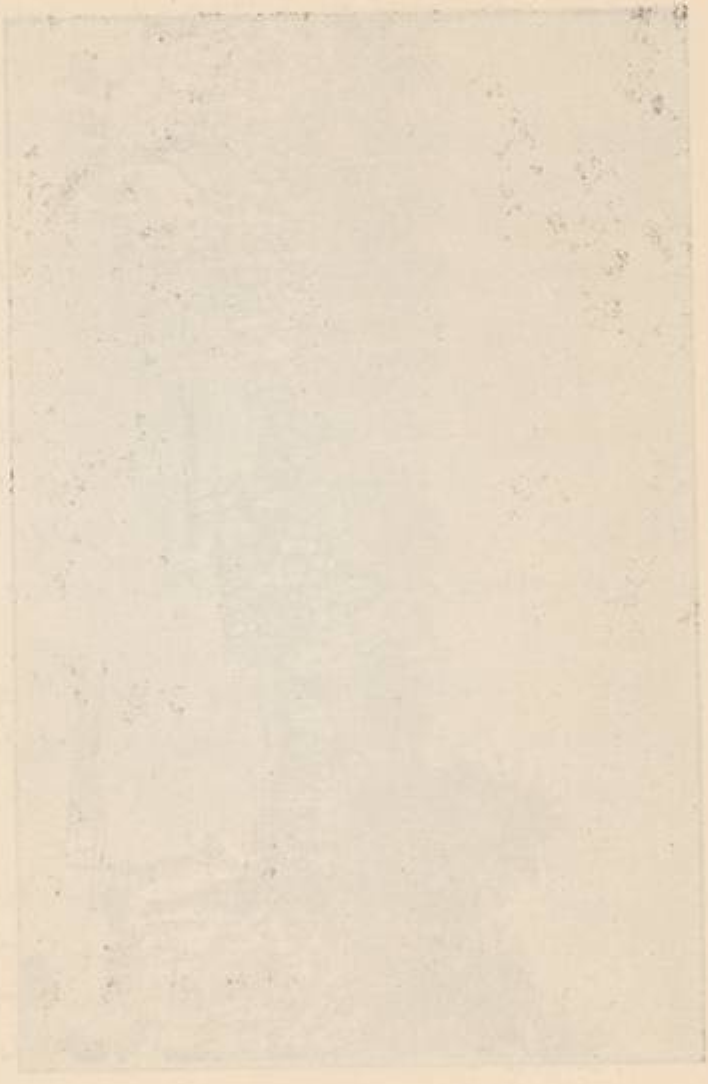
« انا مستعد ان اغمض العين والاذن عن اقاويل بعض السوريين واتهامهم اياي بالمساومة واستطيع ذلك وها اني تقربت من عبد العزيز ابن سعود وتوددت اليه متغاضيا عن الماضي القريب وما ذلك الا لاجل خير العرب وخدمة امتي

« سوريا ارقى من العراق واجدر بالاستقلال ولو بقينا بها نعمل معا لكانت اليوم قطعت شوطا بعيدا

« ثم ماهو موقفكم تجاه حدود سوريا خصوصاً لبنان فاننا لانستطيع ان نتجاهل هذا البلد واستقلاله ولا ان نصر على ضمه لسوريا فان مثل هذا الاصرار قد يكون



— جثمان الفقيد العظيم الى مقره الاخير في بغداد وخلفه مئات الالوف تشيعه بقلوبها واجسامها



سببا لفشلنا »

هذه خلاصة حديثه هذا الصباح وقد كان يفصل كل نقطة من نقاطه بعبارة مرتبة وافكار مسلسلة مشبعة بالروية والارصان كما هي عادته في جميع احاديثه السياسية وكانت امائر الاخلاص والتجرد تنبعث مع كل كلمة من كلماته

مذكرات خطيرة يكتبها الفقيد العظيم

عن القضية العربية بعد معركة ميسلون

استطاعت الزميلة الحرة (النهار) ان تحصل بحيلة صحفية على مذكرة خطيرة تحتوي على كتابين من فقيد البلاد العربية المغفور له الملك فيصل كتبهما الى المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية السابق ومذكرة ضافية عن القضية العربية بين الفرنسويين والانكليز مع ملاحق عديدة تؤيد وجهة نظر جلالته في الموضوع

وقد وضع جلالته هذه المذكرة في ايطاليا ، بعد خروجه من دمشق على اثر معركة ميسلون واستفتينا رأي احد وزراء العهد الفيصلي السابقين في دمشق في هذه المذكرات فاكد لنا صحتها واشار علينا بوجوب نشرها بالنظر لاهميتها ، ولانها تشتمل على دقائق الحالة في سورية ايام الحكم العربي ودسائس السياسات الاجنبيه

وها نحن ندرج في هذا الجزء بعض ما استطعنا الحصول عليه من هذه المذكرات آملين ان نوفق لنشر بقيتها في الجزء الثاني ان شاء الله

على اثر احتلال الجيوش الفرنسوية دمشق وخروج الفقيد المعظم منها ، سافر الى حيفا ثم الى ايطاليا . ومن هناك ارسل الى المستر لويد جورج الكتابين التاليين :

الفندق الكبير

قصر « ايسي » ، ايطاليا ١١ ايلول عام ١٩٢٠

لحضرة المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية المحترم

ارفع اليكم طيه المذكرة التي وضعتها عن القضية العربية ثم اقول :

عندما غادرت سوريا ، كنت ارغب ان اذهب الى سويسرا ، لمخابرتكم منها عن الوقت الذي تجدونه مناسباً لمقابلتي في انكلترا

على انى عندما وصلت الى هنا (ايطاليا) علمت انكم في « لوسرن » ، فرأيت ان لا اذهب اليكم مخافة ان لاتكون الفرصة سانحة عندكم لمقابلتي

والآن ، وقد عدتم الى بريطانيا ، فاني اقدم اليكم مذكرتي بواسطة الجنرال حداد باشا ، الذي اضع انا ووالدي كل ثقتنا به

واني لآمل ان تطلعوه بسرعة على رغبتكم في مقابلتي شخصياً في انكلترا ، لان لدي تصريحات شفوية عظيمة الاهمية — وخاصة فيما يتعلق بالموقف الجديد — ارغب في اطلاعكم عليها

وفوق هذا اريد أن اضيف الى ذلك ان والدي ملك الحجاز ، قد عهد الي مرة اخرى بمهمة تمثيله في القضية العربية عامة ، وكلفني ترأس الوفد الذي عينه ، لتقديم تشكراته للملك جورج ، لتفضله بارسال الهدايا له ، كما ابرق لكم بذلك من بور سعيد

. . . .

التوقيع « فيصل »

—٢—

الفندق الكبير

قصر « ايستي » ايطاليا

١١ ايلول عام ١٩٢٠

عزيزي مستر لويد جورج

بالرغم من الالم الذي اثارته في نفسي حوادث سوريا منذ بضعة شهور ، وما جلبته على من اضطراب الفكر وانشغاله ، فقد كنت اتابع قضية العراق بكثير من اليقظة والاهتمام ، وانك تستطيع ان تتأكد انى شعرت بحزن عظيم لتبدل العلائق

الودية السابقة بين العرب والانكليز هناك

ولقد اثرت الاضطراب في الشمال ، عندما عقد الفرنسيون اتفاقية المدنية مع مصطفى كمال ثم الجلاء عن جرابلس ، وفتح الباب على مصراعيه للمؤامرات والدعايات التركية ، في سورية والعراق وقد اقترحت على اللورد اللنبي ، في ذلك الوقت ، ان ترابط جيوشي العربية على الحدود وتحافظ عليها ، ولكنه لم يجبني على كتابي

والذي اعتقده ان هذا الفتور الذي بدأ على تلك العلائق — وهو نتيجة سوء تفاهم وقع بين الشعبين الانكليزي والعربي — ليس صعب الحل والمعالجة مادامت غايات الشعبين واحدة !

اما غايات انكلترا فقد اطلع والدي الملك حسين عليها ، كما ان غايات والدي قد اطلعتم انتم نفسكم عليها فكانت كل منها تؤيد الاخرى . فكيف يمكن ان لاتتفق سياستهما ؟

اذا نفذت العهود المقطوعة للعرب بواسطة الملك حسين ، فانا على ثقة بان كل شيء سيحل على اهون سبيل .

واملي العظيم — كما هو امل كل عربي — ان تنفذ هذه الوعود بسرعة . لان في تنفيذها مايؤمن مستقبل ابناء جنسي ، ويثبت شرف وصداقة بريطانيا العظمى ولا تلبث ان تعود العلائق الوديه التي كانت تربط الشعبين الانكليزي والعربي خلال الحرب الى سابق عهدها .

المخلص فيصل

مذكرة الملك فيصل بعد معركة ميسلون

وقد ارفق جلالة الملك فيصل كتابه هذا بالمذكرة التي رفعها لحكومة صاحب الجلالة البريطانية وهذا نصها :

الملك حسين والقضية العربية

ان الاعمال غير الشرعية التي قامت بها فرانسا في سوريا ، قد اضطرتني للسفر

الى اوروبا موفدا من قبل والدي الملك حسين — لاعرض القضية العربية مرة اخرى امام حكومة صاحب الجلالة .

فالاعمال التي قامت بها فرنسا في سوريا ، لا يمكن تطبيقها على اعترافات فرنسا السابقة فيما يتعلق باغراضها وغاياتها في الحرب . واعتقد من جهتي ان في هذه الاعمال خرقا لمعاهدة فرسايل التي يصر الفرنسيون على تطبيقها بحذافيرها

فقد اخذت فرنسا من العرب المنطقة الوحيدة التي تضم المدن العربية — خلا الجزيرة العربية — وجعلت موقف عائلتنا امام العالم الاسلامي عامة، والعالم العربي خاصة ، موقفا لا يمكن لعائلة احتماله

فعائلتي هي العائلة الحاكمة او القائد في جزيرة العرب

ولما كان والدي هو زعيم هذه العائلة فقد اعترف به زعيما للحركة العربية الرامية للفوز بالاستقلال

وقد حمل العرب اسلحتهم ضد الاتراك اعتماداً على بعض العهود التي قطعها الملك حسين لهم

وهذه العهود التي قطعها والدي كانت مؤسسة على العهود التي قطعتها له بريطانيا العظمى

وستطلعون في هذه المذكرة على الحوادث التي ادت الى احتلال دمشق بالجيوش الفرنسوية واظن ان تفاصيل هذه الحوادث لا بد ان تعطيكم فكرة صريحة واضحة عن الغايات التي كانت ترافق افكار الجنرال غورو منذ مغادرته باريس قادما الى سوريا

غايات الجنرال غورو

يدرك كل عربي اليوم ان غايات الجنرال غورو منحصرة في احتلال المنطقه التى تعهدت بريطانيا بتأسيس حكومة عربية مستقلة فيها ، احتلالا عسكريا ، بأية حجة من الحجج !

وبما ان فرنسا قد ادركت ان عائلة الشريف هي زعيمة الحركة العربية ،

وانها تعمل بموجب التعهدات التي قطعتها بريطانيالها لها فقد قررت ان تضرب هذه العائلة ضربة قاسية وان تتخلص من العثرة التي وجدتها امامها — وهي انا — فقامت تنشر النفوذ الفرنسي وتعلو به ، وتقضي على النفوذ الانكليزى في الشرق الادنى في آن واحد

في اليوم الذي وقعت فيه الحوادث في دمشق ، قامت الصحف الباريزية تهاجم عائلتنا مهاجمة متتابعة

فبعد ان اعترف بوالاي ، وبعض افراد العائلة ، زعماء العرب الابطال المناضلين في سبيل الحرية ، قامت تلك الصحف الفرنسية تعمد الى عبارات السب والاهانة ، حتى ان احدى الصحف نشرت مقالا قالت فيه « . . . العائلة الهاشمية التي كان وصولها الى الملك في دمشق من اختراع الانكليز ! . .

وعلى هذا فان اغراض الحكومة الفرنسية ، والاهداف التي ترمي اليها ، قد تحققت اخيراً . فقد احتل الجنرال غورو دمشق ، وثلاث مدن اخرى ، واصبح العالم امام « الامر الواقع »

ولست اتكلم انا الآن لدوافع واسباب شخصية . فانا ليس لي مطامع خاصة . واعتقد ان كل اهانة ، وظلم ، وسباب يصيبني انما يضاف الى مفاخر العرب الوطنية التي اظهروها خلال الحرب

احتلال دمشق

انا اعتقد — من كل وجهة من وجهات النظر — ان احتلال دمشق كان غير شرعي

فقد ايد مؤتمر الصلح في اجتماعاته الاولى ايكال امر ادارة المنطقة الشرقية الي وهي الادارة التي كنت استلمت زمامها منذ الهدنة تحت سلطة الجنرال اللنبي ، كما اعترف بذلك ضمناً في ١٥ ايلول عام ١٩١٩ في المذكرة التي ارسلها مستر لويد جورج للمسيو كلنصو ، ولممثلي الدول العظمى ، والي شخصياً

اذن فليس لاي قائد فرنسي الحق في ان يلبي هذا المركز . وان يخرق حرمة استقلال سوريا . ثم ان مركزي بصفتي رأس حكومة سوريا ، قد اعلن وفق

رغائب الشعب ، واعترفت به بريطانيا العظمى ، على اثر القرار الذي اتخذه مجلس مؤتمر الصلح في سان ريمو

فاذا روعيت معاهدة فرسايل وما تضمنته من مبادىء « الحق فوق القوة » والعدول عن التدابير العسكريه ، وحق القوي في الاستقلال والحرية ، وكان قرار عصبة الامم ليس الاقراراً فارغاً لا قيمة له، اذن يجب ان يعتبر عمل فرنسا تدبيراً جائراً لا مبرر له !

الانتداب ورغائب الشعب

يدعي الجنرال غورو انه انما ينفذ الانتداب في الاعمال التي قام بها ، فما هو هذا الانتداب ؟

هل صادقت عليه عصبة الامم والمجلس الاعلى ؟

ان الشروط التي ارسلها الجنرال الي من جهة ، والتصرفات التي تبدو من الجانب الفرنسي من جهة اخرى ، انما هي شروط وتصرفات محتل يريد فرض شروطه بقوة السلاح

وهذا تدبير يناقض المبادىء التي كانت الدول المحالفة تحارب من اجلها ، كما يناقض معاهدة السلام « المادة ٢٢ ، الفقرة الرابعة من قرار عصبة الامم » التي تنص على وجوب اعتبار رغائب الشعوب في قضية الانتداب . وهذا ما لم يطبق في سوريا

والجهد الوحيد الذي بذل في هذا السبيل في سوريا كان من جانب حكومة الولايات المتحدة التي ارسلت لجنة عام ١٩١٩ ، لتتعرف الى مطالب الشعب في هذا الصدد

وقد اعلن اللورد اللنبي اذ ذاك ان هذه اللجنة هي الوحيدة التي توفد الى سوريا وان مؤتمر الصلح سيعتمد على تقريرها عند ما يبحث في تقرير مصير هذه البلاد

والعدل والانصاف يقضيان باذاعة ونشر هذا التقرير الذي بقي سراً مكتوماً حتى الآن

كيف تفهم فرنسا الانتداب

ان ما يفهمه الجنرال غورو من الانتداب - الانتداب الذي يفرضه بثمانين الفاً من الجند يحملون احدث انواع القتل والتدمير - لا يتفق قط والتصريحات الانكليزيه - الفرنسية في ١١ تشرين ثاني عام ١٩١٩، التي تنص على رغبة هاتين الحكومتين في مد يد المساعدة لتشكيل الحكومات الوطنية المحلية، في البلاد العربية، وعدم رغبتهما في فرض الانظمة الخاصة في هذه البلاد.. كما تنص على ان رغبة هاتين الدولتين الوحيدة هي السعي والمساعدة في تأمين اعمال الحكومة العربية، وتنفيذ الانظمة التي تقررها بنفسها بحريه

واعتقد انني لست في حاجة هنا لان اؤكد وجود التناقضات بين كلمات الحكومة الفرنسية عام ١٩١٨، واعمال الجنرال غورو عام ١٩٢٠

وعلى كل حال لم يكن من المنتظر، ولم يكن من العدل ان يطبق الانتداب على دمشق والمدن الاربع، لان في هذا التدبير ما يناقض العهود التي قطعتها بريطانيا للعرب تناقضا صريحاً

مسؤولية بريطانيا

لقد اشرت في حديثي الى المسائل المتعلقة بمؤتمر الصلح، والانتداب، والى قرار عصبة الامم وتصريحات انكلترا وفرنسا عام ٩١٨ ، لابين ان عمل فرنسا لم يكن مشروعاً في اي وجه من الوجوه

غير ان قضية العرب ليست متعلقة باي قرار من قرارات مؤتمر الصلح، او قرار اية دولة من الدول، خلا انكلترا

فنحن قد تفاوضنا مع انكلترا لا سواها، والعهود التي قطعت لنا انما هي عهود قطعتها لنا انكلترا، وقد قال والدي في كتاب بعث به في تشرين اول عام ١٩١٧ الى المفوض السامي في القاهرة ما يلي :

« اما ما يتعلق بقضيتنا، والبحث فيها في مؤتمر الصلح. فاني اقرر واقول منذ الآن انه ليس لي علاقة بالمؤتمر، او اية سلطة اخرى. واعتقد انه من الاصلح ان

لا تبلغ الينا مقررات المؤتمر بواسطة المؤتمر . لانني اكون ناكراً لرحمة الله اذا انا قبلتها،

وقد اراد صاحب الجلالة والدي ان يقول ان انكلترا هي التي قطعت العهود لا سواها ، وان على انكلترا نفسها ان تسعى لان ترى عهودها منفذة !

واذا انا حضرت مؤتمر الصلح ــ رغم اني اقدر الشرف الذي اولاني اياه صاحب الجلالة البريطانية ــ فانما فعلت ذلك ، لان السلطات البريطانية هي التي طلبت الى ان افعل ذلك

ثم اذا سافرت انا الى باريز في شهر تشرين اول السابق ، وسعيت للمفاوضة مع الحكومة الفرنسية وعدت لسورية احمل احسن الرغائب للتفاهم مع الفرنسيين، ثم انا اذا سعيت ان اجعل الشعب هادئاً واحول بينه وبين مهاجمة الفرنسيين عندما كانوا ضعفاء في سوريا وكانت المصاعب في ملكي تكتنفهم من كل حدب وصوب ولم يكن لديهم في سوريا سوى حامية كانت تتألف بعض الاحيان من الف رجل ــ اذا انا فعلت هذا كله فانما فعلته كي استطيع ان اقول ذات يوم للدولة التي اعطتني كلمتها اني نفذت التعليمات التي تلقيتها منها بكل دقة وكل اخلاص

كتاب اللنبي الى فيصل

فقد كانت الكتب الرسمية التي تصلني من اللورد اللنبي تصر علي ملحة ان لا اتخذ موقفاً عدائياً من الفرنسيين . حتى اني قد تلقيت برقية من اللورد كرزون، قبل احتلال دمشق بثلاثة ايام ، يطلب الي فيه بالحاح ان لا اتخذ اي موقف عدائي

ولهذا لم افكر قط في محاربة الفرنسيين ومقاومتهم ، الامر الذي كان يجعل موقف الفرنسيين في سوريا صعباً للغاية لو اقدمت عليه

وفوق هذا ، فقد كنت اقبل دوماً شروط الفرنسيين ــ رغم انها مستحيلة ــ آملا ان اسافر فيما بعد الى اوربا ، واسوي المسألة فيها

وكتبي التي ارسلتها الى الحكومة الانكليزية من باريز ، تبرهن على انني كنت ارفض ان اخطو خطوة واحده بدون استشارتها

واني لفخور ان اقول باني كنت مخلصاً للمبادىء التي وضعها والدي . وهو

ان افاوض حكومة واحدة ، وهذه الحكومة هي بريطانيا

والان وقد خطت فرنسا خطوة جعلت كل امل في التفاهم والصلح مستحيلا ، فقد جئت باسم والدي اطلب من انكلترا ان تقوم بوعودها

متى نشأت اماني العرب

لقد كانت الحركة العربية موجودة قبل الحرب . فقد وضع العرب نصب اعينهم دوماً استعادة استقلالهم ، وتجديد عظمة المملكة العربية والخلافة الاسلامية السابقة

فالظن اذن بأن الحركة العربية قد نشأت عام ١٩١٥ ، ظن خاطىء

وكل مافي الامر ان زعماء العرب وجدوا في نشوب الحرب فرصة لتحقيق امانيهم ، فقاموا بحركتهم

فقد حث الالمان السلطان — خليفة الاسلام — على اعلان الحرب المقدسة متأملين من وراء ذلك ان يتحد العالم الاسلامي مع الحلفاء . وكانت انكلترا — بلا ريب — هي العدوة الاساسية

وقد ادركت بريطانيا مايمكن ان يصيب المسلمين من اخطار هذه الحرب، وعرفت ان هناك فتوراً في قلوب العرب من الاتراك ، فدخلت في المفاوضات مع والدي الملك حسين

واعترف قبل شيء ان اساس الاتفاق مع والدي شريف مكة ، هو الاعتراف باستقلاله ، لانه رفع السيف في وجه الاتراك ، ولان هذا العمل هو اعظم عمل سياسي تستفيد منه الدول المحالفة في العالم الاسلامي

فائدة تدخل العرب

وقد اعلن والدي على اثر هذه العهود بان الجهاد ضد الاتراك ليس من الاعمال غير المشروعة ، لان الاتراك يقومون باعمال تناقض مصالح الاسلام الحقيقية

وقد نجحت عائلتي في اقناع العرب بهذه النظرية ، بمساعدة بريطانيا . وأسست سياستها مع العرب على اساس الوعود التي قطعتها انكلترا لوالدي

وبهذه الوسيلة ، حمل العرب سلاحهم تحت علم خليفة النبي ، رغم انه كان المطلوب منهم محاربة السلطان الذي كان الى ذلك الحين خليفتهم

وقد رافقهم النجاح في ثورتهم ، فسقطت مكة دفعة واحدة بين ايديهم . وذاعت الانباء بين جميع الاقطار الاسلامية ، ففشلت خطة المانيا فشلا مريعاً

وهكذا قام والدي ، وعائلته ، واتباعه وا كثرية الشعب العربي بالقسم الذي يتعلق بهم في الاتفاق

فقد قدموا كل المساعدة لجيوش الجنرال اللنبي وكانوا عاملا هاماً في نجاح الحلفاء في المعركة .

وقد جئت الان باسم والدي اسأل بريطانيا ان تقوم بتنفيذ القسم الذي يتعلق بها في الاتفاق

هل كان العرب حياديين ؟

انا لاأود ان اعود هنا الى ذكر الاقتراح الذي عرضته انكلترا على والدي من اول الامر ... وهو ان يظل شريف مكه « حيادياً » فنحن لو ظللنا حياديين كنا نفوز من انكلترا بنفس العهود في منح الجزيرة العربية استقلالها

... ومع هذا فقد خرجنا للحرب فقاتلنا وخسرنا عدداً كبيراً من رجالنا المقاتلين وعرضنا انفسنا لخطر مهاجمة ابن السعود الذي كان يستطيع ان يهاجمنا بالنظر لضعفنا وبفضل الاسلحة التي فاز بها من انكلترا

لقد فعلنا هذا كله ... ومع هذا فقد قطعت علائقنا اليوم مع البلاد العربية واصبحت حالتنا اسوأ مما اذا كنا لم نذهب للحرب وظللنا « حياديين » كما اقترحت علينا انكلترا في اول الامر لقاء الاعتراف باستقلال المملكة العربية .

لقد كنا نعتقد في ذلك الحين ، ان حملنا السلاح الى جانب انكلترا ومحاربتنا معها بدلا من البقاء حياديين سيفيد القضية اكثر من فائدتها ، وسيجعل انكلترا تؤكد تنفيذ عهودها كل التأكيد .

عهود انكلترا

والعهود التي قطعتها انكلترا لوالدي هي عهود صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض

فقد طلب والدي في كتاب ارسله في ٢٤ تموز عام ١٩١٥ مايلي :

اولا — يجب ان تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية التي يحدها شمالا مرسين اطنه حتى الدرجة ٣٧ من خط العرض ، الذي يمر على بيره جك،وماردين حتى حدود العجم ، وشرقاً الخليج الفارسي ، وجنوبا المحيط الهندي — خلا عدن وغرباً البحر الاحمر ، والبحر المتوسط حتى مرسين

على انكلترا ان توافق على اعلان خليفة عربي للمسلمين

ثانياً — على دولة الشريف العربيه ان تعترف انكلترا الدولة المفضلة في جميع المشاريع الاقتصادية الخ ... الخ ...

***

وفي ٣٠ آب عام ١٩١٥ كتب المفوض السامي في مصر الى والدي كتاباً يعبر له فيه عن السرور الذي شعر به عندما رأى العرب ينظرون الى مصالحهم مع مصالح انكلتره . ويؤكد له ان الحكومة الانكليزية ترحب بان يستعيد الخلافة الاسلامية ، رجل عربي من العرب العرقين

اما فيما يتعلق بالحدود فقد قال المفوض السامي في كتابه ان البحث في مثل هذه التفاصيل سابق لاوانه

وفي ١٩ ايلول عام ١٩١٥ ، اجاب والدي على هذا الكتاب ، بكتاب طويل ينقض فيه غموض جواب المفوض السامي ، ولهجته الباردة المترددة فيما يتعلق بنقطة الحدود الهامة

وقد اشار والدي في كتابه هذا الى ان مصالح اتباع ديانتنا تتطلب تصريحاً واضحاً في هذا الموضوع لان حياة المملكة العربية العتيدة متعلقة بهذه الحدود المذكورة

وفي ١٤ تشرين ثاني عام ١٩١٥ اجاب المفوض السامي والدي قائلا ان منطقتي مرسين واسكندرون ، والمناطق الواقعة في غرب دمشق وحمص وحماه وحلب ، لايقال ولا يمكن ان يقال انها عربية صرف وانه من الواجب استثناؤها من الحدود المذكورة

باسم بريطانيا العظمى

اما فيما يتعلق بالاراضي التي تستطيع انكلترا ان تعمل فيها بحرية ما تريده دون استشارة فرنسا حليفتها فقد اضاف السير هنري مكماهون يقول :

ان لي السلطة باسم بريطانيا العظمى ان اعطي العهود والتأكيدات التالية :

« ان بريطانيا العظمى على استعداد للاعتراف وتأييد استقلال العرب في البلاد المحدودة في اقتراح الشريف

اما ما يتعلق بولايتي بغداد والبصرة فان العرب سيعترفون بمركز ومصالح بريطانيا فيهما على ان يكون لها الحق في ان تتخذ فيهما التدابير الادارية لحفظهما من الاعتداء الخارجي .. »

وفي كتاب آخر مؤرخ في ٢٥ تشرين اول عام ١٩١٥ اضاف المفوض السامي الى سابق تصريحاته انه « من المفهوم ان العرب قد وافقوا على اختيار بريطانيا وحدها في مهمة الاستشارة والارشاد واستخدام الانكليز وحدهم اذا احتاجوا الى مستشارين فنيين لتنظيم شؤون المملكة . »

العراق قطر عربي

فأجابه والدي بكتاب مؤرخ في ٥ تشرين ثاني عام ١٩١٥ يقول له فيه : « انه رغبة في تسهيل الاتفاق وخدمة المسلمين واعترافاً بموقف انكلترا ومزاياها يتنازل عن اصراره في ضم ولايتي مرسين وادنه الى المملكة العربية ولكنه يقول ان حلب وبيروت ومرفأ بيروت انما هي عربية محضة .

اما ما يتعلق بالعراق فقد قال والدي انه قسم من المملكة العربية وانه كان مركز الخلافة في العصور السابقة ، وان العرب باجمعهم يعلقون عليه اهتماماً خاصاً

ولا يمكن ان ينسوا تقاليدهم وينسوا البلد الذي كان مركزاً لا كبر خلفائهم .

ثم اضاف الى ذلك قائلا : « وعلى هذا لا يمكننا ارضاء الشعب العربي وارغامه على التنازل عن العراق باي حال من الاحوال »

على انه رغبة منا في تسهيل الاتفاق نستطيع ان نوافق على ترك العراق تحت الادارة الانكليزية « وهي محتلة بالجيوش الانكليزية » وذلك لقاء مبلغ من المال يدفع كتعويض بالنظر لما يتطلبه تأسيس كل مملكة جديدة من مال !

اما ما يتعلق بالادارة والمستشارين والموظفين فقد اشار والدي الى ما كان قاله في رسالة سابقة وهو انه لا يعارض في ذلك وخاصة ان المفوض السامي قد صرح ان كل هؤلاء لا يكون لهم دخل في الشؤون الداخلية .

العدل البريطاني

وفي ١٤ كانون اول عام ١٩١٥ اجاب المفوض السامي بكتاب قال فيه « اما ما يتعلق ببيروت وحلب فانه سيتخابر بشأنهما مع والدي في وقت آخر ، وصرح ان الحكومة الانكليزية مستعدة ان تعطي كل ضمانات المساعدة والتأييد للمملكة العربية ولكن مصالحها معاً تتطلب ادارة ثابتة حية في ولاية بغداد ، كما ان المحافظة على هذه المصالح تحتاج الى سرعه لا تسمح الظروف الحاضرة في المفاوضة بشأنها »

وفي اول كانون ثاني عام ١٩١٦ كتب والدي الى المفوض السامي يقول « اما ما يتعلق بالعراق والتعويض الذي اشرنا اليه لقاء فترة الاحتلال فاننا نترك تقدير المبلغ لحكمة بريطانيا وعدلها وتقوية لثقتنا ببريطانيا واخلاصنا في مفاوضة حكومتها »

اما ما يختص في الاقسام الغربية ومرافئها فان نفس الشعور السابق يجعلني اتجنب مايمكن ان يسيء الى تحالف بريطانيا وفرنسا

ومتى انتهت الحرب ، فاننا سنسألكم في اول فرصة « عن تلك الاقسام التي غضضنا النظر عنها ، والآن تركناها لفرنسا حليفتكم »

ويتحدث والدي بعد هذا عن وجود فرنسا ، ويقول ان وجودها في اي مكان كان ليس من الحكمة في شيء

ثم يضيف الى ذلك قائلا :

« ان الشعب البيروتي لن يرضى حتما بمثل هذا الانفراد ، ولا بد ان يضطرنا لاتخاذ تدابير جديدة قد تحمل انكلترا ازاء اضطرابات ، ومشاغل لا تقل عن اضطرابات ومشاغل اليوم » . .

ثم شرح بأسهاب لماذا يعتقد باستحالة السماح لفرنسا اولاية دولة سواها ، بقطعة واحدة من تلك المنطقة

رد المفوض السامي

وفي ٢٥ تشرين اول عام ١٩١٦ كتب المفوض السامي ، مقدراً الدوافع التي دفعت والدي لبحث هذا الموضوع باهتمام ، وقال انه كتب الملاحظات الكافية على ملاحظاته المتعلقة ببغداد ، الامر الذي سينظر فيه باهتمام تام عند ما تغلب الجيوش التركية على امرها ، ويعود السلام الى نصابه

اما ما يتعلق بالاراضي الشمالية ، فقد شكر المفوض السامي والدي على رغبته في تجنب كل ما من شأنه ان يضر التحالف الانكليزي والفرنسي

خلاصة عهود انكلترا

وبعد هذا اود ان اعود هنا لذكر الشروط التي اتفق عليها بين والدي والمفوض السامي وهذه هي :

١ ــ تأسيس مملكة عربية تمتد من الخليج الفارسي الى حدود كيلكيا ــ بما فيها حلب وحمص وحماه ودمشق ــ حتى حدود مصر ، على ان تكون هناك « ادارة خاصة » في ولايتي بغداد والبصرة بالاتفاق مع الشريف في نهاية الحرب

« لبنان المنفذ البحري »

٢ ــ رغبة من والدي في ان لا يخلق شيئاً من المشاكل بين الحلفاء خلال الحرب فانه « يغض النظر » عن لبنان وبيروت ومرفأها ، ويتركها لفرنسا ، على ان يعاد البحث في امرها بعد الحرب

وليس هناك اية رغبة ــ حتى ولا من جانب انكلترا ــ ان تترك مملكة داخلية كبرى دون منفذ بحري على « الشاطيء » بين اسكندرون وصيدا .

٣ ـ تتعهد انكلترا بتأييد المملكة العربية ومساعدتها بالاستشارة ، والمحافظة عليها من الهجمات الخارجية ، على ان لا تستخدم المملكة مستشاريها وموظفيها من اية دولة من غير انكلترا

معاهدة سايكس بيكو

« وملاحظات الملك حسين عليها »

ولما كان من المنتظر ان تطلب الحكومة البريطانية من العرب ان يعذروها في عدم قيامها بتلك العهود بحجة انها لا تتفق ومعاهدة سايكس ـ بيكو اجاب والدي على ذلك بهذه الملاحظات :

١ ـ ان العهود التي قطعتها الحكومة البريطانية على نفسها هي سابقة لهذه المعاهدة ، ولذلك فان ما جاء في معاهدة سايكس بيكو مناقضاً لتلك العهود ، يجب ان يعتبر باطلا !

٢ ـ وعندما لفت والدي النظر الى هذه المعاهدة السرية التي اطلع عليها بواسطة جمال باشا ـ الذي اطلع عليها من الارمن ـ اجابه المفوض السامي بهذا الكتاب :

« لقد اطلع البلاشفة في وزارة الخارجية في بتروغراد على سير المفاوضات والمحادثات الاحتياطية « لا المعاهدة » بين انكلترا وفرنسا وروسيا التي جرت في خلال الحرب ، لتجنب المصاعب بين الدول التي تحارب تركيا

وقد شوه جمال الغرض الاساسي من هذه المفاوضات والمحادثات ـ اما عن جهل واما عن خبث ـ فلم يذكر الشروط المتعلقة بالموافقة على تأسيس الحكومات الوطنية المستقلة والمحافظة على مصالحها، وجهل ان نجاح الثورة العربية والانسحاب من روسيا قد احدثا موقفاً مختلفاً »

وعندما تلقى والدي هذا التصريح الواضح طلب ان لا يكون في معاهدة سايكس بيكو ما يقف معارضاً للعهود المقطوعة للعرب .

وفينا فلم يفوا ...

لقد زرت اوربا مرتين من قبل ولكني لم اسأل قط عما تم في فلسطين والعراق فقد كنت اعمل مع والدي حسب ما نعتقد انه حسن تجاه انكلترا

لقد اطلعت الجنرال حداد - الذي تركته في انكلترا - على الخطيئات التي ارتكبت للفت نظركم اليها .

وقد كان من نتيجة هذه الاخطاء اننا اخرجنا من سوريا والعراق ، وهما بين السنة الليب .

اما ما يتعلق بفلسطين فقد تركت التعليمات مع مندوبي للاطلاع على وجهة نظر الحكومة البريطانية بهذا الشأن التي اعتقد انها ستكون موافقة على جميع الاعمال .

وانا آت الآن للمرة الثالثة للحكومة البريطانية باسم والدي وانا على ثقة بان تلك التعهدات ستكون موضع نظر وعناية واهتمام الحكومة .

فالعرب يعتقدون ان « الانكليزي » يحافظ على تنفيذ كلمته ويعلقون امامهم على « كلمة الانكليزي » ويعتقدون انه ليس في التقاليد الانكليزية ما يعتبر المعاهدات كأوراق مهملة لا قيمة لها .

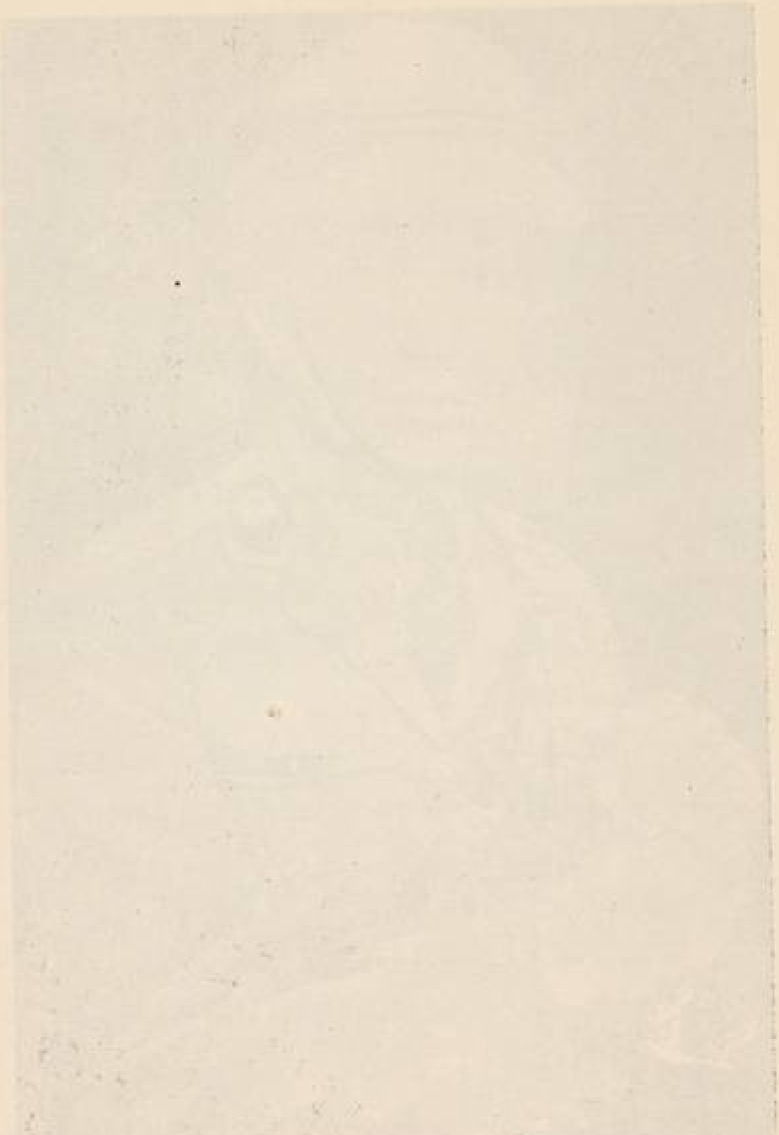
وانا لا أطلب من الحكومة الانكليزية شيئاً ليست مستعدة للقيام به ، فقد قال مستر لويد جورج في اجتماع حضرته في (الدوننج ستريت) : « لقد قامت القوى العربية بالعهود التي قطعتها الى بريطانيا ويجب علينا نحن ان نقوم بعهودنا . »

واخيراً فاني اسأل الحكومة الانكليزية اذا كان من العدل ان يعامل رجل حالف انكلترا وعمل تحت لوائها وقاد الثورة نحو النجاح ، وكان رأيه الوحيد ان يظل مخلصاً لبريطانيا وحليفاتها ، ان يعامل بمثل هذه المعاملة ، لانه كان مخلصاً نحو بلاده ، اميناً لانكلترا .

—انتهى القسم الاول من المذكرة وهذا هو القسم الثاني وهو يتعلق بالحوادث التي وقعت منذ جلاء الجيوش الانكليزية عن سوريا في نهاية تشرين ثاني عام ١٩٢٠ حتى احتلال دمشق في ٢٤ تموز عام ١٩٢٠ —



جلالة الملك غازي بن فيصل بن الحسين في لباسه العسكري



بعد جلاء الانكليز

في شهر تشرين الاول ، عندما تخلي الفيكونت اللنبي عن مسؤلية الحكم في سوريا ، كانت البلاد ــ بصفة عامة ــ هادئة ساكنة ، خلا بضعة حوادث وقعت في المنطقة الغربية

وقد وقعت هذه الحوادث من جراء الشدة والضغط اللذين عمد اليهاالموظفون الفرنسيون ليحولوا بين الشعب ، وبين ابداء رأيه الصريح في تشكيل حكومة عربية ، وقد اطلعت اللجنة الامريكية على هذا كله في ربيع وصيف عام ١٩١٩ .

وفوق هذا فقد كان الاستياء عاما من الادارة الفرنسية . وكثيراً ما اضطر اللنبي ان يتدخل ليحل المشاكل التي كانت تنشأ بين الفرنسيين والشعب .

فرنسا ــ والمنطقة الشرقية

لم تكد الحاميات الانكليزية تنسحب وتحل محلها الجيوش الفرنسية ، حتى بدأ الفرنسيون يفكرون في احتلال المنطقة الشرقية احتلالا عسكريا .

وقد كانت الحركة الاولى من حركاتهم انهم أخذوا يجمعون جيوشهم في زحله وطفقوا يفتحون طريقاً بين جديدة مرجعيون ، وحدود حاصبيا ، لايفيد احداً الا هم

وقد ادى هذا الى اثاره المنطقة الشرقية ووقعت الحادثة الاولى بين السوريين والفرنسيين

فقد ارسلت فرقة فرنسية بدون اية اشارة الى المنطقةالشرقية،واخذ الفرنسيون ينزعون السلاح من المنطقة الشرقية ، وكانت هذه الفرقة بقيادة الحاكم العسكري في زحله .

ولم يكد سكان المنطقة الشرقية يسمعون بهذا كله حتي تجمعوا وقرروا مهاجمة الفرنسيين فاسرع شقيقي الامير زيد ــ وقد كان نائباً عني خلال غيابي في اوروبا ــ لتسوية الامور وتهدئة الافكار .

والغريب انه بالرغم من اعتراف الفرنسيين بان هذه الحوادث قد نكثت عهد السلام ، فقد رفضوا معاقبة المعتدين والمجرمين ... واجابوا على هذا الطلب بعد قليل بان ارسلوا قوة بقيادة الجنرال دولاموط ـ لاسباب ـ فاحتلوا بعلبك ، وقتلوا رجلين ، وقطعوا المواصلات التلفونية بين حمص ودمشق

وعود كلنصو

وفي هذه الاثناء ، وبعد كثير من المفاوضات التي قمت بها في باريز بمساعدة وزارة الخارجية الانكليزية ، اتفقت مع مسيو كلنصو في ٢٧ تشرين ثاني ١٩١٩ وابرقت لشقيقي الامير زيد بشروط الاتفاقية وهذه هي :

١ ـ ان لاتحتل الجيوش الفرنسية البقاع على ان ننسحب نحن منها ايضاً

٢ ـ ان تتألف لجنة من الفرنسيين والانكليز والعرب للاشراف على رجال الدرك في هذه المنطقة

وقد ارسل مسيو بيشون ـ وزير الخارجية ـ نص هذا الاتفاق الى شقيقي الامير زيد بواسطة الكولونيل كوس ، والموظف السياسي الفرنسي في دمشق

وقد جاء في برقية المسيو بيشون ان نص هذا الاتفاق قد ارسل للجنرال غورو ليسير بموجبه

واذ ذاك طلب شقيقي الامير زيد من الجنرال غورو ان يسحب جيوشه من البقاع ـ بموجب الاتفاق ـ فكان الجنرال غورو يجيب خلال بضعة اسابيع انه لم يتلق من حكومته اشعاراً بذلك ، واستمر في احتلال مواقع جديدة في البقاع لم يجل عنها الفرنسيون قط

وفوق هذا فقد كانت السلطات . الفرنسية تضبط البرقيات التي كنت ابرقها للامير زيد من باريز ، وتقطع كل مخابرة بيني وبين حكومتي في دمشق ، واصبح البقاع ـ بنتيجة هذه التصرفات ـ ميداناً للاضطرابات الدائمة ، واخذ النفور من الفرنسيين ايزداد يوما بعد يوم في مختلف الجهات

الحالة عند عودتي

عند وصولي الى بيروت في ١٤ كانون اول سنة ١٩٢٠ ، كانت الحالة العامة بالرغم من هذا كله مرضية

فقد استقبلني في المرفأ قسم كبير من الوجوه واكدت لهؤلاء حسن نوايا الحكومة الفرنسية ، وحسن نية ممثلهم الجنرال غورو

على ان هناك من اكد لي - من ناحية اخرى - ان مامن واحد في سوريا لايعرف مقاصد فرنسا في اعمالها ، وان سياستها ترمي الى اثارة الاضطرابات في البلاد ، لتجعل موقفي في المنطقة الشرقية صعباً ، ولتتمكن من التدخل العسكري وفرض سلطتها بقوة السلاح على الشعب كله

وقد فهمت ذلك الحين ان إدارة الضباط الفرنسيين في منطقتهم - ومعظمهم قادم من افريقيا الشمالية - كانت تسبب لهم كثيراً من المتاعب . وكانت الحوادث المخيفة التي تقع بين الجند والشعب في جبل لبنان ، ومرجعيون ، وتل كلخ ، واللاذقية ، واسكندرون وحارم وجسر الشغور ، لا تعد ولا تحصى

الجهود المبذولة لتهدئة الشعب

ولم يكد نبأ هذه الاضطرابات يصل الى مسامعي ، حتى ارسلت على الفور رسلا الى تلك الانحاء « لتهدئة الشعب ، واقناعه بان يكون صديق الفرنسيين . وقد حدث اذ ذاك ان الاتراك والاكراد افلحوا في اقناع احد زعماء العشائر البدوية بمشاركتهم العمل في اخراج الفرنسيين من اورفة . فجاء هذا الزعيم يستشيرني فنصحته بان لا يفعل ، فسار على نصيحتي

وقد عرضت نفسي بهذا العمل لانتقاد شعبي نفسه ، الذي بدأ يعتقد اني اخونه مع الفرنسيين » !

وقد عرف الفرنسيون انفسهم الغاية من سياستي . فارسل اذ ذاك رئيس دائرة الجنرال غورو السياسية ، مذكرة الى الجنرال قال له فيها : « ان لجنة الدفاع الوطني

التي كانت قبل وصول الامير فيصل تدير شؤون الحكومة ، وما زالت حتى الآن تنشر في البلاد افكار « الاستقلال التام »! قد قررت هذه اللجنة محاربة الامير فيصل اذا كان هذا قد وقع معاهدة مع فرنسا

« وقد كانت الاستقبالات في دمشق هذه المرة ، اقل حماسة مما كانت عليه في اي وقت آخر . وذلك لان الجمهور يتنبأ او يشعر بان الامير فيصل قد باع سوريا الى فرنسا . .

« وهذه اللجنة لا تزال مستمرة في المعارضة ، ويظهر انها لا ترغب في مشاركة الامير في غاياته ومراميه ـ الزائدة او الناقصة في الاخلاص ، للتقرب منا »

الخواطر الثائرة

هذا . . واعتقد ان كل من يعرف طبيعة المنطقة الشرقية وصعوبة المواصلات ، وطبيعة العشائر المشاغبة ، يدرك صعوبة العمل في تهدئة الخواطر الثائرة ، والحيلولة دون رغبة هؤلاء ، في مهاجمه الفرنسيين في المنطقة الغربية

ومما يجب ذكره هنا انه عندما كانت حاميه الفرنسيين في اقصى مراتب الضعف وكان عدد رجالها لا يزيد عن الالف ، في ذلك الحين ، زرت حلب زيارة شخصية لاوقف العصابات الذاهبة لمشاركة الاتراك الوطنيين في محاربة الفرنسيين في كليكيا

ازدياد الاستياء

بين الفرنسيين ودعاة الاتراك

ازداد استياء الشعب في كل مكان ، ورأى الناس انه انقضى ثمانية عشر شهراً على اعلان الهدنة ولم يظهر شيء حتى الآن يدل على ان هناك رغبة في العمل على اجابة رغائبهم . . وكان الشعب من ناحية اخرى يرى الفرنسيين يطبقون سياسة استعمارية محضة . كما كان الاتراك يرسلون دعاتهم الى المدينة ويحرضون الرأي العام ضد الحلفاء الذين يقومون بهذه الاعمال ويطبقون مثل هذه السياسة بالرغم من

محاربتهم الى جانبهم ، ويقولون ان سوريا والعراق سيقسمان الى قسمين ؛ وانه من الافضل لهم ولمصلحتهم ان يسيروا الى جانب الاتراك لمعارضة انانية السياسة الاوربية بقوة السلاح

وكل ما كنت استطيع عمله في هذه الظروف هو ان اقنع كل واحد بانهم اذا صبروا وانتظروا فانهم واصلون الى ما يرضيهم

اعلان الاستقلال

في ٨ آذار عام ١٩٢٠ اعلن شعبي بواسطة مندوبيه الذين اجتمعوا في دمشق استقلال سوريا ، وانتخابي ملكا عليها . وقد قال هؤلاء المندوبون في انفسهم انه اذا كان الحلفاء مخلصين في اعمالهم ووعودهم ، فانهم يعترفون بهذا القرار الناشيء عن رغبة الشعب العامة ، والذي يضع وعود الحلفاء موضع التنفيذ ، ويبرهنون بذلك على كذب الاتراك في ادعاءاتهم

اما اذا كان الامر على النقيض من هذا ، ولم يؤيد الحلفاء عمل الشعب السوري وقرار مندوبيه ، يظهر صدق الاتراك في كل ادعاءاتهم واقوالهم وتحذيراتهم

المؤتمر السوري

لقد قيل عن المؤتمر السوري ، الذي مثل الشعب السوري حق التمثيل انه مؤتمر غير قانوني . مع ان هذا المؤتمر قد انتخب بافضل الوسائل المشروعة ؛ وكان - حسب اوامري وطلبي - يمثل الشعب السوري بكامله كل التمثيل

فقد جرت الانتخابات على الدرجة الثانية وحسب القوانين التركية القديمة . فانتخب ٨٥ مندوبا من مختلف الجهات . اضفنا اليهم ٣٥ مندوبا عن زعماء القبائل ورؤساء الاديان

وقد جاء الاعضاء من المنطقتين الشرقية والغربية ، وكان هؤلاء يمثلون مختلف المذاهب والديانات . وارسل لبنان ثلاثة مندوبين ، كان انتخبهم لاطلاع اللجنة الاميركية على رغائب اللبنانيين وامانيهم

وبعد ان نزلت عند قرار المؤتمر ، وقبلت بالعرش ، اعلنت السياسة التي يجب ان تسير عليها الحكومة الجديدة ، وعنيت عناية خاصة ان لا العب بعواطف الشعب الوطنيه وان لا اخدعه ، مع انه كان في وسعي اذ ذاك — اذا اردت — ان اكون محبوبا من الشعب الى اقصى حد

السياسة الجمركية

وقد اسرعت بعدهذا الى الشروع في تنظيم الادارة والحكم بشكل يتفق وطبيعة البلاد . فالفت حكومة ، كان للمسيحيين من يمثلهم فيها وكان موقف الوزارة في العمل موقفاً صعباً الى حد كبير

وذلك لان الفرنسيين كانوا مسيطرين على الشاطىء ، وكانوا يتقاضون الرسوم الجمركية التي كانت المورد الاساسي في الخزينة ، ولا يدفعون حصتنا الا بصورة متقطعة ، كما انهم لا يدفعون الينا سوى قسم ضئيل من هذه الحصة وهذا ما جعل حكومتي تواجه صعوبات جمة منذ تأليفها ، وتقع في حيرة شديدة لشدة حاجتها للمال

ثم ازداد سوء الحال بعد ذلك واخذ الفرنسيون يطبقون سياسة جائرة في الشؤون الجمركيه ، فأضروا التجارة وأوقعوا أضراراً لا حد لها باسواق دمشق . وهذا ما كانوا يرمون اليه من وراء سياستهم هذه ..

مملكة تحت الكابوس

وهكذا بدأت المملكة الجديدة حياتها تحت هذا الكابوس ، فاخبرت وزارة الخارجية الانكليزية بواسطة الجنرال حداد باشا عن الاسباب التي ادت للقيام بهذا العمل ، واعلان الاستقلال والملكية ، فأجابتني الوزارة المذكورة بعد مقررات (سان ريمو) ان انكلترا تعترف باستقلال حكومة سوريا وتعترف بي ملكا عليها .

اما فرنسا فقد رفضت ان تتخذ مثل هذا القرار وتعترف بالاستقلال وبي .. وذهب الجنرال غورو فوق هذا الى لبنان واخذ يخطب خطباً ضد حكومتي مثيرا اللبنانيين للاحتجاج على مقررات المؤتمر السوري .

الضباط والقبائل

وعندما عدت للمرة الثانية لقضية البقاع وطلبت الى الجنرال غورو ان يجلو عن البقاع اجابني جواباً غريباً قال فيه : « كيف تريد ان انسحب من البقاع وانا لا استطيع ان امنع الضباط الذين يصرون على التقدم ! » فأجبته: « اذا كان الجنرال غورو يجد انه من الصعوبة منع ضباطه ـ وهم الذين يسيرون على نظام الجندية ـ فكيف استطيع انا ان امنع رجال القبائل الذين لا يعرفون شيئاً عن النظام ؟ »

بعد الهدنة مع تركيا

وكان موقف فرنسا يزداد غموضاً يوماً بعد يوم ، وقد استطاعت بعد عقد الهدنة مع مصطفى كمال ان ترسل قسما كبيراً من جيوشها الى هذه البلاد ، واخذت تحشد مختلف الانحاء بالجند والمصفحات والطيارات الخ .

لقد كنت دوماً افكر في السفر الى باريز لبحث هذه المشكلة مع الحكومة الفرنسية ، بيد ان ازدياد خطورة الموقف يوماً بعد يوم ، جعلني اعتقد ان وجودي في سوريا ضروري للغاية

فقد كان وجودي في سوريا اكثر ضرورة ، في ذلك الحين ، من وجودي في اوربا . وقد اعترف الجنرال غورو بذلك في كتاب بعث به الى حكومته كما اعترف اللورد كرزن بمثل هذا في الخطاب الذي القاه في مجلس اللوردات ، رغم انه صرح برغبته في ان يراني في المستقبل القريب في لندن .

واذ ذاك سرت حسب الآراء التي ابرق الي بها الجنرال حداد باشا من لندن ، وقررت ان اذهب الى اوربا حالا ـ كما تريد وزارة الخارجية الانكليزية ـ وكان موقف الجنرال غورو ، الذي يتضح شيئاً فشيئاً ، يقوي عزمي على السفر باسرع ما استطيع .

فقد فكرت انه قد يكون من الممكن ـ اذا سافرت لاوربا ـ ان اصل الى حل للقضية كلها . وكتبت الى الجنرال غورو في ٩ تموز اطلب اليه ان يهيء لي اسباب سفري ، فأجابني بان لديه بضعة شروط يريد ان يعرضها علي قبل مغادرتي سوريا

والا فان الحكومة الفرنسية لن تدخل معي في اية مفاوضه .

الفرنسيون يتقدمون

ومنذ تلك اللحظة اخذت الحوادث تمر بسرعة ..

فقد اصبح لدى الجنرال غورو قوى كافية تسحق كل معارضة نحاول ان نبديها وأعتقد ان ذهابي الى اوربا قد ينهي القضية فحال دون سفري. وتحركت الجيوش الفرنسية في ١١-١٢ حزيران واخذت تتقدم من جرابلس نحونا ، فاحتلت جسر الشغور ثم دخلت رياق مزودة بالاسلحة والمدافع لتقوية الحامية العسكرية فيها.

وقد حدث كل هذا فجأة وبطرفة عين دون اخطاري بشيء ، وكان من الواضح ان الجنرال غورو يعد العدة للقيام بحملة عامة على منطقتي

انذار الجنرال غورو

في ١٤ تموز تلقيت من الجنرال غورو انذاره المعروف

وانه لمن المستغرب ان يدعي الجنرال غورو في هذا الانذار اني وضعت له العراقيل في محاربة العدو المشترك مصطفى كمال باشا ورفضت السماح بنقل الذخائر الى جيشه !

فالذخائر لم يعترض احد في نقلها ولم يوقفها احد ، اما الجيوش فكل ما فعلته في هذا الصدد هو اني طلبت اليه ان يعترف بما اعترفت به انكلترا – فيما يتعلق بالحكومة العربية – وان يقوم بالتعهدات التي قطعتها حكومته لنا قبل ان ينقل جيوشه على الخطوط الحديدية ، واوضحت له بصراحة انه يستحيل علي تهدئة الشعب اذا لم يجب هذه المطالب.

وقد طلبت الى الجنرال غورو ان يعترف بالحكومة وبي لاني كنت اعرف عن ثقة ان حكومته تركت له هذا الامر يقرره حسب ما يراه .

ويجب ان اضيف الى هذا ان الجنرال غورو كان يرسل الذخائر الى جيوشه في القطارات ، وقد ادركت الآن ان ما قالته الصحف المحلية عن غايات الجنرال غورو في ارسال هذه الذخائر كان صحيحا لا ريب فيه

فالجنرال غورو لم يكن يرغب في نقل الجند والذخائر لمحاربة العدو المشترك مصطفى كمال بل لمهاجمة منطقتي !

اما انا فقد اظهرت شعوري نحو مصطفى كمال باشا بصراحة وجلاء. قبل ان تجلو الجيوش الفرنسية عن جرابلس ، فقد ارسلت الى الجنرال غورو اذ ذاك كتابا اشرت اليه فيه عن النتائج الخطيرة التي يؤدي اليها فتح الباب للاتراك لاثارة القلاقل والاضطرابات في سوريا والعراق واقترحت عليه ان ارسل اليه جيوشي لتتعاون مع الجيوش الفرنسية في سبيل احتلال المناطق التي قرر مؤتمر الصلح ان تكون من منطقتي ، غير ان الجنرال غورو لم يوافق على هذا الاقتراح . واعتقد ان رجلا يقترح محاربة الاتراك لا يمكن ان يتهم في « وضع العراقيل » امام الجيش الفرنسي المحالف لمحاربة الاتراك الاعداء المشتركين !

اثارة القلاقل

وقد ذكر الجنرال غورو — استناداً على القلاقل التي اتهمني باثارتها — ستة حوادث قال انها وقعت بمعرفتي ، ولم يذكر قط ان ثلاثة منها قد وقعت خلال غيابي في اوربا ، وكانت المخابرات — حين وقوعها — مقطوعة بيني وبين سوريا

والحقيقة ان هذه الحوادث الثلاثة وسواها قد وقعت على اثر الاعمال التي كان يقوم بها الموظفون الفرنسيون ... وهي الاعمال التي كنت لفت اليها نظر الجنرال غورو مراراً عدة ، وارسلت اليه كتابين بشأنها تجدونهما طيه

اما الكتاب الاول فيبرهن على شدة اخلاصي ورغبتي في العمل مع الفرنسيين بروح المودة ، ويدل على انى عندما ألفت الحكومة الجديدة ، كنت واضعاً هذه الرغبة نصب عيني

واعتقد أن التهمة التي الصقت بحكومتي ، بانها تشجع العصابات وتحثها على دخول المنطقة الغربية ، تثير استغراب كل رجل كان في سوريا خلال تلك الشهور

ومما يجدر ذكره هنا ان الفرنسيين انفسهم سلحوا العصابات المسيحية في مختلف الجهات لاثارة القلاقل في منطقتي

وقد تبودلت كثير من الرسائل بين الضباط السياسيين الفرنسيين وبعض

الاهلين ، بشأن استخدام بعض متطوعة الاكراد ـ بالراتب الذي يريدون ـ لتأليف العصابات واثارة القلاقل في سوريا ، وعلى الحدود الكردية في العراق

وهناك وثائق كثيرة تبرهن على ان هناك اتفاقات بين الدروز امبوا على الفرنسيين فأخذوا منهم المال ... ولم يثيروا القلاقل

الامن في دمشق وبيروت

اما مايتعلق بالامن العام ، الذي يجب على كل حكومة ان تحافظ عليه ، فانكم تستطيعون ان تحكموا على اتهامات الفرنسيين ، اذا عرفتم ان المارة في بيروت ـ وهي مركز الادارة الفرنسية ـ لايأمنون السير وحدهم في الليل

فقد كان الجنود الجزائريون يقطعون الطرق ، ويسلبون المارة

اما في دمشق فلم يكن ثمة شيءٌ من هذا

فقد كان المسيحون ، والمسلمون يعيشون الى جانب بعضهم البعض بهدوء وامان ولم يشك المسيحيون يوما من الايام من سوء المعاملة ، ولم يقولوا انهم يخشون احداً من المسلمين

ومع هذا فان الفرنسيين مازالوا يدبرون المكائد مع رئيس الاكليروس في المنطقة الشرقية !

ومما يجدر ذكره هنا انه عندما كانت الحالة خطرة في دمشق وكانت الجيوش الفرنسية تتقدم نحونا وقامت قيامة الشعب لم يشك المسيحيون من شيءٌ ـ رغم اننا لم نكن قابضين على زمام الشعب الثائر ـ وقد جاءوا الي يقدمون شكرهم على الالتفات الذي وجدوه من حكومتي

ولا ارى حاجة للقول ان سياسة فرنسا كانت منحصرة اذ ذاك في استثمار العواطف المذهبية والنعرات الدينية التي تثور بسرعة ـ مع الاسف ـ في بلادنا

وقد اطلعت حكومتي على مخابرات الفرنسيين مع الدروز وعرفت بالاموال التي دفعتها فرانسة لمتطوعة الدروز ، لمقاتلة الشيعة في جبل عامل ، والمبالغ التي اعطتها للموارنة لمقاتلة الدروز في لبنان ، كما علمت ان فرانسة دفعت للشراكسة لمحاربة الآربين في الحولة ، كما دفعت للاسماعيليين لمقاتلة النصيرية في بانياس ، وكما

دفعت للنصيريين لمهاجمة القرى الاسلامية واحراقها في اللاذقية

ولم يكن في وسع الفرنسيين - ولو ارادوا - ان يوقفوا تلك العصابات التي ساعدوها عند حد ، ولم يكن في وسعهم ان يحصوا الفظائع التي ارتكبتها . . وهي الفظائع التي تملىء صحائف صفراء من تاريخ سوريا الحديثه

الجرائم الشخصية

اذن . . فقد كان من الطبيعي - في بلاد هذه حالتها - ان ترتكب هذه الجرائم الشخصية ضد بعض الجند الفرنسي

وعند ما كان يقع مثل هذه الجرائم في احدى الانحاء لم نكن لنرى جهداً من الجانب الفرنسي للبحث عن المجرمين ، بل كان كل ما في الامر ان يحرق الفرنسيون اقرب قرية وان يحجزوا اغلالها ، ويسوقوا ماشيتها ،ويتركوا سكانها في شقاء وتعاسة لا حد لها

وانه لمن سوء حظ سوريا انها بعيدة . وان شعبها يجهل كيف يلفت نظر العالم المتمدن ويطلعه على جلية الامر . ولو لم يكن الحال كذلك واستطاع السوريون ان يسمعوا اصواتهم للعالم المتمدن لأثارت هذه الاعمال والاضطهادات عاصفة شديدة في العالم الاوربي « تنسف » فرنسا من سوريا الى الابد !

على ان هذه الاخبار اذا لم تصل الى اسماع اوربا واميركا ، فقد انتشرت في كثير من الانحاء العربية ، وكان كره الفرنسيين يزداد يوما بعد يوم .

العملة الجديدة

اما التهمة الثالثة التي وجهها الجنرال غورو ضد حكومتي ، فهي رفض هذه الحكومة ادخال العمله الجديده على اساس الفرنك الفرنسي

واني لاجيب على هذه التهمة ان الجنرال غورو ليس لديه قوة شرعية لابدال العمله في المدينة ، بعملة سواها ، وهو اذا فعل هذا فانما يكون مستعملا سلطة « الحاكم » المطلق . . الامر الذي لا حق له به !

ثم ان رفض العمله الجديدة لم يكن من حكومتي ، بل من الشعب اجمع

انصار فرنسا واعداؤها

ويدعي الجنرال غورو في انذاره ان حكومتي قد عاملت انصار فرنسا معاملة سيئة ، وكرمت - من ناحية اخرى - اعداء فرنسا !

وعلى ذلك اجيب ان هؤلاء الانصار الذي قيل انهم عوملوا معاملة سيئة ، قد كانوا من المتآمرين على الامن ، الساعين لاثارة النعرات الدينية بين مختلف المذاهب .. لقاء الاموال التي دفعها لهم الفرنسيون

اما هؤلاء الذين يدعوهم الجنرال غورو « اعداء فرنسا » فانهم من الرجال الوطنيين المخلصين الذين يحاربون مقاصد فرنسا وانه من المضحك ان يدعى هؤلاء « اعداء فرنسا » وان يعاملوا معاملة سيئة بالنسبة لهذا العداء .

فقد كان هؤلاء يرغبون ان يعيشوا تحت الحكم العربي وكان قسم كبير منهم يقيم في المنطقة الغربية ، وهي المنطقة التي لا سلطة لي عليها .

ولم يكن في وسعي في اي حال من الاحوال ان اخنق الشعور الذي تولد في النفوس وشجعته تصريحات الحلفاء في كثير من الظروف .

رشوة مجلس لبنان

وهناك تهمة مضحكة اخرى في انذار الجنرال غورو - وهي تهمة لا ظل لها من الحقيقة - وهي ادعاؤه اننا رشونا المجلس اللبناني بمبلغ ٤٢ الف ليرة انكليزية ليطلب الاستقلال بدون مساعدة فرنسا واتهام اعضاء المجلس بالخيانة لانهم طالبوا بهذا الاستقلال . وهذه التهمة مضحكة لاسباب عديدة :

١ - لم يكن لدي الحكومة السورية مال تتمكن فيه من دفع شيء

٢ - ان المادة المتعلقة بلبنان الكبير قد كانت دوماً خارجة عن السياسة التي كنت اتبعها ، ولم اكن اعتقد ان امراً كهذا يقابل بالارتياح بين سكان الاراضي المقترح الحاقها بلبنان .

وقد اوسلت لكم طيه ترجمة قرار المجلس وهو القرار الذي نفي من اجله كثير من اعضائه . واني اعرف السبب الذي حدا بالجنرال غورو للوم الحكومة السورية

في هذا الشأن .. وهو محاولة هؤلاء المنفيين السفر الى فرنسا وعرض شكواهم عن طريق المنطقة الشرقية بعد ان حالت فرنسا دون سفرهم من المنطقة الغربية

غورو والصحف

واتهم الجنرال غورو الصحف الدمشقية بانها تهاجم السياسة الفرنسية ونسي ان الصحف التي تساعدها فرنسا لم تترك فرصة تمر دون ان تهاجمني وتهاجم القضية العربية مهاجمة شديدة وتحمل على السياسة الانكليزية في الشرق الادنى وتحاول الانقاص من قيمتها .

وقد طلبت مراراً عديدة الى السلطات الفرنسية ان توقف صحفها عن التهجمات فلم تصغ الى طلبي ، ولهذا لم يكن في وسعي ان امنع صحف دمشق عن الجواب.

لهجة غورو القاسية

ثم بالرغم من لهجة الجنرال غورو القاسية في انذاره غير المشروع فقد بذلت كل جهد لاقنع حكومتي بالموافقة عليه ، فقد كنت اعرف ان رفضه سيؤدي حتما الى مصيبة .

وتلقيت في تلك الظروف الحرجة ـ والضغط يشتد حولي ـ برقية من اللورد كرزون ، فأعلمت الكولونيل كوس بموافقتي على شروط الجنرال غورو ، وطلبت اليه في نفس الوقت ان يمدد مهلة الانذار ليتنا اتمكن من تنفيذ الشروط فحددها ٢٤ ساعة بناء على طلبي

وفي ١٩ تموز طلبت مهلة اخرى لاتمكن ـ هذه المرة ـ من ابدال الموظفين الذين يترددون في قبول الشروط .

وفي اليوم الذي اجيب فيه طلبي اعلمت الجنرال غورو ان الجيوش العربية التي كانت تحتل مراكز مجدل عنجر القوية والفرق التي كانت ترابط على الحدود قد انسحبت بناء على اوامري الى دمشق ، وبدأت منذ ذلك اليوم اسرح الجيوش في العاصمة بناء على تأكيد الفرنسيين بان الجيوش الفرنسية لن تتقدم ، وقد كان القناصل في دمشق شهوداً على هذا التأكيد .

اريد ان اؤكد هنا ان موافقتي على شروط الجنرال غورو انما كانت مؤسسة على اعتمادي الذهاب الى اوربا لاعرض القضية امامكم ليأخذ العدل مجراه، بناء على عهودكم المتطوعة

قبول المطالب والانذار

وفي ٢٠ تموز اغلقت المؤتمر ، وكنت مضطراً لاتخاذ هذا التدبير بعد ان رأيت اعضاءه يرغبون في معارضة مطالب الفرنسيين بقوة السلاح

وفي الساعة الخامسة والخمسين دقيقة من هذا اليوم نفسه اعطيت الكولونيل كوس جوابي المفصل وموافقتي على شروط الجنرال غورو باجمعها فوصله الجواب قبل ست ساعات ونصف من نهاية مهلة الانذار

ولكن الجنرال غورو يدعي ان برقية الموافقة لم تصله الا في صباح اليوم التالي اي في ٢١ تموز

ويجب ان اذكر هنا ان موافقتي على شروط الجنرال غورو قد جعلت موقفي في دمشق صعباً الى اقصى حد

فقد ادى تسريح الجيوش العربية ، الى قيام حركة في دمشق ضد الحكومة وكان الشعب يؤثر ان يحارب على ان يوافق على مثل هذه الشروط

ولم تنته هذه الحركة ، الا بعد سقوط مئة وعشرة من القتلى ، وثلاثمئة جريح .

تقدم الجيوش الفرنسية

وفي صباح ٢١ تموز ، نقل الي ان الجيوش الفرنسية كانت تتقدم نحو دمشق وانها اسرت فرقة صغيرة من الجيش العربي التي تركت في البقاع لتجمع الاسلحة والذخائر من السكان ، وتعود بها الى دمشق

وقد كانت هذه الفرقة الاسيرة ، تحمل اوامر بان تعامل الافرنسيين كحلفاء ... فكانت النتيجة ان وقعت اسيرة في ايدي هؤلاء الحلفاء دون ان تبدي اقل مقاومة

ولم اكد اطلع على هذه الانباء ، حتى ارسلت الكولونيل تولا الى الجنرال غورو ، اطلب اليه ان يقوم بوعده ، ويأمر بانسحاب الجيوش الفرنسية

شروط جديدة

وفي اليوم التالي ارسل الي الجنرال غورو كتابا يطلب فيه ان اوقع على شروط اخرى . وقد ارسلت اليكم طيه هذا الكتاب وتلك الشروط لتطلعوا عليها

وقد اجبت الجنرال على هذا الكتاب بان هذه الشروط الجديدة لم تكن موجودة في الانذار ، واني قد نفذت القسم الاكبر من الشروط الاولى ، واننا مستعد لتنفيذ القسم الآخر اذا انسحبت الجيوش الفرنسية .

ولو قبلنا بالشروط الجديده ، لما بقيت لي ولا لوزارتي اية سلطة في البلاد

وفوق هذا لم اكن اثق بان الجنرال غورو لن يبعث بشروط جديدة اذا قبلت هذه

معركة ميسلون

وبينما كنت اسعى لتسوية هذه المشاكل بروح المسالمة والود وصلتني اخبار جديدة عن تقدم الجيش الفرنسي ، فخرجت الجموع من دمشق ، دون نظام ودون اسلحة ، للمدافعة عن المدينة .

ولم يزد عدد هؤلاء الذين تجمعوا في خان ميسلون عن الالفي رجل . وقد اشترك مع هؤلاء مئتا رجل من رجال القبائل المسلحين ، وهم بقايا الجيوش المسرحة — فعهد اليهم بالمحافظة على الاسلحة ، والذخائر وكان من الطبيعي ان يذهبوا ضحية المصفحات والطيارات الفرنسية

وقد كان بين هؤلاء الذين سقطوا صرعى في ميسلون بعض رفاقي في معارك فلسطين واني احني رأسي احتراماً لجميع هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الاحتجاج على اعتداء لم يعرف له التاريخ مثيلا .

وعود الجنرال غورو

لقد وثقت بكلمة الجنرال غورو ، واعتمدت على وعده بان لا يسمح للجيوش الفرنسية بالتقدم فاخليت المراكز من الجند ، وسرحت قسما كبيراً من الجيش... وأجبت — انا الرجل الاعزل — بأني ارفض الحرب

وقد كنت اعرف ان موافقتي على الشروط الجديدة لا بد ان تثير حرباً اهلية في دمشق . فاعطيت الجنرال غورو عهداً صريحاً بأن انفذ شروط ١٤ تموز بالحرف وطلبت اليه لقاء ذلك ان يوقف تقدم الجيوش نحو دمشق ... فكان جوابه الى اطلاق النار على النظاميين والمتطوعين

وبالرغم من هذا كله فقد امرت النظاميين الذين نجوا من القنابل ان يتركوا السلاح ... وقد فنيت فرقة من الجنود الشجعان ــ تحت قيادة البطل يوسف العظمة ــ وهي في مكانها !

ملحوظة : رأينا ان نكتفي في هذا الجزء بالقسم الاول من هذه المذكرات الخطيرة على ان ندرج بقيتها في الجزء الثاني الذي ينتظر صدوره قريباً .

الفيصل الماضى

كلمة عطوفة الامير شكيب ارسلان التي ارسلها الى لجنة تأبين الفقيد العظيم في دمشق لتتلى في الحفلة التي أقيمت عند ظهور هذا الكتاب:

يجتمع الناس اليوم في أمهات المدن العربية وفي كثير من امصار الشام والعراق وفلسطين ومصر وغيرها لتأبين فقيد هذه الامة الملك فيصل بن الحسين رحمه الله بمناسبة مرور اربعين يوما على مصابه . وكأن جميع ماأقيم من المآتم والمناحات منذ حلت بالعرب هذه الفجيعة الى الان وجميع مانشر من اعلام السواد وما احتشد من الجماهير التي تحصي بمئات الالوف لاستقبال نعش الفقيد العظيم وما نشرته الجرائد العربية تباعاً من تأبينه ورثائه والتعريف بمناقبه، نعم كل هذا لم يبرد للعرب حرقة ولم يشف أواراً وتراهم في كل سهل وجبل حيارى وتحسبهم سكارى وماهم بسكارى وهم يستزيدون بعضهم بعضاً من تأبين الفقيد نظماً ونثراً ومن الخطابة في هذا الخطب الاليم شغفا ووتراً املا بشفاء مافي الصدور من لوعة فراق حبيب الامة العربية

احوج ما كانت هذه الامة اليه . ولم تكن العواطف وحدها هي السبب في هذه المحافل التي لم يسبق لها مثيل فيما نعلمه من تاريخ هذه الامة ولا كانت هذه المآتم المتصلة عبارة عن مجرد مناحات يشفي بها الاجهاش حرارة الصدور بل كانت مظاهر وطنية ومواقف سياسية يريد العرب ان يقولوا فيها لكل من يتربص بهم الدوائر في شرق اوغرب ويبغيهم الغوائل في بعد اوقرب : ان كان فيصل قد مات فان الامة العربية ملأى حياة لم تمت ويريد العرب بعد موت فيصل ان يحيوا فيصل في برنامجه وان يتخذوا هذا البرنامج قبلة سياسية يولونها وجوههم فان فيصلا لم يبلغ المنزلة التي بلغها في قلوب العرب الا بهذا البرنامج الذي اصر وصمم على تنفيذه وشرق وغرب في تأسيسه وما زال يسعى ويدأب ويجيء ويذهب حتى فاز بتطبيق القسم الاول منه وكان لو فسح الله في اجله جديراً بان يطبق الاقسام الباقية . وكأن الله كشف لهذه الامة عن سريرة هذا الرجل وجلى لها صورة ناحية بارزة لاشائبة فيها ولا شبهة تحوم في ناحية من نواحيها فاعلمها من اخلاصه في خدمتها ماينذر ان يكون قد نوقد في صدر من صدور ملوك العرب الذين عرفهم التاريخ فلهذا نجد من رقة هذه الامة واجهاشها لفجيعة فيصل مالم تحدث عنه الرواة في عصر من الاعصر الا ماكان من المصاب بالنبي الكريم عليه السلام والخلفاء الراشدين عليهم الرضوان والفاتحين الكبار كصلاح الدين وابن تاشفين وابن سبكتين واضرابهم . ولعمري ان فيصل اذا قيس بهؤلاء وبالخلفاء الكبار كابي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون وعبد الرحمن الاموي صقر قريش وحفيده الناصر لم يكن عنهم مقصراً ولا كان هذا القياس منكراً لان اولئك الملوك والخلفاء جاؤا في اعصر كانت ريح العرب فيها تعصف في الافاق لايقف في وجهها شيء فكانت رجوليتهم قائمة على ساقها وهممهم منبعثة من طبيعة محيطها فكانت نفوسهم العالية مساوقة لنفوس اقوامهم مسايرة لما كان قد اتسع من سلطانهم فاما فيصل رحمه الله فقد جاء والبلاد غير البلاد والرجال غير الرجال وسلك العرب منتثر وتراثهم في ايدي الاجانب منتشر فاراد ان يرد على هذه الامة ماغصبته الامم من تراثها وان يبعث تلك الحقوق الذاهبة من اجدائها وحاول ان يؤسس دولة بل حاول ان يؤسس امة لانه ان لم تكن الامة

لم تكن الدولة ولم يكن ذلك سهلاً مع تفكك الاوصال وتفرق الاجزاء في الداخل وتكالب الاطماع وتعدد الاغراض من الخارج .

فحاول فيصل مرتقى صعباً ولكنه رقا وعالج صخراً اصم ولكنه استنبط واصمى وكان كل من يراقب سياسته ويتتبع خطواته يعلم ان له برنامجاً واحداً لا يحيد عنه يلبس له في كل طور لبوساً ولكنه لا يزال في جوهره واحداً كان يلين ولا ينقطع ويشتد ولا يغلظ ويتساهل ولكن ليكتسب ويتأخر ولكن ليثب ويبدي من اساليب المرونة ما تحار له الافكار وهو صابر ويدور من كل جهة وهو لا يبرح قاصداً النقطة التي هو اليها سائر ، وكان يكسو هذه السياسة العربية المحضة المبنية كلها على تحرير امته وتوحيدها ثوباً من الكياسة قلما نسجته اليد الالهية وافاضته على زعيم سياسي في هذا العصر . فكانت حياته « سياسة وكياسة » وكان برنامجه « تحريرا وتوحيداً » فكان الهدف صعباً ولكن مهد له طريقاً جعله بدماثة خلقه سهلا ، وكان الكأس الذي سقاه المستعمرين الناصبين مراً ولكنه عسل مصفى ، ولهذا اذا قال الانسان ان فيصل بن الحسين كان اسداً في صوف حمل وقنفذاً في ملاءة مخمل لم يكن اخطأ التشبيه .

وكثيراً ما اثني عليه الاجانب وعددوا محاسنه واظهروا ميلهم اليه واعترفوا بجاذبية شخصه وهم يعلمونه عدواً، وكثيراً ما كان يؤانسهم ويجاملهم ويتحدث اليهم بصدر منشرح ويستميل من عواطفهم ويستل من سخائمهم وهو يعلمهم اعداء .

وقد ذكرت بعض الجرائد الافرنسية انه لما زار فرنسا منذ سنتين وادب له رئيس الجمهورية تلك المأدبة الحافلة جاء احد الحاضرين فقدم له الجنرال غورو فقال له المرحوم وهو يبتسم : نعم اعرفه جيداً وقد تلاقينا احدى المرار .. فقالت تلك الجريدة ان الملك فيصل كان يعرف اذاً ان يطارد في ميدان الكلام .

والحقيقة ان فيصل كان يريد ان يقول ذلك اليوم انه لا يخل بشيء من شروط الكياسة ولا يجهل شيئاً من آداب الاجتماع ولكنه لا ينسى يوم ميسلون .. فناول الجنرال غورو من مجاملته كأساً لم تمنع عذوبتها ان يكون قعرها مراً .

وكان صبر فيصل بحر لا ساحل له سواء على الاجانب او على منكري الجميل والمكابرين في الحق من ابناء جلدته ، ولكن صبره غير المتناهي هذا في ظاهر الحال وكظمه للغيظ الى الحد الذي يفوق الاحتمال كانا يؤثران في قرارة نفسه ويجرحان من صميم قلبه السريع الانفعال مما هدم صحته وابقاه مدة طويلة روحاً مليئة في جسم ضئيل ، وانتهى الامر بان ضعف الجسم وانقطعت كل نسبة بينه وبين قوة الروح فغلب الضعف على القوة وانصرفت تلك الحياة الثمينة الغالية قبل أوانها اذ كان يمكن فيصل لو اسعف القدر ان يخدم الامة العربية ثلاثين سنة فوق ما خدمها اياه واذا قيس المستقبل بالماضي كان يمكنه ان يعمل للعرب مايدهش العقول ويزيد على اعمال من مضى من اولئك الفحول .

فالملك فيصل قد قضى اذاً شهيد انفعالاته وتأثراته وقتيل عواطفه وتحسراته في ايصال القضية العربية الى الامد الذي كان يريده لها ، وكان يكظم في نفسه الوجد الذي يجده تحت جوانحه ولم يشف شيئاً من برحاء غرامه بالقضية القومية التي كانت ليلاه في هذه الدنيا الا قبل وفاته بسنتين اذ تمكن من كسر قيد الانتداب البريطاني على العراق وضمن الاستقلال التام لشطر من البلاد العربية التي كانت باجمعها ترسف في قيود الانتدابات مقهورة مظلومة مغلوبة على امرها .

وما كاد فيصل يحرز لامته ما احرز ويبني لها البيت الذي بناه في وسط المجتمع الدولي حتى بلغ به جهده آخر ما كمن من قوة في جسمه وانفد عناؤه في انارة سبيل قومه آخر نقطة من زيت ذلك السراج المنير الذي وجد ليكون وهاجاً ، فكانت حياته اشبه بحياة من عاش ليحيي قومه حتى اذا قطع من تلك السبيل المرحلة الاولى انتهت حياته وهو ينشد قول ابن دريد :

فان امت فقد تناهت همتي   وكل شيء بلغ الحد انتهى
وان انالتني المقادير الذي   ارومه لم آل في رأب الثأى

وكان فيصل المثال الاتم في المروءة وما زالت المروءة تؤذي قديماً وحديثاً وما كان احراه بقول الامام الشافعي رضي الله عنه : لو علمت الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته . فطالما صبر وتحمل الأذى واجهد نفسه واستنزف نقده ووقته

حباً بمروءته وخضوعا لسلطان الحياء الذي كان غالباً عليه . كان فيصل من سجاحة الخلق بحراً لا تكدره الدلاء ولكنه كان مع ذلك جبلا أشم لا تهزه العواصف ولا تزعزعه الزعازع وكان يخفي وراء تلك النفس الحية والخلق اللين والوداعة المتناهية انفة هاشمية ان لم يكن لها شاهد سوى قوله علناً في مؤتمر باريز لممثلي الدول العظام يوم انعقد الصلح العام : عند ما كان آباؤنا ملوكا لم تكن دولة من هذه الدول الحاضرة قد برزت الى الوجود . لكفاه ذلك شاهداً . وكان يخفي وراء هذه الرقة التي كان يسحر الناس بها وذاك التواضع الذي لا تكلف فيه صلابة تفل الحديد ومتانة تذل لها الجلاميد فما رأيت له شبيهاً في الجمع بين الرقة والمتانة والتواضع والانفة سوى صلاح الدين يوسف الذي كان من افراد الدهر في دماثة الخلق ورقة الطبع وهو مع ذلك في ميادين القتال البطل الغضنفر والاسد المهصور . وقد حدثني من اثق بروايته ممن رافق الملك فيصل في اثناء ثورة الحجاز على الترك وكان حديثه هذا لي منذ اربع سنوات وهو من فرسان العرب المعدودين وممن تولوا اكبر اعمال تلك الثورة قال لي انه لم يجد في جميع من شهد معه تلك الوقائع رجلا اعظم اقداما واثبت جنانا واصبر على لظى الحرب من فيصل . ولولا فيصل ورباطة جأشه وسعة باله وسجاحة خلقه و كرم يده وثقوب فكره وبعد نظره لحبطت تلك الثورة من بدايتها لكثرة ماكان يحيط بها من العوامل القاضية باحباطها . وكان فيصل يشبه صلاح الدين ايضاً في سجية اخرى وهي الجور على نفسه في سبيل راحة قومه فقد روى المؤرخون ان صلاح الدين كان يقتحم المعارك وهو ملتاث المزاج وقد يكون مريضا والحمى عليه ولا يؤخره ذلك عن ركوب الجواد وغشيان ساحة الجلاد . وقيل ان الحرب كانت تروح من عياء بدنه ، و كذلك فيصل لم يكن يتأخر عن اقتحام المعارك لعلة ولا لعياء ، ولعمري ان ما اقدم عليه قبيل وفاته من السفر بالطيارة من اوربا الى بغداد ذهاباً واياباً وهو مصاب بعلة القلب وسلخه في بغداد شهر اغسطس الماضي بلهيبه وهو شاحب ضئيل لا يعرف النوم الا غراراً ولا يذوق الطعام الا لماظاً ، لهو اشد من خوض المعامع وغشيان الوقائع ومبالطة السيوف ومصارعة الصفوف .

وكان فيصل كصلاح الدين لا يفارقه كرم طبعه ولا يزايله ادبه ولا بره باصحابه

ولو على فراش الموت ، وقبل ان فاضت روحه الكريمة بنصف ساعة كان وزيراه نوري السعيد ومحمد رستم حيدر بين يديه فشعر بشيء من الراحة فلم يكد يشعر بذلك حتى اشار عليهما بالانصراف ليستريحا ، وما مضت على ذلك دقائق حتى اتته النوبة القلبية التي فارق بها الحياة .

فاين يجد الانسان هذه الاخلاق الكريمة التي لم تفارق فيصل حتى في أوان احتضاره !؟ وقد اخطرت في بالي هذه النادرة ما رواه القاضي بهاء الدين بن شداد عن صلاح الدين يوسف وهو انه قبل وفاته بقليل طلب الماء ليشرب فاتوه بماء فاتر فمجه واشار اليهم ان يأتوه بماء بارد فأتوه بماء مثلوج فقال لهم بكل تؤدة : اما يوجد من يعدل هذا الماء ؟ ولما خرج من عنده القاضي بهاء الدين بن شداد والقاضي الفاضل قال القاضي الفاضل لرفيقه : ما نأسف على شيء أسفنا على فراق المسلمين لهذه الاخلاق ، انظر كيف صبر على بلادة خدمه في مسألة الماء ولم يزد وهو في سكرات الموت على قوله « أما يوجد من يعدل هذا الماء .. »

وأنا أقول الآن : ما آسف على شيء اسفي على فراق العرب لهذه الاخلاق اين يجدونها من بعد فيصل ! واي حلم يسع ما كان يسعه حلم فيصل الذي من عرف سيرته لم يجد الاحنف في جانبه شيئاً .

كان رحمه الله من فرط حلمه وشدة حيائه كثيراً ما يتهم بالضعف ويعير بقلة الحزم ، ولم يكن فيصل ضعيفاً ولا كان الحزم يفوته في موقف جد وانما كان فيصل حيياً كريم الخلق متجافياً عن كسر الخواطر وكأنما كان في جميع موارده ومصادره متذكراً انه من سلالة ذلك القائل : « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » والقائل ايضاً : « ان احبكم الي احاسنكم اخلاقاً الموطأون اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون » ، ولقد خاطب الله تعالى نبيه الكريم في كتابه العزيز بقوله « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » اي ان النبوة وهي اعلى المراتب التي يمكن ان تصل اليها البشرية مع تأييدها بالمعجزات الباهرة والآيات المتواترة لم تكن لتكفل نفوذ الدعوة وانتصار الرسالة لو لم تجيء مقرونة بكرم الاخلاق ورقة الشمائل واجدر بكل قائد ديني او دنيوي ان لا يبلغ من قيادته أرباً ان فاتته السماحة

والسجاحة . اني لمقترح على اولئك الذين عاشروا معاشرة طويلة تلك النفس الملكية في تلك الصورة البشرية ان يكتبوا نوادر ماعرفوه من كرم اخلاقها وطيب اعراقها وهم لا يحتاجون في ذلك الى تزيين ولا تظريف بل حسبهم ان يرووا الحوادث كما جاءت ويقيدوا النوادر كما اتت فيكون كتاباً في حسن التربية والادب ونبراساً تدرس فيه المكارم لناشئة العرب ويعلم الناس ان شأو الاوائل ليس بأبعد من شأو الاواخر وان الكرم العربي بحر زاخر ليس له آخر .

لا يكفينا ان نؤبن هذا الفقيد الكبير وان نعرف بمناقبه الكثيرة ونسرد من اوصافه العبقرية فمهما وجب هذا الفرض فهناك فرض اوجب وهو الاقتداء بسيرته والسير على خطته واتخاذ برنامجه قطباً تدور عليه رحى السياسة العربية فان يكن قد انطوى فيصل في شخصه فلا تنطوي تلك الفكرة العالية التي ذهب شهيد تطبيقها وان يكن غاب عن الانظار بوجهه الكريم فلم تبرح نصب الانظار هاتيك الامنية المقدسة التي كان يجاهد في تحقيقها . فقد جلس فيصل على عرش العراق وما زال حتى حققه عرشاً واسس له دولة عربية حرة بنفسها قائدة لزمامها مستقلة باحكامها ولم يكن وهو يدأب في خدمة اخوانه العراقيين ليغفل لحظة واحدة عن اغاثة اخوانه السوريين وكانما كان يقول لهؤلاء : دعوني افرغ من امر العراق واعود منه اليكم . فلما اطمأن فكره من جهة تحرير العراق عاد فاستأنف السعي في تحرير سورية وعلم الناس انه لم يكن رائد تاج ولا باغي عرش وهما من فوقه ومن تحته ولكنه رائد نهضة عربية وباغي كرة تاريخية يعيد لابناء جلدته مكانتهم الاولى. فاذا كان فيصل قد مات فليس في العرب من يقول ان القضية العربية قد ماتت بموته بل القضية العربية قضية امة قد قال قائلها : اذا مات منا سيد قام سيد ولم يكن فيصل يحلم بانه سيكون في هذه القضية الالف والياء لان الامة التي تنهض بقيام شخص وتهوي بموت شخص لا يكون لها نصيب حقيقي من الحياة بل الامة الحية هي التي يكون كل جزء من اجزائها فيصلا على قدر وظيفته . ولقد اوضح فيصل لنا الطريق ونهج السبيل وترك لنا برنامجه وابنه لنعمل بهذا ونؤيد عرش هذا ولا نفتأ نعمل حتى نرى الشام والعراق مملكة واحدة تحت تاج الملك غازي الاول الذي نرجو ان

يكون فيصلا ثانيا وان نجد هذ المملكة الواحدة متحالفة تحالف الاخوان مع امامي الجزيرة العربية اللذين كان الفقيد يرى ان لا بد لنهوض هذه الامة من اتحاده معهما فاحسن ما يحيا به روح فقيدنا العظيم بعد استمطار الرحمة الآلهية على تلك الروح الطاهرة هو ان نتابع العمل بعد مماته لتنفيذ افكاره وتحقيق اوطاره فذلك اسنى ما نرسله من التحايا الى روحه ونضعه من الازهار على ضريحه

شكيب ارسلان

رسالة الفقيد العظيم الى شعبه

قبل مبارحته بغداد للمرة الاخيرة

وجه جلالة الفقيد العظيم الى شعبه الكريم الرسالة الاتية بمناسبة مبارحته عاصمة ملكه للمرة الاخيرة وهذه هي المرة الاولى التي يوجه فيها جلالته مثل هذه الرسالة وهذا نصها :

شعبي العزيز !

أودع شعبي بناء على ضرورة اتمام الاستشفاء مؤملا الا يطول غيابي اكثر من ستة اسابيع وانتهز هذه الفرصة للاعراب عن تقديري للعواطف النبيلة التي اظهرها ابناء شعبي المحبوب نحوي خلال ايام عودتي ولسهرهم الدائم على حفظ الطمأنينة والثقة بين جميع الطوائف اثناء الحادثات الاخيرة وما رأيته من مملكتي شعباً وحكومة زاد في الاعتقاد بقرب تحقيق الاماني التي نسير جميعا للوصول اليها .

اني سوف لأدخر وسعاً في القيام بما يترتب علي من خدمة بلادى وشعبي مهما كلفتني من عناء مستعيناً بالمولى عز وجل ، متمنياً ان يوفقنا لما فيه الخير والصلاح

فيصل

عطف جلالة الفقيد على الصحافة

حديث خطير لجلالة الفقيد العظيم

مع صاحب جريدة «الجزيرة»

لاغرو اذا ماتفجعت الصحافة العربية لفقد مليك العرب وحامل لواء نهضتهم المغفور له الملك فيصل، فان ماحباها به من العطف والتشجيع والرعاية لم تألفه من غيره من الملوك والقواد والزعماء وهذا ماجعلها مدينة لجلالته، مسبحة بحمده، ناطقة بفضائله ومناقبه ومآثره

الصحافيون في صف الزعماء

ولا أدل على تقدير جلالته للصحافة واعتماده عليها من الخطبة الضافية التي ألقاها يوم ٣ ايلول سنة ١٩٣١ على زعماء العراق اذ بسط لهم واجبات الزعماء حيال شعوبهم وواجبات الصحف أيضا ازاء القضايا العامة ومما جاء في ذلك الخطاب البليغ القيم: «الشعب وديعة الله في ايدي زعمائه يحسنون ائتمانها بقدر مايكلفونه «حسب طاقته» على الاستفادة من الظروف الراهنة والفرص السانحة متى عرضت واحب ان اضع الصحافيين في صف الزعماء واطلب اليهم ان يتقوا الله في الواجب المقدس الذي يتحتم عليهم القيام به ...»

عطف الفقيد على جريدة الجزيرة

ولما دعوت في جريدة الجزيرة التي عطلتها السلطات الاستعمارية الى لبس الفيصلية وتسمية احد الشوارع الكبرى في دمشق باسم جلالة الملك فيصل وبذلنا في سبيل ذلك مجهودات عملية لدى الحكومة المحلية — وقد تقدم ذكر ذلك في اول الكتاب — كلف جلالته سكريتره الخاص بان يكتب كتاباً باسم جلالته

الى كاتب هذه السطور (بصفته صاحب الجزيرة ومحررها) يعرب له فيه عن اعجاب جلالته بخطة الجريدة وجهود صاحبها . وهذا ما جاء في الكتاب المذكور المؤرخ في ١٧ نيسان سنة ٩٣٣ بالحرف الواحد : « وأمرني جلالته بان اعرب لكم عن استحسانه لما عقدتم النية على تنفيذه من الفكرة وعن قدره لما بذلتم وتبذلونه من الجهود في سبيل اعلاء كلمة الامة العربية واعادة ما كان لها من عز غابر ومجد اثيل متمنياً لكم دوام التوفيق »

وقد تكرم جلالته بهذه المناسبة فأهدى الى العاجز عشرين سدارة عراقية من افخر الاجناس وزعت بين فتيان الجزيرة الذين قاموا بالدعاية العملية لهذه الفكرة

المقابلة الاولى والاخيرة

وعندما مر جلالته بمدينة عمان في طريقه الى اوربا (في أوائل حزيران الماضي) رأيت ان من اقصى واجباتي ان اتشرف بمقابلة جلالته فخففت مع من خف من الوفود الكثيرة الى عمان . وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة ١٥ من صباح يوم الثلاثاء الواقع في ١٣ صفر سنة ١٣٥٢ هجرية الموافق ٦ حزيران سنة ١٩٣٣ تشرفت بمقابلة جلالته مقابلة خاصة في بهو قصر رغدان ودار بيني وبين جلالته الحديث الذي أنقله بحروفه كما استوعبته على اثر خروجي من لدن جلالته وقد بادرت حالا الى تسجيله في مفكرتي الخاصة

أجل انا لا انكر ان جلالته اوصاني بعدم اذاعة الحديث في الصحف نظراً لخطورته بيد انني من جهة اخرى ارى من واجب الامانة في عنقي وواجب الوفاء للفقيد ان ادونه في هذا الكتاب وفي ذلك ما فيه من خدمة التاريخ ونصرة القضية الوطنية

خلاصة الحديث

بعد ان استفسر جلالته عن اسباب تعطيل « الجزيرة » قال: ان القضية السورية كانت ولا تزال مطمح انظاري وموضوع اهتمامي منذ فارقت بلادكم ولكن هذه

القضيـة قد تحل في مرحلة واحدة وقد تحتاج الى مرحلتين او اكثر فعليكم ان لا تستسلموا لليأس والقنوط ، ولكني اطمئنكم بان بقاء البلاد على وضعها الاستعماري الحاضر امر مستحيل والسبيل الوحيد لحل هذه القضية في وقت قريب هو الاتحاد والثبات ..

تقدير جلالته لوطنية السوريين

ثم قال جلالته : ويسرني ان الامـة السورية برهنت على شدة تعلقها بأمانيهـا القومية اذ وقفت موقفاً مشرفاً ازاء المعاهدة وابى المفاوض السوري التوقيع عليها ما دامت لا تعترف بالوحدة السورية ، ولو فرضنـا - لا سمح الله - ان المعاهـدة عقدت واشتملت على المدن الاربع فقط لكان في ذلك ضربة قاضية على آمال البلاد ولتأخر حل القضيه السورية بما يطابق الاماني الحرة عشرين سنة على الاقل

يضحي بسورية في سبيل وحدة القطرين

ثم تابع جلالته حديثه قائلا : ولقد اتهمني البعض عند وجودي في سورية بانني اعمل لمصلحة الفرنسويين واتهمني غيرهم بعـد ذلك بانني اعمل لمصلحة الانكليز ، ولكن الايام قد برهنت واخذت تبرهن لكم حقيقة المبادىء التي اعتنقها والآمال التي انشدها . نعم انني ضحيت بسورية وتوجهت الى العراق ولكن في سبيل اتمام البرنامج القومي المعلوم وهو انقاذ القطرين الشقيقين وتوحيدهما اذ لا يمكن لسورية ان تعيش لوحدها خصوصاً بعد ان بلغ العراق ما بلغه من السيادة والاستقلال

اهتمام الحكومات بمشروع الفقيد

وقال جلالته : ان فكرة توحيد القطرين قضية عالمية على جانب عظيم من الاهمية والخطورة وثقوا بانه ليست فرنسا وحدها هي التي تقاومهـا بل هي تهم انكلترا كما تهم ايطاليا والمانيـا وتركيا وروسيا واميركا وغيرها من الحكومات والدول فعليكم اذاً ان تتدرعوا بالحكمة والحزم والثبات والاتحاد كما اوصيتكم

تفويض جلالته والتمسك بالبيعة

وقبل ختام الحديث : قلت لجلالته ان دمشق احتفلت منذ ايام بتأبين والدكم الجليل واحتشد زهاء ستة آلاف نسمة في حي الميدان وقرروا بالاجماع تفويض جلالتكم لحل القضية السورية واعربوا عن تمسكهم بالبيعة . وهذا نص القرار الذي اجمعوا عليه وطلبوا الي ايصاله الى جلالتكم (فتسلمه جلالته)

فتيان الجزيرة

ثم قلت لجلالته : كان لزيارة ابنائكم رسل الوحدة العربية (افراد الكشافة العراقية) للبلاد الشقيقة اثر طيب في هذه البلاد فحبذا لو تتكرر مثل هذه الزيارات وقريباً ستتألف فرق قومية في سورية باسم فتيان الجزيرة تدير على مبادىء جلالتكم وتستمد من روحكم الطاهرة ما تحتاج اليه من قوة واخلاص وثبات فارجو ان تشملوها برعايتكم . فابتسم جلالته وقال مرحباً بالفكرة : بارك الله فيكم واخذ بايديكم .

مهجر الشعوب العربية

ثم قلت لجلالته : كان لتصريح جلالتكم بان العراق سيكون مهجراً للشعوب العربية صدى استحسان في جميع الامصار الناطقة بالضاد وعلى الاخص في سورية لاننا معشر السوريين في حاجة قصوى (ولا سيما في هذه الايام العصيبة السوداء) الى ملجأ نلوذ به ونهاجر اليه . فأجابني جلالته : معاذ الله ان تحتاجوا الى مهجر ان سورية والعراق قطران شقيقان ولا بد ان تزول الحواجز بينهما قريباً ان شاء الله .

وهنا دخل مرافق جلالته واعلمه بان وفداً من شباب شرق الاردن يريد مقابلة جلالته فوقفت لاودع جلالته وانا لا اشعر بالزمن الذي قضيته في حضرته ولثمت يديه بحرارة وقلت لجلالته : ارجو ان نحتفل قريباً بتشريف جلالتكم الى بلادنا مع زعمائنا المبعدين

دمشق

محمد تيسير ظبيان
صاحب جريدة الجزيرة

جلالة الملك غازي الاول

نبذة موجزة عن سيرته واخلاقه ومناقبه

ولد جلالة الملك غازي في مكة المكرمة عام ١٩١٢ و كان والده المغفور له الملك فيصل يتولى قيادة الحملة التي جردها جلالة جده المغفور له الملك حسين على الادريسي لتأديبه وانقاذ الجنود العثمانية المحصورة في (ابها) ويقال ان هذا هو سبب اطلاق اسم « غازي » على جلالته

وقد ترعرع جلالته في كنف جده الملك حسين اذ كان والده في طفولته مشتغلا بحروب الثورة العربية . وما كاد يبلغ السادسة من عمره حتى اسلمه جده الى الشيخ يس البسيوني ليقرئه القرآن ويعلمه مبادىء القراءة والكتابة ؛ ثم اخذ يتلقى علوم الدين علي السيد حسن علوي

وبعدما وصل جلالة الفقيد العظيم الملك فيصل الى العراق ونودي به ملكا عليه استدعى جلالته شبله الغازي فوصل الى بغداد مع صاحبة الجلالة والدته وذلك عام ١٩٢٢ ولما وضع العراقيون دستور بلادهم سنة ١٩٢٤ قرروا فيه ان عرش العراق وديعة جلالة الملك فيصل ينتقل الى الاكبر فالاكبر من ابنائه علي خط عمودي

وقد جيء له في بغداد بمربية انكليزية تسهر علي تهذيبه وتلقينه اصول اللغة الانكليزية ولما تعلم من هذه اللغة ما تمكنه من دخول المدارس الكبرى في انكلترا ارسله جلالة والده الى لندن فانصرف الى اتمام دروسه في كلية « هارو » وذلك عام ١٩٢٦ . وكان يتلقى ايضاً في تلك الاثناء دروس العربية علي الاستاذ كاظم الدجيلي بناء علي رغبة والده

وقد اتيح لجلالته ان يزور مختلف الممالك الاوربية اثناء العطلات الصيفية واكتسب من هذه الرحلات فوائد جمة

ثم عاد جلالته الى عاصمة ملك ابيه بعد ان امضى في انكلترا زهاء سنتين ونصف

فاستقبل استقبالا رسمياً حافلا كان الغرض منه ان يقدر المسؤولية التي ستلقى على عاتقه في المستقبل ويشعر بها وقد رأى جلالة والده ان يدخل المدرسة الحربية في بغداد فانتظم فيها باسم « الشريف غازي بن فيصل » وتخرج منها برتبة ملازم في الجيش العراقي في السنة المنصرمة ، وقد كانت نشأته في المدرسة نشأة ديموقراطية صحيحة وذلك بناء على رغبة والده الذي اصدر امراً الى مدير المدرسة بان يعامل نجله معاملة بقية الطلاب دون تفريق او تمييز

وللمرة الاولى ناب عن والده الفقيد خلال زيارته الاخيرة لانكلترا في شهر حزيران الفائت ولما نشبت فتنة الاشوريين وقف جلالته في جانب شعبه وانتقد بشدة تصرف السلطات الاجنبية ثم زار الجهات الشمالية من القطر العراقي فازداد الشعب تعلقا به واكباراً لمقامه

ولما عاد جلالة والده الى بغداد اخيراً لاخماد الثورة الاشورية اقر تصرفات شبله واستحسن موقفه المشرف وقفل راجعاً الى اوربا بعد ان انابه عنه مرة ثانية

وقد نودي بجلالته ملكا على العراق يوم ٨ ايلول وذلك حينما انتقل الى دار الخلد جلالة والده العظيم وجاء رئيسا مجلس الشيوخ والنواب والوزراء واقسموا لجلالته يمين الولاء واعلن اعتلاء جلالته العرش بالتحية الملوكية وهي اطلاق ١٠١ مدفع

وقدمت الوزارة الكيلانية استقالتها صباح ٩ ايلول حسب الاصول فكلف جلالته فخامة رشيد عالي بك الكيلاني بتأليفها من جديد وهذه اسماء حضرات الوزراء السادة : حكمت سليمان « للداخلية » وياسين الهاشمي « للمالية » ونوري السعيد « للخارجية » ومحمد زكي « للعدلية » وجلال بابان « للدفاع » ورستم حيدر « للاقتصاد والمواصلات » والسيد عبدالمهدي « للمعارف »

وفي مساء ١١ ايلول اجتمع مجلس الامة العراقي بصورة غير اعتيادية لتحليف جلالته اليمين القانونية فاداها بكل خشوع ثم عاد الى قصره في موكب فخم واعلن رئيس الوزراء تأجيل المجلس الى شهر تشرين القادم

واجري ليلة ١٩ ايلول الماضي عقد قران جلالته على سمو الاميرة « عالية »

ابنة عمه جلالة الملك علي وذلك تطمينا لرغبة جلالة والده الراحل ولمناسبة وجود عمه سمو الامير عبد الله في بغداد ، وقد تقرر ذلك فيما بين افراد البيت الهاشمي ، وتم من غير مراسم وبحضور الوزراء فقط

وفي ١٧ ايلول اذاع جلالته على شعبه الكريم البيان الآتي :

ان عواطف الاخلاص والمحبة التي انبعثت من قلوب ابناء امتي على اثر الكارثة العظمى التي حلت بالبلاد بفقد قائدها وباني كيانها جلالة والدي المعظم تغمده الله برحمته كان لها اعمق اثر في نفسي وكانت اكبر سلوى لي في مصابي ولا شك في انها كانت دليلا على تقدير الجميع للاعمال الخالدة التي نهض بها والتضحيات العديدة - وآخرها حياته الغالية - التي بذلها في سبيل امته واعلاء شأنها . والان وقد ودعنا والاسى ملؤ القلوب فقد اضحى من واجبنا نحن الذين شاءت الاقدار ان نبقى بعده ان نسترشد دائماً بتلك السياسة الحكيمة التي كان هدفها الاسمى السير بالمملكة الى اوج التقدم والعمران والمنعة وان نتخذ من مثاله الاعلى مثلا اعلى في التفاني في خدمة الامة التي احبها فوق كل شيء وخدمها بكل قواه وودعها الوداع الابدي وهو مرتاح لانه قام بواجبه والواجب اي واجبنا جميعا الذي امرنا به هو ان نتمسك بالقوة والاتحاد ونجعل من توصيته هذه الاخيرة منهاجا نسير عليه في مستقبل ايامنا وفي هذه الساعة التي يجيش قلبي فيها بالام الخطب وبشكر الامة على عواطفها الصادقة المواسية يحق لي ان انتظر من ابناء شعبي ان يوآزروني بكل قواهم كما آزروا والدي في جهاده وان يساعدوني على النهوض بالمسؤولية العظمى التي القتها القدرة الالهية على عاتقي وان يعملوا واياي على تمجيد ذكرى فقيد الامة وسليل البيت الهاشمي وتطييب روحه وذلك ببذل كل ما في وسعنا في سبيل تحقيق امانيه السامية

هذا واني باسمي واسم صاحبة الجلالة الوالدة وباسم الاسرة الهاشمية اكرر ثنائي وشكري الى ابناء امتي وارجو لهم جميعا صبراً جميلا ورفاها شاملا

غازي

وجلالة الملك « غازي » يبلغ الآن من العمر ٢١ عاما وهو على جانب عظيم من الفطنة والذكاء والشجاعة ودماثة الاخلاق ولعل ابرز مآثره شدة تواضعه ورقة

حاشيته ولين عريكته مما جعله محبوبا من جميع طبقات الشعب فعسى ان يكون خير خلف لخير سلف اطال الله بقاء جلالته وادامه حصنا للعرب ومطمحا لانظار الناطقين بالضاد

رسالة جلالة الملك غازى الى العرب

عنيت جريدة الجامعة الاسلامية التي تصدر في فلسطين عناية خاصة بانباء الفقيد العظيم ونشرت المقالات الطوال عن سيرته واعماله واوفدت مندوبا خاصاً من قبلها الى بغداد لحضور المأتم العظيم الذي اقيم في ارض الرافدين بمناسبة دفن رفات الفقيد الغالي

وقد تمكن المندوب المذكور من مقابلة جلالة الملك المعظم غازي الاول وبعد ان رفع الى جلالته شعائر المؤاساة والتعزية قال جلالته : مصيبتنا واحدة هكذا اراد الله ، البقاء للعرب جميعاً ، جلالته ترك لنا مثلا اعلى ، فلنسر على هدي المثل وضوئه القوي . اشترك العرب كلهم في العزاء وانا لا افرق بين قطر عربي وآخر . انها كلها بلاد واحدة تجمعها روابط القرابة والمصالح المشتركة

ثم سأله المندوب : وما هي رسالتكم يا صاحب الجلالة الى البلاد العربية ؟

فاشرق وجهه الكريم وتهلل ولمع نور الثقة والعزم في عينه ثم قال : الاتحاد قبل كل شيء ، والعمل قبل القول ، وقريباً ينالون باذن الله استقلالهم كاملا ويحققون غرضهم في الوحدة

انتهى

تنبيه

ــ حالت العجلة الفائقه التي طبع بها هذا الجزء دون استيعاب كل ماانتهى الينا من المعلومات التي استقيناها من المصادر المطلعة عن حياة الفقيد واعماله وسندرجها كلها في الجزء الثاني مع الخطب والقصائد التي القيت في حفلات التأبين

محتويات الكتاب

صفحة

٢ اهداء الكتاب

٣ توطئة "

٤ فيصل والتاريخ

٥ امنية العرب منذ عشرة قرون

١٠ فيصل القائد الشجاع

١٢ " السياسي الحاذق

١٣ " الراعي الصالح

١٦ " التقي الورع

١٦ " شؤون التعليم والتهذيب

١٧ " وفكرة توحيد القطرين

١٩ " والقضية العربية العامة

٢٢ " والاتحاد الطائفي

٢٤ خلاصة تاريخية عن حياة الفقيد

٢٧ فيصل والثورة العربية

٣٠ " في عاصمة الامويين

٤١ " في العراق

٤٤ الفقيد في ايامه الاخيرة

٥٥ كيف وصل النعي الى البلاد العربية

٥٦ تشيع الجثمان الطاهر

٦١ صدى الفاجعة في جميع اقطار العالم

صفحة

٧٥ من اقوال فيصل المأثورة

٧٧ خطاب بليغ للفقيد العظيم

٧٩ آخر تصريح للفقيد العظيم

٨١ آراء كبار المفكرين في الفقيد

٨ رأي الدكتور شهبندر

٨٤ رأي الدكتور طه حسين

٨٩ رأي الاستاذ عبد الرحمن عزام

٩١ رأي الاستاذ عباس العقاد

٩٤ رأي الاستاذ احمد حسن الزيات

٩٧ رأي الاستاذ عبد القادر المازني

١٠٠ قصيدة الاستاذ الزهاوي

١٠٢ كلمة الاستاذ مهدي البصير

١٠٥ " " السيد التفتازاني

١٠٧ " " فكري اباظة

١١٠ " " الاستاذ فارس الخوري

١١٣ مذكرات الفقيد عن القضية العربية

١٤٤ كلمة الامير شكيب ارسلان

١٥٢ حديث خطير للفقيد العظيم

١٥٦ جلالة الملك غازي

جلالة الملك غازى الاول



يطلب الكتاب من مكتبة الجزيرة لصاحبها

رفيق الكزبرى دمشق شارع رامي